مجلة مجمع اللغة العربية

بحوث مؤتمر الدورة الستين

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

القسم الأول

الجزء الثامن والسبعون

ذو الحجة ١٤١٦ هـ

مايو ١٩٩٦ م



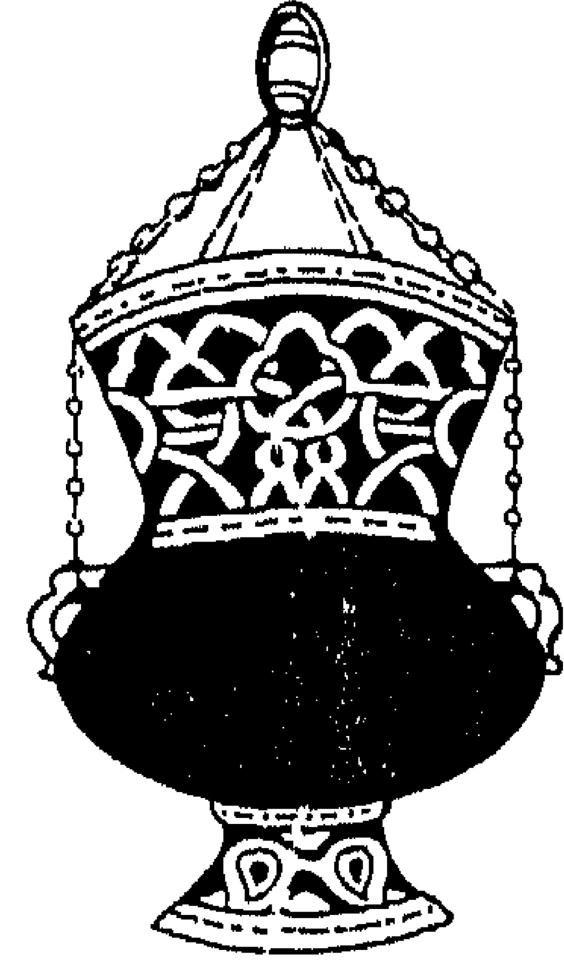
مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

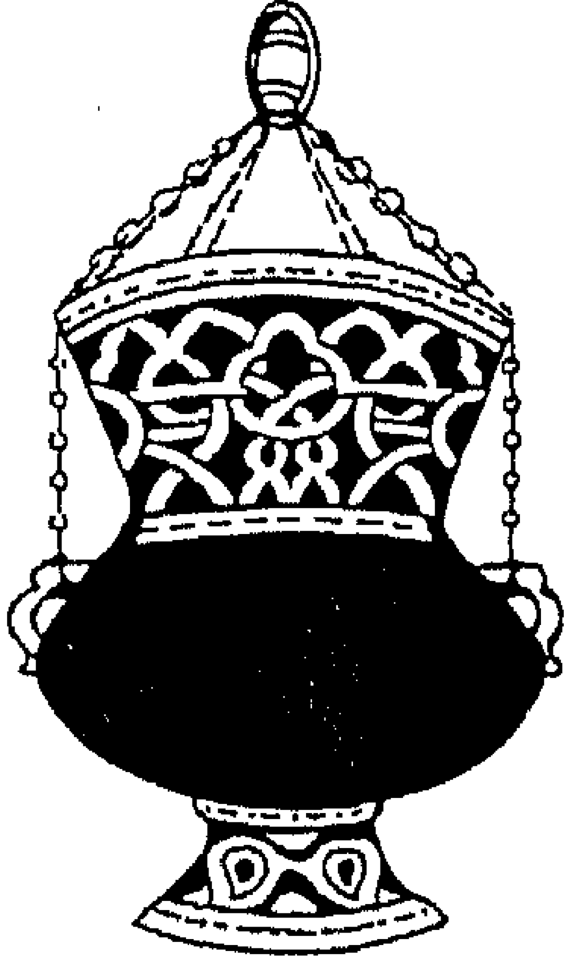
(تصدر مرتين فى السنة)

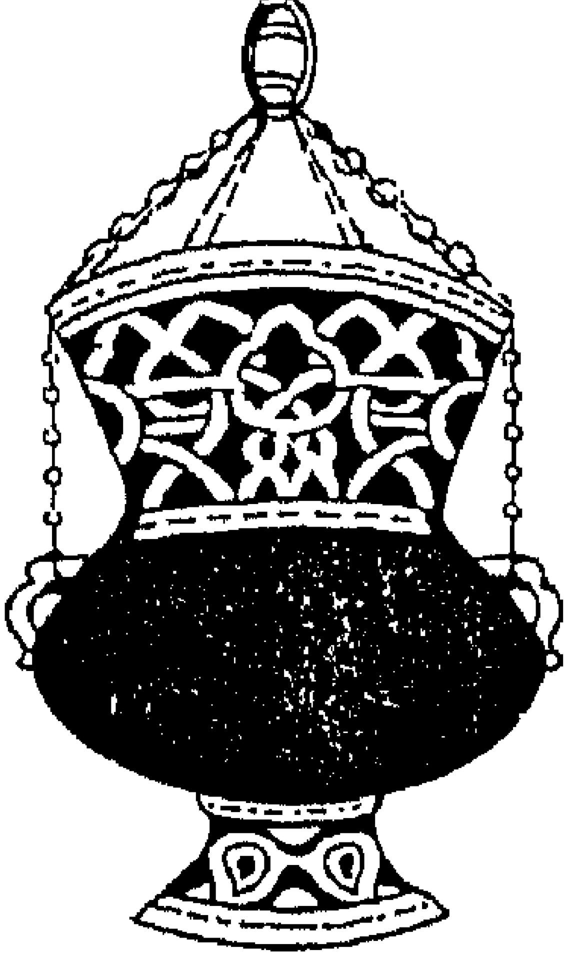
الجزء الثامن والسبعون

ذو الحجة ١٤١٦هـ / مايو ١٩٩٦م



الفهرس





كلمات

الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المجمع

فى دورته الستين

(١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

سيادة الأستاذ الكبير .. رئيس المجمع الموقر

السادةُ الأساتذةُ الأعضاءُ الكرام

السيداتُ .. والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

● يسعدُنى .. وأنا بينكم الآن .. وفى واحة الفصحى .. آوِى إلى دَوْحِها العظيم .. أتَفيّأ وَارِفَ الظّلال ..

● يسعدُنى .. وأنا أُشْرُفُ بافتتاح المؤتمرِ السنوىّ فى الدورةِ الستينَ لمجمعِ الخالدين .. مجمعِ الفصحى .. وحصنها الحصين .. يسعدُنى أن أعَطّر لسانى ووجدانى .. بقوله تعالى : « كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآنًا عربِيًّا لِقَومٍ يَعْلَمُونَ » فصلت .

وقولهِ تعالى لرسولِ الإنسانيةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم : - « فَإنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسَانِك لَعَّلهم يَتَذَكَّرُونَ » الدخان .

صدق الله العظيم .

● السيداتُ والسادة : أىُّ شَرَفٍ لِلغتنا الفُصحى أن تكونَ لغةَ القرآنِ الكريم!!؟؟ وأىُّ شرفٍ لها أن تكونَ بلسانِ رسولِ اللهِ رسولِ الإنسانيةِ عليه الصلاة والسلام فيفخرَ بأنه ،، أفْصَحُ مَنْ نطق بالضّاد !!

● السيداتُ والسادة أعضاءَ المجمع الموقر لقد أصاب شاعرُنا العربىُّ وهو يمدحُ لغةَ الشعرِ والموسيقى والجمالِ بقولهِ :

إنَّ الذى مَلأ اللغاتِ مَحَاسِنًا
جَعَلَ الجمالَ وسرَّهُ فى الضادِ.

● ولقد حَبَاكم اللهُ عزَّ وجلَّ بالفصحى وفَقّهكُمْ فيها وبها ، وقَيَّضَ لها منذُ إشراقِ كتابهِ الكريم مَنْ يحميها ويصونُها ويُثْرِى علومَها وفِقْهها حتى قيل : إنَّ علومَ العربية هى بحقٍّ العلومُ التى نَضِجَتْ تمامًا بفضلِ جهودِ علمائِها وفُحُولِها الذين لم يَألُوا جُهدًا فى إثرائِها

وإضافـةِ المزيد والجديد ، فوَسِعَتْ مخْتلفَ العلومِ والفنونِ والآداب وفـتـحت صـدْرَها وتقبَّلتْ طريف كلِّ عصرٍ من العصور ، وكلَّ مستحدثٍ فى شتَّى مَنَاحِي الحياةِ الإنسانية .

● السيداتُ والسادة أعضاءَ المجمع الموقر :

أنتم الآن وبحق أسَاطِينُ البيـان وحماةُ لغةِ القرآن قـيَّضَكُم اللهُ للفصحى استمراراً لمسيرةِ الإثراءِ والتَّنْوير ، ومواكبةِ الحضارةِ الإنسـانيـةِ والتـقـدمِ المذهلِ فى العـالمِ كلِّه الآن ، أنتم ياحمـاة الفـصـحى وحُـرَّاسَـهـا منحكمُ اللهُ عـز وجـل وعَلَّمكُم مـا لمْ تكونُوا تَعلَمـون ، وهَيَّـأ لكم فرصَ الدرسِ والبحثِ ، فَعَلِمْتُم مِنْ لغاتِ العالمِ الحية ، مـا مكَّنَ لكم مِنَ الرشـادِ والاستـيـعـابِ لمخـتلفِ الحـضـارات ، لتكونوا بحق ، امتداداً كريما لحُمَاةِ اللغةِ الأُمَناءِ الأوفياءِ الصادقين ، فاطمأنت القلوبُ والألبابُ إلى جَلالِ ما تبذلُونه مِنْ جَهْد ومـا تُنفقونَهُ مِن وقت ، ومـا تقـدِّمُـونه من عَطاء ، ويكفـيكم شـرَفًـا أنكم مـن الصـفـوةِ الأخـيـارِ الذين شـرَّفَـهُم اللهُ تعـالى ، فجعـلـهم من جنوده ، ليحفظَ بهم كتابَهُ الكريمَ الذى أنزلَه بلسـانٍ عـربىٍّ مُـبين ، وأكَّد سبحانه وتعالى على أنه خيرُ الحافظين فقـال عـز وجل : « إنَّا نحنُ نزَّلْنا الذكـرَ وإنا له لحافظون » .

صدق الله العظيم

● السيداتُ والسادةُ أعضاءَ المجْمَعِ الموقر :

إنه لَيُسْعِدُنى أن أؤكـدَ أننا ونحن نطورُ التعليمَ الآن ليُوَاكبَ حضارةَ العصر ويلحقَ بالنُّقْلةِ الحضارية المذهلة نرتكزُ على أساسٍ متين ، ونهجٍ قويمٍ من لغتنا القـوميـة ونرسُـو على شـاطئِ الفـصـحى ، فـمن الأولوياتِ الأولى فى مناهجِ الدراسةِ العنايةُ الفائقةُ باللغةِ العربيةِ وعلومِها وآدابِها ، وهي المادةُ الإجبـاريةِ الأولى فى مـدارسِنا ومعـاهدِنا ، نُولِيها العنايةَ والرعايةَ دراسةً وتربيـةً وتعليـمًا وتثـقـيـفًـا ونقـيمُ لهـا المسـابَقـاتِ بين الطـلابِ والمعـلمين ، والمؤلفِين ، فى مختلفِ فروعِها وفنونِها وآدابِها ، ونرصدُ للفائزين الجوائزَ المادية والمعنوية والأدبيةَ والمكافآتِ .

● كمـا تُعْنَى الوَزارةُ بجـانبِ هذا بأنْ تحْظَى فنونُ المسرح المدرسيِّ والصحافةِ المدرسيةِ بنصيبٍ وَفيرٍ من الفصحى ، وكذلك مختلفُ الأنشطةِ التربويةِ وأنشطة التثقيفِ والتنوير .

● السيداتُ والسادة : كما لا يفوتُني فى هذا المجالِ أن أشيرَ إلى مادةِ الخطِّ العربيِّ هذا الفنُّ الجميلُ والعلمُ الجليل ، والذى كان قد أوْشك على الاندثارِ فى مدارسنا أصبحَ الآن مرة أخرى مادةً أساسيةٍ فى مناهجِ التعليمِ مِنْ بداية المرحلةِ الأولى مع العنايةِ بمعلميه وخبرائه ومتخصصيه ، وسوف يحظى من جانبِ الوزارةِ بكاملِ الرعايةِ والعنايةِ التى تمكنُ له كفنٍّ وعلمٍ أصيلٍ من أن يستردَّ مكانته وموقعهُ الذى أشار إليه الإمام عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَه بقوله :

« عليكم بحسنِ الخطِّ فإنه من مفاتيحِ الرزق » .

● السيداتُ والسادة أعضاءَ المجمعِ الموقر : وإذا كنا نستعينُ باللغاتِ التى اتخذها العالمُ لغةً له فى مختلفِ محافلهِ ومؤتمراتهِ ومجالسه وعلومه وابتكاراته واكتشافاته بجانب لغتنا الفصحى فإنّ لنا أسوةً حسنةً فى رسول الإنسانية محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وقد قال لنا وللناسِ كافةً : « مَنْ تعلَّم لغةَ قومٍ أمِن مكرَهُم » .. كما أمَرَ صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابتٍ رضى اللهُ عنه وبعضَ كُتَّابِ الوحيِ الآخرين أنْ يتعلَّموا جميعَ لهجاتِ الجزيرة العربيةِ ولغاتِ ما حولها فكانوا خير الأمناء المستنيرين على كتابِ اللهِ عز وجل، وهم يجمعونه ، واللهُ خيرُ الحافظين .

● السيداتُ والسادةُ أعضاءَ المجمعِ الموقر : إنى لأتساءل .. ألَسْنا بمستطيعين تعريبَ العلومِ والفنونِ والآدابِ وجميعِ معارفِ العالم ومكتشفاته ومبتكراته ونقْلها إلى الفصحى وإثراءَها دون دراسةٍ وثيقةٍ وواعيةٍ وأمينةٍ للُغاتِ العالمِ وعلومه وآدابهِ وتفقُّهنا فيها !! وأنتم ياأساطينَ البيانِ خيرُ شاهدٍ ودليل .

● السيداتُ والسادة : يسعدُنى أن أطمئنَكُم إلى أننا نسهرُ على حمايةِ لغةِ تراثنا

وحضارتِنا وعقيدتنا وقوميتنا التى حَملَتْ إلى العالمِ لواءَ العلمِ والحضارةِ ، فَنَهلَ العالمُ كلُّه من منْهلِها العذبِ دون تحرجٍ أو إحساسٍ بالدونية ، وهو الآن يُصَدِّرُ إلينا علومَه ومكتشفاته ومبتكراته بلغاته . أَفَنَنْكُصُ عَلى أعقَابِنا ونتركُ وراء ظهورنا هذا التحدىَ الحضارىَّ أم نُقْبِلُ بغير حَرَجٍ على هذا التحدِّى لنستعيدَ مجداً تليداً نستطيعُ به من جديدٍ أن نُعيدَ إلى شخصيتنا ولغتِنا ما نصبو جميعا إليه ؟! .

● السيداتُ والسادة : يسعدُنى أن أُعلِنَ أننا نعدُّ الآن للمؤتمرِ القومى لتدريس اللغةِ العربيةِ ، الذى نَحْشدُ له مختلِفَ الخبراتِ والخبراءِ والمتخصصين والعلماءِ وفقهاءِ اللغةِ من كلِّ مكانٍ ، وبما يليقُ بلغتنا الفصحى : لغة القرآن الكريم ، لغة البيان والتبيين وإنى لعلى ثقة بأن مجمعكم الموقر سيساند هذا المؤتمر ويعمل على تلبية اهدافه .

● السيداتُ والسادة : يسعدُنى أن أُحَيِّيكم جميعا ، وأرحب بالضيفِ من الإخوةِ والأصدقاءِ المستعربين ، الذين وفدُوا إلينا يحملون رايةَ الحبِّ والتعاونِ على البرِّ والتقوى ، وأرجو لكم جميعا ولمؤتمركم الكريم كل التوفيق والسدادِ والرشادِ ولمصرَ الخالدةِ كنانةِ اللهِ فى أرضهِ كلَّ السؤدُدِ والتقدمِ والأمان ، تحت رايةِ قائدِها المظفرِ رجلِ النصرِ والسلامِ والوفاق السيد الرئيس محمد حسنى مبارك حفظه اللهُ ورعاه ، ومَكَّنَ له ولإخوانه الملوكِ والرؤساءِ والحكامِ من أداءِ رسالة الحب والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزى

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة الستين

الشيخ الرئيس الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور عميد المجمعيين :

الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم :

الأساتذة الزملاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،

وبعد

فها هو ذا مجمعنا يكاد يُكمل دورته الستين فى الفلك المجمعىّ !

وإذا كانت سِنُّ الستين لدى أكثر الحكوماتِ سِنُّ تقاعُدٍ عن العمل ، فهى لمجمعنا سِنُّ تصاعُدٍ فى العمل ؛ فقد بدأ العطاءُ المجمعىُّ بمصطلحاته وقراراته اللغوية يَدُورُ فى محاورِ الآحادِ والعشراتِ كلَّ عام ، ثم مضى صعوداً ليدورَ فى محاور المئات ، ثم اجتازها منطلقاً ليأخذ مداره حول محاورِ الآلاف ؛ فبلغتْ عِدَّةُ مصطلحات المجمع العلمية والفنية ، وقراراته اللغوية ، وموادِّه المعجميَّة ، أكثر من خمسة آلاف ، فى الدورة المجمعية السابقة ، وهى قريبة من ذلك - إن شاء الله - فى هذه الدورة ، وفيما نستقبلُ من دورات !

وكذلك كان شأن لجان المجمع ؛ تَجَمَّعتْ فى الدورة المجمعية الأولى حول سبعةِ محاور ، متمثلةً فى سبع لجانٍ عامة ، ونَصُّ تشكيلها ما يلى :

١ - لجنةُ العلومِ الطبيعية والكيمائية .

٢ - لجنةُ علومِ الحياةِ والطب .

٣ - لجنة الرياضيات ؛ وتبحث فى مصطلحات الحسابِ والجبرِ والهندسةِ بأنواعها وعلمِ الآلات والميكانيكا ، والفلك ، وما إلى ذلك .

٤ - لجنة العلومِ الاجتماعيةِ والفلسفية ؛ وتبحث فى مصطلحات علوم الاجتماع ، كالحقوق ، والاقتصادِ ، والسياسةِ ، والإدارةِ ،

ووصفِ الشعوب ، وفى العلوم الفلسفية ، كعلومِ النفسِ والمنطقِ ، والأخلاقِ ، والتصوف ، والإلهيات ، والديانات .

٥ - لجنةُ الآدابِ والفنون الجميلة ، وتبحث فى مصطلحات التاريخ والجغرافيا والحرف والصناعاتِ وألفاظ الحضارة ، والفنون الجميلة كالرسم ، والتصوير والنحت ، والزخرفة ، والموسيقا ، والتمثيل ، والشِّعْر ، ومن مهامِّ هذه اللجنةِ أيضًا تصحيح الألفاظِ والأساليبِ الشائعة .

٦ - لجنة المعجم ؛ وتعملُ فى إعداد معجماتٍ ثلاثة : كبير ، وصغير ، ووسيط .

٧ - لجنة اللهجات ؛ وتُعْنَى بدراسات اللهجات العربية ، القديمةِ والحديثة ، فى مصر وسائر البلدان العربية .

وأنشأ المجمع - فى دورته الأولى - لجنة لغوية عامة ، تَشُدُّ أزرَ هذه اللجان كلها ؛ بما تُعَبِّده لها من طُرقِ الاصطلاح والتعبير العلميِّ الفصيح ، وبما تضعُ لها من معاييرَ وضوابط لغوية ، وبما تَسْتَنْهِضُه من تُراث العربية ؛ لكى يُلَبِّيَ حاجة هذه اللجان من مصطلحات وتعريفات . وسُمِّيَتْ هذه اللجنةُ اللغويةُ العامة - المُؤازِرةُ للجانِ كلِّها - « لجنة الأصول العامة » .

وقد زَوَّدَتْ لجانَ المجمعِ - فى دورته الأولى - بقراراتٍ فى « التضمين » (وهو إشرابُ فعلٍ معنى فعلٍ آخرَ ، وإعطاؤه حُكمه فى التعدية واللزوم) ، ونيابة بعضِ الحروفِ عن بعض ، وفى التعريب ، والتوليد ، والاشتقاق ؛ فأجازوا أن يُصاغَ للدّلالة على الحرفة وما يشبهها على وزن « فِعالة » ، كالصِّحافة ، والصِّرافة ، وأن يصاغ للدلالة على المرض على وزن « فُعال » ، كالصُّداع والرُّعاف ، ووضعوا أوزاناً قياسيةً لصياغة أسماء الآلات ، كما أجازوا المصدرَ الصناعيَّ بزيادةِ ياء النسب والتاءِ على الاسم ؛ كالحرية ، والوطنية ، والاشتراكية .

ومن أهمِّ قرارات لجنةِ الأصولِ العامةِ قرارٌ يُجيزُ الاشتقاق من أسماء الأعيان ؛ فاشْتُقَّ من الكهرباء « كَهْرَبَ» ، ومن المَغْناطيس «مَغْطَس » ، بل إن العالمَ الفرنسيَّ الكبير «باستور » دخل إلى العربية بُقبَّعته وعِلْمه ومَعْمله ، وخَرَجَ منها عربيَّ اللسانِ فى صورة فعْلٍ : « بَسْتَر » ؛ وهكذا تابعتْ لجنةُ الأصولِ العامةِ إصدارَ قراراتٍ تَعْمِدُ إلى توسعة مقاييس

اللغة ، وتيسيرِ قواعدِها ؛ فأخذتْ لغتُنا تُشَمِّرُ عن ساعدِها ، وتُسرعُ بخطاها لِلَّحاقِ بما يستكشفُه العلم ، ومتابعةِ ما يَجِدُّ فى الأدب والفنِّ والحضارة .

وعلى امتداد الأعوام الستين أخذت اللجان المجمعية تتكاثر ؛ فتَوالَدَ من أرحام اللجانِ العامةِ السبع لجانٌ عديدة :

فلجنة العلومِ الطبيعية والكيمائيةِ خرجتْ منها لجنةُ الفيزيقا ، ولجنةُ الجيولوجيا ، ولجَنَةُ النِّفْط ، ولجنة الكيمياء والصيدلة .

ولجنة العلوم الاجتماعيةِ والفلسفيةِ خرجتْ منها لجنة التاريخ والآثار ، ولجنة الجغرافيا ، ولجنةُ الاقتصاد ، ولجنةُ الفلسفةِ والاجتماع .

وعلى هذا النهج مضتْ لجان المجمع حتى بلغتْ عدتُّها خمسا وعشرين لجنة ؛ فالمجمع لا يَدَعُ تَخَصُّصًا إلا خَصَّصَ له لجنة ، وبذلك يجمعُ المجمع كلَّ فروع اللغةِ والعلمِ والأدبِ والفنِّ والحضارة ، سَبَّاقًا بلغتنا العربية إلى أحدثِ مايَجِدُّ فى كل ذلك من منجزات ومخترعات ، فتَجاوَزَ عَطاؤُه ثمانين ألفَ مصطلحٍ علميٍّ وفنيٍّ وحضاريٍّ ، وآلافا من الموادِّ المعجمية ، ومئاتٍ من القرارات اللغوية فى تيسير اللغة العربية ، قاعدةً ولفظًا وأسلوبًا ، ورسْمَ كتابةٍ هجائية وطباعية .

وخرجتْ بهذا العطاءِ الوافرِ قوافلُ من المعجمات والمجموعات اللغويةِ والعلميةِ والفنيةِ والحضاريةِ .

أما عضوية المجمع فقد تصاعدتْ كذلك عِدَّةُ الحائزين لها ، على امتداد أعوامه الستين ، فبدأتْ عام ثلاثة وثلاثين بعشرين عضوا ينتمون إلى مصرَ وسوريةَ ولبنانَ والعراقِ وتُونسَ من البُلدان العربية ، وإلى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا من البلدان الغربية .

ثم صَعَدتْ عدةُ الأعضاءِ إلى ثلاثين ، عامَ أربعين ، بتعيين عَشْرةِ أعضاءٍ جُدُد ، وبعد ستٍّ من الستين صدر مرسومٌ بتعيين عشرةِ أعضاءٍ جُدد آخرين ، ليبلغَ أعضاءُ المجمعِ أربعين ، وهؤلاء الأعضاءُ العَشَرةُ داعبهم المرحوم الأستاذ أحمد أمين فسمَّاهم « العَشرةَ الطَّيِّبة » فى كلمته التى استقبلهم بها نائبا عن المجمع ، وقد رأتْ هذه العَشرةُ الطيبةُ أن

يَنُوبَ عنها في الرَّدِّ على كلمة الاستقبال أصغرُها سِنًّا ؛ وهو أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور .

أيها السادة :

نأخذ الآن في حديث يُوجِزُ أعمال المجمع منذ مؤتمره السابق إلى هذا المؤتمر .

المجلس واللجان :

عقد مجلسُ المجمع ستًّا وعشرين جلسة ، نظر فيها ما أعدَّتْه اللجانُ من مصطلحات في الهندسة ، والجغرافيا ، والرياضيات ، والكيمياءِ والصيدلةِ ، والنِّفطِ ، والطِّبِّ ، والقانونِ ، وألفاظِ الحضارة ، والفيزيقا ، كما نظر المجلسُ قراراتٍ في أعمال لجان أصول اللغة ، والألفاظ والأساليب ، واللهجات . وستعرضُ هذه المصطلحاتُ والقراراتُ على المؤتمر ، مع طائفةٍ جديدةٍ من موادِّ المعجم الكبير ، (وبَقِيَتْ أعمال لجان : التاريخ والآثار ، والجيولوجيا ، والفلسفةِ والعلوم الاجتماعية ، والتربية وعلم النفس ، وعلوم الأحياء والزراعة ، والمعالجةِ الإلكترونية للمعلومات ، والأدب ، والشريعة الإسلامية ، وسيبدأ عرضها على المجلس عقب المؤتمر ؛ لتكونَ مُعَدَّةً للعرض على المؤتمر القادم ، إن شاء الله) .

مطبوعات المجمع :

صدر عن المجمع المطبوعات التالية :

- الأجزاء : الثاني والثلاثون ، والثالث والثلاثون ، والرابع والثلاثون ، من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية .
- الجزءان : الثامن والستون والتاسع والستون ، من مجلة المجمع .
- وأعيد طبعُ الأجزاءِ الأولى من المجلة ؛ فصدر منها الأول والثاني والثالث .

المسابقة الأدبية :

فاز بها الأستاذ علي علي الفَلال ، وكان موضوعها : « الدكتور محمد مهدي علام : سيرتهُ وجهوده الأدبيةُ واللغوية » .

وموضوع مسابقةِ هذه الدورة :

« القصة في أدب الطفولةِ المعاصر : دراسةٌ نقدية » .

صلات المجمع الثقافية :

مثَّل المجمع الزميل الدكتور محمود مكي في اجتماع الاتحاد الدوليِّ

للأكاديميات ، الذى عُقد فى « بروكسل » ، فى شهر يونية الماضى ، كما مَثَّله فى الندوة التى أقامتها الأكاديميةُ الملكيةُ المغربية بالرباط فى نوفمبر الماضى ، وموضوعها ، «قضايا استعمال اللغةِ العربيةِ فى المغرب» .

وفى الندوة التى عَقَدها اتحادُ المجامع العربيةِ بدمشق ، فى يناير من هذا العام ، لدراسة « معجم النِّفْطِ » الذى أصدره المجمع ، رافقتُ الزميلَ الدكتور محمد يوسف حسن إلى هذه الندوة ، التى شَرُفْتُ فيها بأن أنوبَ عن أستاذىَّ الجليليْن : الدكتور إبراهيم مدكور رئيس اتحاد المجامع ، والدكتور شوقى ضيف الأمين العام للاتحاد .

وفى مجال التقدير العلمىِّ لأعضاء المجمع نَوَّهتُ بمجرَّةٍ مجمعيةٍ فى سماء العلم والأدب ، يتألقُ فيها العديدُ من أعضاء المجمع ، الذين حازوا تقديراً رفيعًا فى مصر وخارج مصر ، وقد انضمَّ نجم « جديد » إلى هذه المجرَّةِ المجمعية ، هو الدكتور محمد يوسف حسن الذى اختير رئيساً للأكاديمية المصرية للعلوم .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر جلساتٍ عَشْر ، إحداها علنية ، وهى جلسة الافتتاح ، والتسعُ الباقياتُ مغلقة ، نظر فيها المؤتمر مصطلحاتٍ فى الطبِّ والرياضيات ، والجيولوجيا ، وعلومِ الأحياء والزراعة ، والفيزيقا ، والحاسبِ الآلىِّ ، والقانونِ والتاريخ والآثار ، والجغرافيا ، والموسيقا ، والتربية وعلمِ النفس ، وقراراتِ لجنتى أصولِ اللغة ، والألفاظِ والأساليب ، مع موادَّ جديدةٍ من المعجم الكبير .

وكان الموضوعُ المقترحُ لبحوثِ المؤتمر : المعجم العربىّ : مناهجَه ومصادرَه » ، عالجتْه سبعةُ بحوث ، كما ألقيت بحوث أخرى فى شئون لغويةٍ ، وأدبيةٍ ، وعلميةٍ ، وفنية ، مع شعر صَدَحَ به الشاعرُ الأستاذ حسن عبد الله القُرشىُّ (عضوُ المجمع المراسل من السُّعُودية) . وستنشر كلُّها فى مجلة المجمع .

وفى الجلسة الختامية أصدر المؤتمر قراراتٍ وتوصياتٍ منها مايلى :

• يوصى مؤتمر المجمع بإنشاء هيئة علميةٍ مقرُّها القاهرة ، تابعةٍ لاتحاد المجمع العربية ،

تعمل على وضع خطة قومية لتعريب العلوم ، وتكون مهمتها ما يلى :

أولا : حصر المصطلحات التى أقرَّتها المجامعُ اللغويةُ ، ومكتبُ تنسيق التعريبِ بالرِّباط ، مع مقابلاتها الأجنبية فى العلوم والفنون المختلفة .

ثانيا : العملُ على توحيد المصطلحات فى كل علمٍ وفنّ ، وإصدارُ معاجم لها ، تُتداول فى جميع البلاد العربية ، وجامعاتها ، ومؤسَّساتها العلمية .

ثالثا : ترجمةُ طائفة من أمهات الكتب العلمية .

- ويُوصى المؤتمرُ الدولَ والحكوماتِ العربيةَ بالحرص على أن تكون اللغةُ العربيةُ الفصحى هى اللغة التى تلْتزمُ بها جميعُ وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وبخاصة فى مسارح الدولة والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية .
- ويؤكِّد المؤتمرُ توصيته السابقَة بالتزام رجالِ الدولةِ فى الوطن العربىِّ أن تكونَ خُطَبُهم وبياناتُهم الموجَّهةُ إلى الجماهير بلغةٍ عربيةٍ سهلةٍ وصحيحة .

أيها السادة :

يحرصُ المؤتمر - منذ سنواتٍ عديدة - على اختيار قضية من قضايا اللغة والعلمِ والأدب ، لتكون موضوعًا لبحوث أعضائه ، واختار هذا العام قضية « تعريب العلوم » ، التى شغلت المجمع منذ إنشائه ، فأصدر فى دورته الأولى قراره فى التعريب ، الذى يجيز استعمال بعضِ الألفاظِ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب فى تعريبهم .

وفى الدورة الثانية والعشرين أصدر المجمع قراراً بشأن رَسْمِ الألفاظِ المعرَّبة ، عند اختلافِ نُطْقِها فى اللغات الأجنبية . ثم أصدرَ المجمعُ قراراتٍ عديدةً منذ دورته الثانية والثلاثين ، بشأن القواعد التى تُتَّبعُ فى كتابة الحروف الأجنبية عند نقلها إلى الحروف العربية .

وقد عُنِىَ المجمعُ بقضية التعريب منذ دورته الأولى ؛ لأن التعريبَ صار ضرورةً لنا ونحن ننهض بلغة العلم ، ونُتابع بها أحدث ما وصَلَ إليه فى عصرنا الحاضر .

وإذا كُنَّا - نحن العربَ - نلجأُ الآن إلى « التعريب » فقد سَبَقنَا الغَرْبُ فى اللجوء

إلى « التَّغْريب » ، حين كانت لغتنا لغةَ العلمِ الرائدة ، طوال قرونٍ عديدة ، وأخذ أهل الغَرْبِ من الأوربيين يقبلون على تَعَلُّم العربية ، ليأخذوا عنها علومَ الطبِّ ، والفيزيقا ، والهندسة ، والرياضيات ، والجيولوجيا ، والفلكِ ، والفلسفةِ والمنطق ، والجغرافيا ، وغيرذلك من العلوم التى أكَبَّ الأوروبيون على تعلُّمها بالعربية ، ثم على نقلها إلى لغاتهم ، وغَرَّبوا العديدَ من المصطلحات العربية . وظَلَّتْ حركة « التَّغْريب » نَشيطةً لديهم ، حتى استوعبوا علوم العرب ، وأخذوا يجعلونها ركائزَراسخةً شامخة ، لنهضتهم العلمية والحضارية ، فى الوقت الذى هَبَّتْ فيه على العرب عواصفُ الفُرقة والتَّصارع ، فزعْزَعَتْ ركائزَ نهضتهم وعِزتهم ، واستغرقهم رَغد العيش ، فاستكانت الهِممُ والعزائم ، وانحسرت اللغة العربية عن ساحات العلوم والآداب والفنون ، وظَلَّتْ حبيسةَ تُراثٍ تَجمَّدَتْ أصوله ، مع سكونِ حركتِه ، وتَوقُّفِ نشاطه عن انطلاقه إلى كل جديد فى العلم والحضارة ! .

وظَلَّتْ آثارُ « التَّغْريبِ » ماثلةً فى علوم الغَرْب ، مُتَمثِّلة فى مصطلحات عربيةٍ عديدة ، أخذوا يتداولونها فى بحوثهم وجامعاتهم !

والعجيب الطريفُ أن هذه المصطلحات العربية المغَرَّبةَ عادتْ إلينا حين أخذنا نتَلَقّى علومَ الغَرْب ، فظَنَّها كثيرٌ من الباحثين والدارسين مصطلحاتٍ أجنبية ، ولم يُدْركوا أنَّ تحت قُبَّعات هذه المصطلحاتِ عَمائمَ عربية !

ونحن حين نُعالج اليومَ قضيةَ « تعريب العلوم » لا نَعْني بذلك أن يكون لنا عِلْمٌ عربىٌ ؛ فليس هناك عِلْمٌ إنجليزىٌ ، وعِلْمٌ فرنسىٌ ، وعِلْمٌ ألمانٌى أو رُوسىٌ أو أسبانىّ ؛ فالعلمُ عالمىٌّ ، لاجنسيةَ له ولاوطن . والنظريات الهندسيةُ أو الرياضيةُ أو الطبيعية وغيرها تَشيعُ بين العلماء ، وإذا ظهر جديدٌ فى العلم - فى أى بلد - سرعانَ ما يُقبلُ عليه العلماء من كل البلدان ، وقد ساعد على ذلك التقدمُ الباهر فى وسائل الاتصال المعاصرة ، وما تُعْقَدُ المؤتمراتُ هنا وهناك إلا ليتبادلَ العلماءُ ما لديهم من آراءٍ ومُكتَشفات !

فالمرادُ بتعريب العلوم أَنْ تُؤَلَّفَ بحوثُها بالعربية ، مع تواصلها الدائم بالبحوث العلمية

فى اللغات الأجنبية ، وهذا يفْرِضُ على العلماء إتقان لغةٍ أو أكثر من اللغات الأجنبية ، لتحقيق هذا التَّواصُلِ العلميّ .

أيها السادة :

إذا كان الشئُ بالشىءِ يُذكَرُ - كما يقولون - فإنَّ « التَّعْريبَ » فى مجتمعنا قَفَزَ من قاعاتِ البحث إلى الشارع المصرىّ ، وأَخَذَ يُعَرْبِدُ فيه ، ويُشَوِّهُ ملامحه المصرية العربيةَ الأصيلة بهذه الأسماءِ والعناوين الأجنبيةِ ، التى كُتِبَتْ بحروفٍ عربية ، على واجهات المحالِّ ، والشركات ، والإعلانات ، وقد استَشْرى داؤها حتى صار وباءً تَتفاقَمُ عَدْواه ، وبَلَغت السَّفَاهةُ إلى الخَلْط بين الكلمات العربية والأجنبية ، حين تقرأُ مثل : « السلام شُوبنج سنتر للمُحجبات » فخدشوا حياءَ اللغةِ والمحَجَّبات . بل إن اسمَ « القاهرة » قَهَرُوه حين غَرَّبُوه بين ربُوعها ، فتقرأُ مثل : « جولاش كايرو الآلىّ » ، مُفَضِّلين « كايرو » على « القاهرة » فى عُقْر دارها !

وقد تَصدَّى المجمعُ لهذا الوباءِ اللغوىِّ فأصدر قراراً يدعو إلى إصدار تشريع يَحْظُرُ ذلك ، و بعث به إلى سلفكم - أيها الوزير - الدكتور أحمد فتحى سرور ؛ بوصْفِ وزير التعليم مُمثلا للمجمع فى الجهاز التنفيذىّ للدولة ، فَرَفع القرار إلى رئاسة مجلس الوزراء .

وإنِّى أُناشدُكم - أيها الوزير - أن تعملَ على إنقاذ وجه القاهرة العربىِّ الجميل ، من هذه البُثورِ والنُّدُوب - وأنت الطبيب - فتُبادرَ إلى استصدار هذا التشريع ؛ فمن التشريعات ما هو طِبٌّ للبُلْدانِ والشعوب !

أيها السادة :

لا يفُوتُنى - فى ختام كلمتى - أن أوَجِّه باسمِ المؤتمر تحية إلى زملاءَ قَعَدَ بهم المرض عن شهود جلساته ، وهم الأساتذةُ الأجلاء :

صاحبُ الفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والدكتور عبد العظيم حفنى صابر ، والدكتور حسين مؤنس ، وتحيةً كذلك إلى الدكتور بديع توفيق حسن (الخبير بلجنة الرياضيات) والدكتور عبد الفتاح الحلو (الخبير بلجنة المعجم الكبير) ، اللذيْن قَعَدَ بهما المرضُ عن استكمال عملهما فى هذه الدورة . أسبغَ اللهُ عليهم جميعًا نعمةَ الشفاء والعافية .

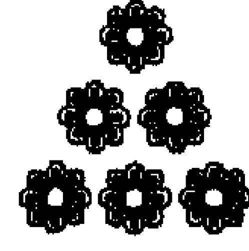
كما لا يفوتُنى أن أُوجِّه باسم المؤتمر تحيةً إلى زملاءَ أشقاء ، فُرِضَ حَظرٌ دولىٌّ على بلادهم ، عاقهم عن شهود مؤتمراتنا ، وقد كانوا سبّاقين إليها ، وهم : عَلاَّمةُ العراق وشيخُه الجليل الأستاذ محمد بهجة الأثرىّ (عضو المجمع من العراق) والدكتور حسين على محفوظ (عضو المجمعِ المراسل من العراق) .

وكذلك شيخُ علماءِ ليبيا الأستاذ على رجب (عضو المجمع من الجماهيرية الليبية) . رَفَعَ اللهُ عنهم إصْرَهم ، وفرَّجَ حَظْرَهم ، ومَكَّنَ لهم من السُّبُل ما يجمعُنا بهم ، إن شاء الله .

شكرا لكم على كريم سعيكم إلينا ، وبخاصةٍ مَنْ تَجَشَّم القُدُومَ إلينا من بلادهم الشقيقة والصديقة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إبراهيم التَّرزى

الأمين العام للمجمع



كلمة الأعضاء العرب

للأستاذ الشاذلي القليبي

عضو المجمع من تونس

سيادة رئيس المجمع ،

السيد الأمين العام ،

السادة الأساتذة الأعضاء .

يسعدني ويشرفني - بعد غياب طويل - أن أجد نفسي من جديد في هذا الملأ الكريم ، فأخاطبه في مستهل المؤتمر السنوي لمجمعنا ، هذه المؤسسة التي نعتز بها جميعا ، والتي يحفل سجلها بجهود متواصلة ، مرموقة ، في خدمة اللغة العربية التي كانت - ولا تزال - في مقدمة ما يربط بين شعوبنا ، منذ أربعة عشر قرنا .

وإذ تقرر أن يكون الموضوع الرئيسي لهذه الدورة « تعريب العلوم » ، فإني أستأذنكم في أن أقدم جملة من الخواطر المتصلة بقضية العلوم ، ومدى الانتفاع بتعريبها في البلاد العربية ، وبيان منزلتها المركزية ، من نهضتنا الفكرية والاجتماعية ، وتأكيد العلاقة المكينة بينها وبين قضية التنمية عامة .

أيها السادة :

يثير موضوع تعريب العلوم مشاكل كثيرة ، بعضها ذو طابع اجتماعي ، وبعضها يتعلق بتنظيمات وهياكل .

فالمشكل الاجتماعي يتمثل في أن استعمال اللغة العربية لا يبدو ضروريا في نظر الكثيرين ممن يشتغلون بالعلوم . فكأنهم يرون لغتهم قاصرة ، إضافة إلى ما يعتقدون من عسرها البالغ . فيسارعون إلى استعمال لغة أجنبية حالما يتعلق الشأن بمعلومات دقيقة أو اكتشافات علمية حديثة .

والمعروف في البلاد المتقدمة أن رجال العلم يحسنون التكلم بلغتهم بتفوق . فلا يتصور أن يبلغ الواحد منهم الدرجات العلى في ميدانه ، إذا لم يكن متضلعا من لغته ، قائما بدقائق نحوها وصرفها ، قادرا على التعبير بها ارتجالا دون لحن . ومن كان اللحن عادته -

سواء من رجال العلم أو من رجال السياسة - فإن وسائل الإعلام تشهر به ، ويصبح مضرب الأمثال .

لكن الأمر عندنا يختلف اختلافا كليا .

فالذى يلاحظ فى كثير من الأحوال هو أن عددا غير قليل من الذين يشتغلون بالعلم عندنا لا يحسنون استعمال العربية . وبعضهم يجعل انتسابه إلى العلم عذرا عن اتقان اللغة . ومن هذا البعض من يعتقدون أن فى إجادة لغة أجنبية مندوحة عن الإفصاح باللغة الوطنية . ولا نرى من يستسهل الاعتراف بجهله فى أى حال ، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية . وقد نرى من يعلن قلة درايته بقواعد اللغة العربية فى مثل التبجّح ، فيأتى اللحن ويراطن مخاطبيه فى شىء من الخيلاء .

والأنكى من كل ذلك أن المجتمع العربى يبدو قابلا لهذه المعاذير ، ضاربا صفحا عن المؤاخذة باللحن وأنواع الرطانات ، كأن لسان حاله يقول : العربية أصعب من أن يضيع وقته فى تحصيلها من له مسؤولية سامية يقوم بها ، أو علم جليل ينكب عليه .

أيها السادة :

إن قدرة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية وإيجاد الاشتقاقات المناسبة لها ، أمر قامت عليه الحجج الساطعة .

ولقد برهنت العربية عن هذه القدرة فى العصور التى كانت فيها تضطلع بزعامة البحث العلمى والإبداع الحضارى ، والمكتبة العلمية العربية التى تعود إلى تلك العصور حافلة بالألفاظ والتعابير التى كانت تعد مرجعا بالنسبة إلى الأوساط العلمية فى مختلف أنحاء العالم المتحضر ، يقتبسون منها . ومن هذه المكتبة يمكن اليوم لرجال العلم العرب ، أن يستخرجوا معجما ضافيا يغطّى الكثير من احتياجاتهم فى مختلف المجالات .

وبقطع النظر عما تمتاز به العربية من خصائص فذة جعلتها لغة الدين والعلم والفلسفة والأدب والشعر ، فإن فكرة قصور لغة ما عن آداء أى مفهوم جديد ، علميا كان أم فلسفيا ، لا حجة تسندها ، إذ نرى شعوبا شتى ، صغيرة العدد أو كبيرة الحجم ، تستخدم لغتها فى تدريس العلوم ، وفى البحث

العلمى ، وفى سائر المرافق التكنولوجية ، دون أن يكون ذلك عائقا لها فى شئ .

أيها السادة :

من المشاكل التى تتعلق بتعريب العلوم نوع ثان يخص منهجية العمل فى هذا المجال .

فتعريب الألفاظ العلمية الحديثة قد يكون بالرجوع إلى كتب العلم القديمة لاصطفاء ما يناسب منها ، سواء كان ذلك بالتطابق الكامل أو بالمقاربة ، وتحميل الكلمة القديمة معنى إضافيا . فإذا تعذر العثور على اللفظ القديم المناسب ، فالاشتقاق الذى هو من خصائص العربية كفيل بأن يفى بالحاجة .

أما الإبقاء على الجذور الأجنبية للمصطلحات العلمية ، فلا نرى أنه يمكن الأخذ به قاعدة مطردة . وليس ذلك متبعا لدى الشعوب المعتدة بلغتها مثل الشعب الألمانى الذى ، على سبيل المثال ، يصرّ على تسمية التلفزة بلفظ ألمانى مغاير لما هو متداول فى بقية العالم .

ثم إن الملاحظ أن جهودنا فى تعريب العلوم تتسم بضعف التنسيق وبتضارب الاجتهادات فى الكثير من الأحيان ، حتى أن اللفظة لا تكاد تفهم على وجهها الصحيح فى غير القطر الذى أنشأها . وهذا يعود إلى غياب التعاون المنظم بين جامعاتنا ، ومعاهد البحث العلمى عندنا ، وإلى فقدان الندوات الدورية فى مختلف القطاعات ، لتمكين ذوى الاختصاص من التلاقى بانتظام ، لمناقشة حصيلة دراساتهم ومقارنة ملاحظاتهم .

ويعزى هذا أيضا إلى أن مجامع اللغة فى البلاد العربية لم تهتد بعد إلى أسلوب عملى لتنسيق جهودها ، وجعل خططها الدراسية متضافرة متكاملة .

ثم إنه يجدر أن نتساءل عن جدوى التعريب لعلوم تنهج لها وتضطلع بالبحث فيها أمم غيرنا . ونحن لا نتجاوز فى أغلب الأحيان حد التعلم والاقتباس . فتعريب العلوم إن لم يقترن بحركة جادة متجهة إلى البحث العلمى والاجتهاد التكنولوجى ، فإنه يبقى عملا سطحيا بدون جذور ولا كبير نفع .

أيها السادة :

إن وظيفة هذه المؤسسة العتيدة الرفيعة الشأن تنطلق من الغيرة على اللغة العربية ، والإيمان بقدراتها العظيمة ، والوازع القوى إلى صيانتها وتنميتها . وبهذا الاعتبار فإن مهمة المجمع تتجاوز الإطار اللغوى إلى كل ما به تستقيم صحة اللغة وتزداد قوة على التعبير ونصاعة فى الأداء وذلك أن اللغة منصهرة فى حياة المجتمع ، تعبر عن مآربة وتطلعاته وخلجاته ، إضافة إلى ما حمّلتها الأجيال السابقة من دلالات ومفاهيم ومجازات . ولسنا نبالغ فى شئ إذا ما قلنا إن قوة اللغة من قوة مجتمعها ، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر ، لابد أن ينعكس عليها بالركود والانكماش .

إن قدرة اللغة على التعبير ، ومرونتها فى الأداء ، وطاقاتها باتجاه التجديد والإبداع ، كل ذلك مستمد من حيوية المجتمع وتجدد اهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده .

فقضية اللغة مرتبطة إذن أشد الارتباط بالفكر وحركيته ، والثقافة وشموليتها ، والحضارة وإبداعاتها المتواصلة .

ويمكن أن نوجز هذه الحقائق كلها بأن نقول :

إن تنمية اللغة إنما هى متوقفة على تنمية المجتمع .

وكثيرا ما يذهب الساسة ، فى البلاد التى تنشد التنمية ، إلى أن أدواتها تنحصر فى الحقل الاقتصادى . والحقيقة أن التنمية تشمل كل أنشطة المجتمع : الفكرية منها والثقافية والعلمية ، إلى جانب القطاع الاقتصادى . ذلك أن التنمية ليست بعملية سطحية ، تخص مظاهر اجتماعية أو اقتصادية يمكن حصرها ، وتسليط الإحصاء عليها . التنمية لا تكون حقيقية إلا إذا كانت شاملة لكل القطاعات ، كما ذكرنا آنفا ، وكان الهدف منها « تفعيل » المجتمع ، بتعزيز قدرته على الحركة وعلى المبادرة . والخروج من التخلف إنما هو خروج من السلبية التى كان المجتمع مخلدا إليها ، بتفجير ينابيع الاجتهاد فى أعماقه .

أيها السادة :

إن شعوبنا العربية ، فى هذه الحقبة ، مضطرة ، أكثر فأكثر ، فيما يخص مرافق العيش والاقتصاد ، إلى مد جسور بينها وبين

العالم الملقّب بـ « المتقدم » الذى غمر الدنيا بإنتاجه ، ودوّخ سائر الأقطار بسيطرته الإعلامية ، وإشعاعه الثقافى ، ونفوذه الاقتصادى والمالى والسياسى ، فضلا عمّا استتب له من سيادة بالقوة العسكرية . والخيارات المتاحة لشعوبنا ، بخصوص نوعية الاتصال بهذا العالم المتقدم ، تنحصر فى أحد وجهين : إما البقاء فى سلبية تامة تجاهه ، فتكون أقطارنا سوقا مفتوحة له بدون حراك ولا مبادرة ، وإما التفاعل معه بقوة متطورة ، فى نطاق تنمية حقيقية ، تضمن لشعوبنا القدرة على إنشاء علاقات تبادل متكافئة أكثر فأكثر ، مع سائر الأمم .

لكن التنمية فى عصرنا هذا تتوقف ، إلى أبعد الحدود ، على ما للشعب من قدرات علمية ومهارات تقنية وطاقات تكنولوجية . فرهان التنمية مرتبط اليوم بمدى السيطرة على هذه المجالات الحيوية لدفع عجلة التنمية – وكذلك لضمان الحد الأدنى من القوة الدفاعية .

والسيطرة على العلوم والتكنولوجيا وسائر التقنيات الحديثة لا تكون بتعلّم ما يكتشفه الغير ، والاقتباس من بحوثهم ، وتقليد ما يصنعونه . السيطرة لا تكون إلا بالمشاركة الفعلية فى البحث العلمى وإثرائه ، وابتكار التقنيات المتلائمة مع مناخ شعوبنا الثقافى والاجتماعى ، والارتقاء إلى مرتبة الاجتهاد فى كل ما يحتاج إليه المجتمع العربى من أدوات وأجهزة ومرافق ، حتى لا يبقى عالة على ما يأتيه من الخارج ، مرتهنا ، فى مجالات حيوية ،بقرار غير قراره .

ولبلوغ هذه الدرجة من السيطرة على العلوم والتقنيات ، لابد من بذل جهود عظيمة فى إطار مناسب من الإمكانيات المادية والبشرية ، ومن حيث المناخ الاجتماعى .

وفى ذلك تحديات تواجهها شعوبنا ، عديدة .

التحدى الأول يتعلّق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى . وهى أثقل من أن تقدر عليها دول أوروبية من حجم ألمانيا أو فرنسا ، فما بالك دولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية .

ويدخل فى هذا التحدى أيضا ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة

وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا ، فضلا عن أقطار لا تزال فى أول مسيرتها الإنمائية .

وليس فى العالم اليوم دولة غير الولايات المتحدة تقدر ، منفردة ، على التغلب على معطيات هذا التحدى ، فيكون لها من أهل العلم والتقنية ما يفى بالحاجة ، ويكون فى مقدورها أن تخصص المبالغ التى يقتضيها البحث العلمى ومختلف نفقات التجارب التكنولوجية . ولذلك نرى الاتحاد الأوروبى يسعى لتوحيد جهود دوله فى هذه المجالات ، كى لا يبقى تابعا لأمريكا ، محتاجا إلى الأخذ عنها .

فهل نستخلص من هذه الحقائق أن الطريق مسدود أمام شعوبنا .

لاشك أن شعوبنا لن يتسنى لها كسب التنمية إلا بالعلوم والتكنولوجيا . ولاشك أن السيطرة على العلوم والتكنولوجيا لن تتحقق إلا ببناء القدرة على البحث العلمى والإبداع التكنولوجى ، لا لسد حاجياتنا جميعا - وهى غاية يعسر إدراكها حتى على الدول العظمى - بل للإصلاح من علاقتنا مع سائر الأمم ، وجعل هذه العلاقة تتطور نحو التكافؤ ونحو الإفساح من حرية قرارنا .

وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص فى عدد العلماء والفنيين - أو أحيانا فى كليهما معا - فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم إمكانياتنا جميعا حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها . ومسؤولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه ، يجب أن تتفرغ لهما المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، لأن هذا العلم هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها ، لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون ، وتقدر على الكثير مما يقدرون عليه . وحبّذا لو تفرغت كذلك لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية . فإن ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة .

وعندئذ تزداد أهمية ما ندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم ، لأن

مجتمعاتنا لا تكون مقتصرة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه ، بكل طاقاتها الفكرية والمادية .

وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة وإشعاع وكفاية ، لمّا كانت سيّدة لغات زمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والاجتهاد الفلسفى ، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة .

هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفوز به لتمسك بزمام مصيرها ، وتدخل المحافل الأممية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال ، لا فقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو مندّدة بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح ، وعلى الأرض ، وعلى الثروات .

وهو عمل يستحق أن تضحى دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال ونفيس وإن تضمن له الوسائل اللازمة ، من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا ، ورصد المبالغ المالية الكافية لإنجاح خططهم ، واتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث ، للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة .

أيها السادة :

بتنامى المبادلات الاقتصادية والثقافية ، وتزايد التفاعل مع المجتمع الدولى ، تتسرب إلى مجتمعاتنا ألوان من السلوك ، ونماذج من التفكير ، تنتمى إلى الحضارة الجديدة التى تتنافس على زعامتها أوروبا وأمريكا ، والتى هى فى طريقها إلى أن تسود العالم بأسره . وتتسرب هذه الشوائب فى طى ما نتطلع إليه من إنتاج ثقافى وفنى ، وما نأخذ به من أساليب الفكر الحديث ، ومن خلال ما نتعود الاحتياج إليه من أجهزة ووسائل تقنية أصبحت من ضرورات الحياة اليومية .

نعم كل واحدة من هذه الهنات لا وزن لها – أو هى تبدو كذلك – ولكنها أكثر من أن تحصر ، وهى تكتنفنا من كل جانب . ومجموعها ثقيل الوطأة ويؤول بمجتمعاتنا إلى تغيرات عميقة تمس التقاليد وتنفذ إلى القيم الاجتماعية ، وتنال أحيانا من القيم الأخلاقية . وإذا بنظرتنا إلى الأشياء تتغير ، وإذا بتقييمنا للأمور يتبدل . وينحل ، من حيث لا نشعر ، رباط التكافل بين أفراد العائلة . وتضعف

أو اصر التضامن داخل المجتمع . والتضامن والتكافل هما من أهم مقومات حضارتنا ومن أقوى دعائم مجتمعاتنا .

وهذا هو التحدى الثانى الذى تواجهه مجتمعاتنا العربية . وقد يحبط جهودها فى التغلب على التحدى الأول ، باختلاط السبل أمامها ، وتفاقم الجدال فى خصوص آثار التنمية على الأصالة ، وما ينتج حتما عن مساعى الحداثة من مخاطر نختلف فى تقييمها ، وفى طرق التحصن منها .

فالتحدى الأكبر الذى تواجهه مجتمعاتنا اليوم - بعد تحدى وبسببه - إنما ينصب أساسا على إيجاد توازنات حية مرنة بين التنمية وما تقوم عليه من اجتهادات وحركية وتطور ، وبين واجب الحفاظ على شخصيتنا الحضارية وذاتيتنا الثقافية .

وتلك من أكبر المعضلات التى تواجهها الإنسانية عامة . وهى أشد وطأة وأصعب مراسا بالنسبة إلى مجتمعات متخلفة لا تملك من الحيوية الاجتماعية والحركية الاقتصادية ما يمكنها من حرية القرار وشرف المسؤولية .

وأخطر ما يهدد مجتمعاتنا من جراء ذلك ، تضاؤل الرابطة بالتراث ، وتراجع عاطفة الانتماء عند من يسميهم الجاحظ بـ «النابتة »، لتغلب الانبهار عندهم بحضارة قدرت على ضبط نواميس الطبيعة ، ونفذت بالحس أو بالمعنى ، إلى أقطاب الكون ، إضافة إلى أنها أعطت الإنسان الغربى قوة سيطرة لم يسبق أن ارتقت إلى مثلها أمة فى التاريخ .

ومن نتائج هذا الانبهار أنه يجعل ، إلى جانب ثقافتنا القومية ، ثقافة مرجعية تحكم تقييماتنا الأدبية والفنية ، وتوجّه أغلب أنشطتنا الاجتماعية والفكرية وتغير من لغتنا ،لا فقط بإدخال كلمات اجنبية عليها ، بل بتغيير سبك جملها ، وبإقحام تراكيب أعجمية فيها ، وقوالب وصيغ تعبيرية ليست متآلفة مع النفس الأسلوبى الذى تختص به لغتنا .

لكن شئنا أو أبينا ، فإن ما تصبو إليه شعوبنا من ازدهار وتقدم وسؤدد ، هو هذا الثالوث من المرجعيات التى تفرض علينا حضاريا ، وثقافيا ، ولغويا .

وإذا نحن تصدينا للعملية الإنمائية بكل ما تعنيه من تفعيل للمجتمع ، وإخراجه من السلبية ، فإن وعينا لخطر هذه المرجعيات الحضارية والثقافية واللغوية كفيل بأن يساعد على صيانة ذاتيتنا من الانبهار ، وحثنا على الأخذ بالنسبية فى تقييم مخاطر ما يسميه البعض بالتلوث الحضارى والثقافى واللغوى، وإقناعنا بالسعى لمعالجة ما يمس القيم العليا واللحمة التى بها تماسك مجتمعاتنا ، بما يلزم من حيطة وحذر .

فمدار الرهان فى التنمية والسيطرة على أدوائها إنما هو فى القدرة على التمييز بين الجوهر والأعراض . فأما الجوهر فهو بناء مجتمعات قوية ، مزدهرة ، يحق الاعتزاز بها . وتلك هى الكرامة الحقيقية . وأما الأعراض ، فما سوى ذلك من تنظيمات ، دخيلة أو قديمة ، بعضها مرتبط بظروف الزمان والمكان ، وبعضها يختلف باختلاف البيئات الحضارية والأجواء الثقافية .

والتمييز بين الجوهر والأعراض ، أن يصبح واضحا كل الوضوح لدى شعوبنا ، فإنه يمكنها من الصبر على بعض الأذى ، من أجل الحصول على أسباب العزة والكرامة .

هذه الصحوة فى التمييز بين الأمور وجعل كل منها فى نصابه ، هذه الصحوة ضرورية ، حتى لا تخطئ مجتمعاتنا ، فتتجه إلى تحديات غير نافذة ، فتخرج من ساحة التاريخ ، لذهاب ريحها وانقطاع جهدها .

وضرورة هذه الصحوة تزداد قوة وتأكدا ، نظرا إلى وجود أمتنا فى منعرج من صراعها مع الصهيونية : فإما أن تكسب معركة السلام مع إسرائيل ، وذلك يتطلب منها اقتصادا ناميا بحق ، وجهودا متناسقة بجد ، لأن السلام معركة حامية الوطيس ، يكسبها ذوو الإرادة القوية المعززة بطاقات عتيدة من العلوم والتكنولوجيا والتنمية الشاملة . وإما أن يتم لإسرائيل - لا قدر الله - ما خططت له الصهيونية من هيمنة على المنطقة وثرواتها ، فتكون دولنا قد فشلت فى قيادة الحرب ، وتكون شعوبنا قد خسرت معركة السلام .

السيد الرئيس

السيد الأمين العام

أيها السادة

فى تاريخ أمتنا فترات كانت فيها تروم بلوغ أهداف جليلة ؛ فإذا بنكبات تحل بها أو بفتن تزعزع أركانها ؛ فتنتكس مسيرتها نحو القوة والعزة .

وفى تاريخ الإنسانية مواعظ تشير إلى أن الأمم ، كالأفراد ، معرضة للموت و الاندثار ، لصروف كثيرة من التاريخ ، منها انقطاع الصلة بالجذور أو الوقوف عند الماضى والانشغال عن المستقبل .

إن قوة الأمة من قوة جذورها ومن قدرتها على صنع مصيرها ، معا ، بدون انفصام بين هذين الركنين .

وإنه من جد شعوبنا أن تؤلف أمة ، بتاريخها المشترك ، وحضارتها المجيدة ، وهذه اللغة التى تحدت الزمان ، ونفذت إلى البيئات الثقافية الدانية منها والقاصية .

وقد كان الانتساب إلى أمة واحدة أحيانا مجلبة للمتاعب ، لسوء فهم بعضنا للأمة ، والخروج بعضنا عن فروض الأخوة والتضامن والمحبة التى هى أصل معانى الأمة .

فالامة رصيدنا ، ينبغى أن لا نفرط فيه ، كما ينبغى أن لانسئ التصرف به .

أن تذهب ريح أمتنا العربية ، بتشتت شعوبها وتناقص اجتهادات دولها ، فإن وزن كل شعب من شعوبنا ينخفض ، ومكانة كل دولة من دولنا تنتقص .

ولاشك أن إشعاع ثقافتنا فى العالم سيتراجع ، وأهمية لغتنا فى المحافل الدولية ستتضاءل . فترتد هذه وتلك إلى إقليمية ضيقة دون رسالة إنسانية تذكر ، ودون استناد إلى فضاء بشرى منتظم الأوصال .

بهذا الاعتبار ، فإن كل ما يتعلق بنهضة مجتمعاتنا : فضاء حضاريا وثقافيا ولغويا ، وكل ما يهم شعوبنا : أمة متضامنة الأوصال متكاتفة ، فإنه يهم هذا الملأ الكريم الذى رسالته الذود عن اللغة العربية فى جذورها وفروعها .

السيد الرئيس

السيد الأمين العام

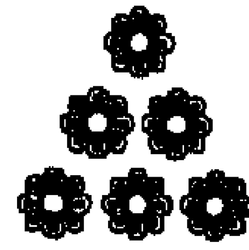
حضرات السادة الزملاء

الذى أود أن أختم به هو أن جيلنا مطالب بأن يجد نقط الوئام والتضافر بين القوى التى تشد أوصال هذه الأمة : اللغة والحضارة ، والسياسة ، حتى لاينفرط العقد ، بطغيان أحد الأثافى على الاثنين الآخرين .

وينبغى أن تنتظم نقط الوئام حول محور رئيسى ذى قطبين : التكافل فى التنمية والتضامن حين البأس . باستقامة هذين الركنين ، تستقيم رسالة أمتنا الحضارية ، ويتسنى صيانة شخصيتنا وزيادة لغتنا قوة وعزا .

الشاذلى القليبى

عضو المجمع من تونس



كلمة أخرى للأعضاء العرب

للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

أين شعراء عصرنا على كثرة عددهم ، أين الجرىء منهم ، والجرىء فيهم كثير ، وجرأة بعضهم بالحقّ حينًا ، وبالباطل أحيانا ، أين الجرىء فيهم جرأة شاعر العربية بدوى الجبل يوم خاطب عصبة الأمم ، وكانت تفصل فى اقتسام أسلاب المنتصرين على ألمانيا من أملاك الخلافة الإسلامية بعد أن مزقوها ، قال رحمه الله :

ياعصبةَ الأمم القوية حاذرى
بأسَ الضعاف وحزمها وكيادَها
لاتأمنِى بأسَ الأعاربِ إنهُم
كادت تفارق بيضُهم أغمادَها
وكأننى بالصِّيدِ من أمرائها
يومَ الحميَّةِ أنكرتْ أحقادَها

وهل يستطيع شاعرٌ جرئٌ بالحقّ أن يقول مثل قول بدوى الجبل وهو يعرف أن السيوف رقدتْ فى أغمادِها تستريح ، وأن الأحقادَ ما زالتْ تتأجج فيِ الصدور ، يؤججها العدو بما يُورِّده ، أو بما يُستورد منه !

(فلا حول ولاقوة إلا بالله)

رحم الله أمير الشعر إذ قال من سنوات فاقت العشرات :

حياةٌ ما نريدُ لها زيِالا
ودنيا لانود لها انتقالا
فلم تضق الحياة بنا ولكن
زحامُ السوء ضيّقها مجالا
ولم تقتلْ براحتها بنيها
ولكن سابقوا الموت اقتتالا
ولو زادَ الحياةَ الناس سعياً
وإخلاصاً لزادتهم جمالا

✿ ✿ ✿

ياساريَ البرقِ جدْ بالحيِّ منزلةً
جُدنا عليها دماءً من مآقينا
شطّت بنا الدار فالذكرى تؤرِّقنا
ولامعُ البرقِ وهناً باتَ يُشجِينا

كم ذا نُؤَمِّلُ بالبشرى وتُخلفنا

ونسألُ الطيفَ إسعاداً ويُشقينا

سادتى الأجلاء

سألنى شاب أمس والنباهة تبدو فى مُحيَّاه ، وأظنُّه ، من جرأته فى السؤال يمتهن الصحافة ، ولست أدرى إن كان من المقيدين فيها أو من الطلقاء ؟ قال : عرفتُ عنوان حديثك فى مؤتمر هذا العام إذ هو : « تلك : أمة تقدِّس لغتها » فعن من ستتكلم ؟ فتبسّمتُ وقلتُ : غداً ستشرقُ الشمسُ ، وليس الغدُ ببعيد ، فهلا انتظرت الغد ؟

وقلتُ لنفسى ، - وأحيانا يصعُب على المرء أن يتحدث مع غير نفسه - أليس من عجائب هذا العصر الذى نعيش فيه كثرة العجائب ؛ حتى غدا المرء فيه لايستطيع حصر ما يسمع أو يرى منها أو يقرأ عنها أو تطلع هى بنفسها عليه ؟

أنا لا أدرى كيف تصنع العجائب ؟ أتصنع نفسها ؟ أم هناك رجال عقلاء يصنعونها ؟ أم لاشأن للعقل فى صنعها ؟ وأظنكم تشاركوننى القول بصعوبة حلِّ هذا اللغز ، ونحن نعيش فى زمن شاعت فيه بدعة صنع الألغاز (الفوازير) وبدعة إنفاق الملايين على صنعها وعلى إكرام من يتوصل إلى حلِّها !

أليس من عجائب الدنيا أن نرى دولة فرنسا تلهث سعيا وراء النص على أن الفرنسية هى وحدها لغة الفرنسيين - بعد أن كانت الدنيا بأسرها تتكلم بالفرنسية ؟

أليس من العجائب أن نقرأ فى الصحف اليابانية أن ما يقرب من ثلاثة أرباع اليابانيين يؤكدون أن لغتهم القومية تتدهور بشكل بالغ السوء وذلك بغزو الكلمات والعبارات الأجنبية !

أليس من أضخم العجائب غرابة ، أن يقوم زميل لنا نحترمه ونقدر فيه تكلّمه العربية بالتصدى لترجمة القرآن المجيد دون الغوص فى أسرار العربية ومعرفة مدلول ألفاظ الذكر الحكيم وأسباب نزولها فى سياق الجملة التى ورد اللفظ بها ؟

أليس من أروع العجائب أن تصدر فى بون أو آخن مجلة اسمها (فكرٌ وفن) همها الأكبر الدفاعُ عن اللغة الألمانية الأصيلة ، بينما تصدر فى عاصمة الأزهر المتين بحول الله

ورعايته ، مجلة يسميها مُصدروها وأنصارُها والمدافعون عن صدورها (مجلة ابن عروس) همُّها وهمُّ أولئك الدفاع عن العامية وإفشاؤها حتى تسود فى المجتمع والمجتمعات التى تلحقه (وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) .

سادتى الأجلاء

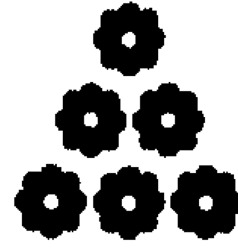
أقف اليوم أمامكم لألقى كلمة باسم الإخوان الوافدين إلى مصر : أمِّ الدنيا وفخرِ أقطار العرب ومحطِّ أنظارالمسلمين فى مختلف أنحاءِ العالم ومعقدِ آمالهِم والدموعُ لا تجفُّ فى مآقيهم لما حلّ بهم من حصارٍ ، وتدمير ، واغتصاب ، وتصريحات غير منكورة بالرغبة فى القضاء على دينهم مصدر عزهم وفخرهم وحضارتهم بعد أن تفرقت كلمتهم فخارت قواهم وتشعبت بهم المسالك ، ولا حول ولاقوة إلا بالله .

فلا يسعنى فى موقفى هذا إلا الشكر العميم لمصر الخالدة وحسن استقبالها لضيوفها وكرمها سائلا المولى عزّ وجل أن يحميها ممن يريد بها سوءا عميلاً كان ، أو غير عميل ، واعياً كان أو غير واعٍ على كثرة هؤلاء .

والسلام عليكم ورحمة من الله وبركات .

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية



بحوث ومحاضرات

تلك : أمة تقدّس لغتها*

للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

يعيب من يودّ لوكان فى عداد كتبة التاريخ - على هوى زعيم أو محرّض - على التاريخ الإسلامى أنه تاريخ قادة ومحاربين لا تاريخ نضال وشعوب .

أرونى شعبا سار بلاقادة ، أو أمة ثارت بلا دعاة ، وهل اندفعت جماهير من العامة مرة ، بلا محرض على الاندفاع ؟ أو هل قامت نهضة ليس لها من يدعو إليها ، صراخا كانت دعوتهم ، أم كانوا من المؤمنين ، سجل التاريخ أسماءهم أم كان من الغافلين .

إنى متحدث ، سادتى الأجلاء ، عن عصر شعر العرب فيه أنهم تأخروا عن ركب الحضارة ، الحضارة التى عرفها أجدادهم ، فكانوا حملة لوائها مسجلين الريادة للإسلام فيها ، كما تيقنوا أنْ لابد من نهضة علمية متواصلة يجدد الحفدة معها ريادة الأجداد يوم كانوا بالإسلام أعزة .

كان محمد بن محمود البزم واحدا من أربعة شعراء دماشقة من فحول شعراء العربية أعضاء المجمع العلمى العربى [1] ، عقدت لهم راية تأجيج النهضة العربية وقد اندلعت نيرانها أواخر القرن التاسع عشر الميلادى .

كان البزم نحويا [2] واسع الاطلاع على مفردات العربية ، كثير المحفوظ من الشعر ، أديبا بديع الترسل والإنشاء ، نقّادا لاذع النقد وخازا ، قوى الحجة ، طلق اللسان ، يدرّس العربية فى الصفوف الدنيا من ثانوية دمشق الرسمية [3] ووجد أربعتهم فى الصحافة

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ١٧ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ .

(١) الشعراء الثلاثة الباقون هم : خير الدين الزركلى وخليل مردم بك وشفيق جبرى ، وفى أعلام الزركلى ترجمة لكل واحد منهم.

(٢) - انظر ترجمة محمد البزم فى أعلام الزركلى ج ص ٩١ الطبعة الخامسة وأعلام الفن والأدب للجندى ج ٢ ص ١٣٢ .

(٣) كان اسمها (مدرسة التجهيز ودار المعلمين) ويطلق عليها اسم (مكتب عنبر) انظر مكتب عنبر لظافر القاسمى و(الثورة والنار فى مكتب عنبر) لمطيع المرابط و(مكتب عنبر روح دمشق الوطنية) لعدنان الخطيب .

والمجلات الأدبية متنفسا لما ران على صدورهم من ضغط السادة الحكام(١).

كان الشاعر الكبير محمد البزم محبوبا لدى الأوائل من تلامذته لفضله وسعة معارفه ، ومهابا لدى سائر من دخل الصف لحضور درسه من تلاميذه أو تلامذة الصفوف الأخرى لايحاول أحدهم العبث حتى ولا الهمس مع جاره .

وكان النجباء من تلامذة البزم يجلون علمه ويقدرون أغوار معلوماته فيصنفونه الأول بين الشعراء الفحول الأربعة مدرسى العربية ، وقد يتنازل بعضهم فيحلونه المحل الثانى وقد يتساهل أفراد فيثَلِّثُونه ، ولكن قد لاتعثر على واحد يقنع بأنه رابعهم .

ولفت الطالب « رفيق » انتباه أستاذه الشاعر الكبير بسرعة تصديه للإجابة عما يُسأل عنه ، كما كان يقيم لغته عندما يتكلم ، استعاد الأستاذ مرة جواب تلميذه وقال : كأنك تجيبنى شعرا فكلامك موزون ، فرد « رفيق » يقول : تنقصنى الأناة ويلزمنى اختيار الألفاظ ليكون شعرا لا عيب فيه .

وخاف الشاعر الكبير أن يكون الإبداع لدى هذا التلميذ الصغير محسوبا على ضعفه فى العلوم الأخرى ، كعادة المبدعين من الأدباء ، فافترص التئام شمل الأساتذة فى غرفة جلوسهم ، وأخذ يحدثهم عن نابغة العربية الصغير ، فانبرى أستاذ الرياضة يقول : بأن الطالب الذى ألمعت إلى اسمه يكاد يكون أول رفاقه فى الرياضيات ، وأيّد أساتذة آخرون مقولة زميلهم وأشادوا بالعبقرية المبكرة .

واجتاز رفيق امتحان البكالوريا بتفوق رائع فانتسب مباشرة إلى كلية الحقوق عازفا عن الطب إذ كان يرتعد إذا ما رأى الدم يسيل .

ودهش أساتذة القانون عندما رأوا تلميذهم الجديد وسمعوا فكره النير ، وبعض تحليلاته المنطقية الرائعة ، ولما اجتاز رفيق مسابقة الدخول إلى وزارة الخارجية ألحقة تفوقُه بالسلك السياسى فيها ، وفى السلك تدرّج ، فإذا بفرنسيته فى باريس تغدو مشار إعجاب وتقدير الفرنسيين ، كما غدت إسبانيته فى مدريد ، ثم إنكليزيته فى لندن .

(١) كان الاتحاديون فى أواخر العهد العثمانى قد اغتصبوا السلطان وفرضوا سيادتهم على بقية الشعوب .

وتسنّم رفيق منصب السفير لدى حكومة الولايات المتحدة وظل فيه ناجحاً إلى أن أحيل إلى التقاعد ، ولكنه لم يقعد عن قراءة المهمّ مما تصدره دور النشر العالمية وعن كتابة الأدب وقرض الشعر ، حتى ضُمنت مكتبته مجموعات عديدة فيها من النشر كل بحث طريف ومن الشعر كل مستظرف لطيف ، ولا يعوزها إلا التنسيق والدفع بها إلى إحدى دور النشر ليراها الناس ويعرفوا صاحبها ويتمتعوا بالشهد فخر الأطايب .

كتب رفيق نقدا حديثا عن الشاعر الوأواء الدمشقى من شعراء القرن الرابع الهجرى[1] وقد أتاح له التقدم الكبير الذى بلغ شأوه فى علوم اللسانيات ، النقد الفنى الخالص ، المسند إلى النصوص الموروثة دون نظر إلى عامل البيئة والزمان فكان يصف حال دمشق بقوله :

« كان الإخشيديون والحمدانيون ، والقرامطة ، والفاطميون ، والمغاربة ، والروم ، يتنازعون السيطرة على دمشق وما حولها ، ويحمل هذا التنازع للمدينة الأسيرة المصائب والأهوال » .

ثم يقول : « شاعرنا من أبناء دمشق ، هذه التى كانت قبل ثلاثة قرون عاصمة الخلافة الأموية ، ثم انتقل مركز الثقل منها إلى بغداد وعَرتْها الخطوب تلو الخطوب فكانت تخرج منها فى كل مرة ، كليمة متحسرة ، دون أن تفقد مع ذلك - ومهما اشتدت عليها البلوى - الأمل فى النهوض من العثار ، بل كان أهلوها يخرجون من كل محنة وقد صقلتهم الآلام وجعلتهم كبار النفوس ، فزادوا استمساكا بقدسيّة التراب والمحافظة على التراث ، وأداء الرسالة ، مع التكيُّف الكيّس مع ما يأتى به من أفراح وأتراح .

" على أن دمشق ظلّت مدينة الإشعاع ، تعبرُ عبقرياتها التخوم والبحار ، لتنشر رسالتها بهمم قوّادها وعلمائها وأدبائها الهاربين من غدر الأعداء وكيد الموالى ، وظلم الأقارب ، رسالتها فى التوحيد وإقامة العدل ،

---

(١) الوأواء من شعراء القرن العاشر للميلاد - انظر ترجمة : محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى فى أعلام الزركلى ج ٥ ص ٣١٢ وديوانه جمع وتحقيق سامى الدهان ، مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٥٠ ومجلة مجمع دمشق ٢٥ : ٥٧٨ .

وإعمار الأرض ونشر الحضارة تتبلور على الأخصّ فى إشادة معجزة الأندلس ، فيصل هذا الإشعاع إلى أواسط أوربا بعد ما توسّع فى القارّة الآسيوية وشماليّ القارة الإفريقية .

ورأى رفيق وهو يكتب عن الوأواء – وقد وهبه الله شاعرية رفيعة على وضاعة نشأته – أن يرسم بقلم الفنان المصور مراحل انتقال الوأواء من الحارة الضيقة من حارات دمشق القديمة ، ضمن مشاهد فنية ممتعة تخلب الأنظار وتستولى على الألباب ، فيحدثنا فى مشهد عن نضج الشخصية المبكر وفى مشهد لاحق عن الإحساس بالشاعرية ، ثم عن البدايات الشاعرية ، وبعد أن يصف لنا العاصفة التى ألمت بالشاعر مقارنا شعره بشعر (بول فرلين) الألمانى الأصل الناطق بالفرنسية ، ثم يصف اتصال الشاعر الدمشقى بالأمير المعجب ويصف المواجهة التى تمت بينهما ، وتهافت الثواب وتفاقم العقاب ، إلى أن حلت عليه عشية سماها « لذة الدنيا » وكيف تم له اقتناصها ، وفى مشهد أخير يصف لنا التوبة النصوح والاعتراف بالزلّة مستسلما لحكم الله طالبا الغفران والرحمة .

ولم يكتف رفيق بنشاط أدبى محدود ، إذ كان نشاطه متعدد الجوانب متنوع الاتجاهات ، لقد شارك قبل أسابيع معدودات فى تأبين فقيد مجمع دمشق المهندس وجيه السمان كبير لجان المجمع العلمية ، فكانت كلمتُه رائعةً وافية جال فيها وصالَ فى موضوعات استلفتت أنظارَ السامعين بما حشاها من نواحٍ جديدةٍ وطرائفَ مستملحة[1].

لقد جاء فى كلمة رفيق التى ألقاها ، باسم أصدقاء الفقيد ، مقاطعُ رائعةٌ ، منها المقاطعُ التالية[2]:

" إننا نجتمع اليوم شاكرينَ لمجمع اللغة العربية هذه البادرةَ المحمّلةَ بالمعانى السامية ، بعد هذا الرزء ، ليحلّ محلَّ الدموع – ولم ترقأ بعد – استذكارٌ لما خلّف الفقيدُ من مآثر ، وإنهاضًا للهمم كى تتأسى مثاله النموذجى ،

(١) انظر مجلة مجمع دمشق مج ٦٨ ج ٣ سنة ١٩٩٣ وكان الفقيد قد توفى فى ١٧ من أغسطس ١٩٩٢ .

(٢) انظر ص ١١ من كتيب حفل التأبين وهو من مطبوعات المجمع .

وتدبّراً للفراغ الكبير الذى أرّثه افتقادُنا قلبَه الكبير ، كيف الحيلةُ فى ملئه "

" ذلكم فتى يقبلُ بكل جوارحِه على تلقفِ العلوم والرياضيات بنهمٍ وشغف ، ينضج بالجهدِ الساهر نبوغًا مبكرا ، يؤهله لمتابعةِ الدراساتِ العالية فى أشهرِ المعاهدِ الهندسيةِ الفرنسيّة . وإذ يعود للوطنِ بعد أن يقطعَ مراحلَ الإعداد لتسنّمِ الخدمةِ العامة ، يُخرِّجُ الفوجَ تلوَ الفوج من الطلاب المتمكنين من العلوم ، بفضلِ تدريسِه وتوجيهِه ورعايته ، يرفدُ بهم صفوفَ العاملين بنجاحٍ فى بناء المجتمع والدولةِ العصريّة " .

" .. يتّسم عهُد وزارته وإسهامُه الغنّى ، باكتشافِه النفط واستثمارِه وتصفيته وتمديد أنابيبه ، تأسيس مستودعاتِه وتنظيم تسويقِه ، كما يتّسمُ بإشادةِ الصناعاتِ الكبرى .." .

" كلُّ يومٍ من أيامِ فقيدِنا مملوءٌ بجلائلِ الأعمال ، وعمقِ التأملاتِ الرّوحيّة معًا . لتراهُ فى مطلعِ الفجرِ متعبدا ، يتلو بخشوعٍ وتمعّن ويقظةٍ فى الفكرِ والقلبِ والحسّ ، آياتِ القرآنِ الكريم متدبراً معانيها يحفظُ منها الروائعَ والحِكَم - وكلُّها والأحاديثُ الشريفة ترفدُها - حكمٌ وروائع ، ويتملأ بقدرِ ما يسمحُ الوقتُ الطائر من الآدابِ العربية صفوتّها وخالصَ شهدِها " .

وليكن فى علمك أن ما نسميه وقتَ الراحةِ أو المتعةِ الاجتماعية فى المساء مبذولٌ كلهُّ فى المطالعةِ والتأليفِ والترجمة .

وتابع رفيق يقول :

«وإن المطالعةَ الحثيثة غيرَ المنقطعةِ لما ينشر عن أحدثِ ما استجدَّ من مستكشفاتٍ علميةٍ وتقنيةٍ وتطبيقيّةٍ فى المواصلاتِ والأليكترونيات والحواسبِ ونقلِ آخرِ منجزاتِ الفكر الغربى فى هذه المخترعاتِ التى ثوّرتْ وسائل التخاطبِ والتواصل وميدانِ الأعمال على نحوٍ من الشمولِ والاتساعِ والتسارعِ مما لم تألف الإنسانيةُ له فيما مضى مثيلا .

أما فى التأليف فها هو ذا يُودِعُ عصارةَ ما فَقِهَ ونشرَ واستنتجَ واستحدث جزءاً منه فى مؤلفه عن قصة الذرة وكانت موضوع الساعة المحاط بالطلاسم فسلّط عليه الأنوار الكشافة ، وجزءاً آخر فى الصواريخ والأقمار الصنعية ، وهى حديث الساعة ، فينقل إلى المحسوس ما

كان يُظنّ في الموضوع من المغيّبات» .

... ولقد غاص الفقيد في لجج هذا البحر بدأبٍ وعناد واستخرج منه أعزَّ الأصداف .

أما الترجمة فهي بحاجة إلى إرادة قوية ، واندفاع أصيل لا عارض ، وتوطين مطلق للنفس على الأداء كأحسن مايكون الأداء ، مهما صعب المثال ، وشَقَّ المسار ، تكمن كلها وراء قبول تحديّ الترجمة إلى العربية ، لمؤلفاتٍ صعبة ، كمؤلفات العالم الفرنسي الفذ ، Albert Ducrcq كمؤلفه في العناصر . ومؤلفه في المادة السيبرنية والكون ، تعبيراً عن الماكنات التقنيّة التي زودها الإنسان بمتلقفات جعلتها وكأن لها جسماً وحواسا وقدرة على التنظيم والاستنتاج ، ومؤلفه عن جسم الإنسان العجيب ، وذلك على بعد الهوّة ما بينَ التقدم اللغوى الذى ساير تقدم العلوم والتطبيقات في الغرب والجمود الذى ران على العربية قرونا " .

" وقل مثلَ ذلك في تصدّى فقيدِنا لأحدثِ المؤلفات بالإنكليزيّة عن الطاقة لويلسون ، والحاسبات في أعمالها لكلارك ، والمجلّدين الضخمين في الميكرو - إليكترونيات الدقة لميل مان Mill MAN وروبرت أوبنهامر والقنبلة الذرّية للعالم الفرنسي ميشل روزه Michel Rouse ويتكلّل كلُّ ذلك بترجمة مبادئ الفيزياء الحديثة لجيمس ريتشادز ، مبسّطة موضحة معلّلة ، بلغة عربية بيِّنة ، توضع منارة تستنير بها الجامعات العربية " .

ويقول رفيق عن الفقيد أخيرا :

" كان مع كل هذا النشاط ، أنيسا لجلسائه الكُثر ، وفيًّا لأصحابه من الأخيار ، طليَّ الحديث ، يعزّزه ببديهةٍ رائعة وحضورِ ذهنٍ فذّ ، بالشواهد الشعريّةِ والقطعِ المنثورةِ من روائعِ ماقال العرب وكتب الأغراب ، لا على وجه التعميم مما يصلح لكل مناسبة ، بل على وجه إيراد الشاهد الذى يقع في موقعه الصحيح ، على ما يطرق من موضوع متخصّص ، أو ما يعرض من روح النكتة الذكية والدعابة المستملحة ، فلقد كان تضلعه بالآداب العربية والأجنبية مدعاةً للتعجب ، كيف يجد الفسحة لاستيعاب هذه الناحية الجمالية من حياة الإنسان ..."!

وأخيرا خاطب رفيق الفقيد قائلا له :

إن المؤمن إيمانك لينظر إلى المصائب من باب البلواء والامتحان لصلابة إيمانه وصحة صبره ، وجود قلبه .

وقدم رفيق أحرَّ التعازى لأهل الفقيد خاتما كلمته ببيت للشاعر المحزون :

سألتنيه رثاء خذه من كبدى

لايؤخذ الشئ إلا من مصادره

كان رفيق فى مكتبته وقد تحرر من أعماله الرسمية ينقب فى الكتب التى سبق أن قرأها وعلق فى هوامش بعضها بما أوحى إليه بعض ما قرأه فيها ، نثرا كان أو شعرا ، وإذا به فى يوم من الأيام يقع على غزل تبادله ابن زيدون - ذلكم الفتى الأندلسى العربى المحتد الفصيح اللسان ، الموسيقى النطق -مع ولادة بنت المستكفى الخليفة الأموى فى الأندلس ، وكانت تقرض الشعر الرائع وتغنيه بموهبة تأخذ بالألباب وتجمّع حولها الأصحاب ، فما كان من أبى الوليد ابن زيدون إلا أن اندفع ودسّ نفسه بين هؤلاء ولم يلبث أن غدا أغلى الأحباب .

صاح رفيق دون أن يسمع صوته أحدٌ " لقد وجدتها " إنها قصة عشق وغرام تصلح لموازنتها بأشهر قصص الحب والهيام " فأخذ القلم وبدأ يكتب :

" شعر وموسيقا فى أعمال ابن زيدون وموزارت وبول فرلين " . ولم يطل الزمان حتى كان أمامه مقال رائع يعجب متذوقى الأدب الرفيع وأصحاب الروح الغنائية والآذان التى تضبط الأوزان وتميز بين الأنغام والأنغام ، ولكن أين الناشر ذو الكفاءة العالية من أصحاب الثقافة الواسعة والفهم العميق ، وأخذ يفتش عن أصحاب السوابق من أهل الفطنة والمواهب .

واختار رفيق الدكتورة روز مارى هول[1]

---

(١) الدكتورة «روز مارى هول» سيدة ألمانية مولودة فى برلين عام ١٩٣٩ ، وانتسبت إلى معهد اللغات فى جامعة مانيس Mainz وفيه أتقنت كلا من اللغتين الفرنسية والأسبانية ثم دخلت جامعة هايدلبرج Heidelberg وفيها تخرجت - تتقن العربية - مؤهلةً للاشتغال فى الصحف والمجلات التى تتعاطف مع العرب وقضاياهم الدولية حتى كانت سنة ١٩٨٩ إذ عهد إليها إدارة تحرير مجلة (فكر وفن) التى تصدر بالعربية منذ عام ١٩٦٣ وما زالت فى مسارها الطليعى وفى ارتفاع دائم فى التجمل وإتقان الإخراج .

المشـرفـة على تحـرير مـجلة «فكر وفن[1] » فبعث إليـهـا بما دبجـه قلمـه من بحث طريف بأسلوبه الممتع الظريف .

لم يطل الزمن على عشاق مجلة "فكر وفن" كثيرا ، وهم ينتظرون صدور عدد موتسارت - كما كانوا ينتظرون غيـره من أعداد ، إذ كان صدورها غيـر مرتبط ارتباطا وثيـقا بتاريخ محدد ، لا بل لم يكن توزيعها ، وبخاصة فى بلاد الشرق الأوسط منتظما أو رتيبا ومتواليا ، فـقـد كـان مـرتبطا بحـركـة مـوظفى الشؤون الثقافية الألمان وهم يتبدلون حينا بعد حين ، تفقد أعداداً منها عند من يحبون ألا تفوتهم قراءة أى عدد منها ، كما كانت بعض أعدادها تتكرر عند غيرهم ممن يسأل عن موعد صدورها أو يلح فى طلبها - وهكذا كان عشاق المجلة المتعارفون يظلون فى دوامة السؤال عنها أو الحديث عن ما نشر فيها من موضوعات أو عما يتصورونه غامضا فيما سبق ونشر فيها .

وأخيرا صدر عدد موتسارت يحمل رقم ٥٣ لسنة ١٩٩١ ، وكـان بحُلَّةٍ قـشـيـبـة جـديرة بالتنويه ، غيـر أن غلافه كان يحمل رسما أعجز من اطلع عليه عن معرفة كنهه ، حتى المهرة من الفنانين كان أحدهم يصمت عن تفسيره إذا سئل عنه ، مما دفع كل من حصل على نسخة منه إلى اللجوء إلى داخل المجلة للتفتيش عن كنه الرسم المجهول .

كـان صـدور العـدد ٥٣ من مـجلة «فـكر وفن» فى عـام ١٩٩١ وهو عـام أطلق الألمان عليه اسم " عـام مـوتسـارت " بمناسـبـة مـرور ذكـرى وفـاته للمـرة المئـتـين ، ولم يحل دون تحقيقه لنابغة الموسيقا العالمية إلا فرحة الإعلان عن الوحدة الألمانية بعد أن مزقتها حرب

---

(١) أصدر العدد الأول من مجلة (فكر وفن) بالعربية ألبرت تايلا سنة ١٩٦٣ وتم تحضيرها المدروس كما تمت طباعتها المتقنة على ورقها الصقيل فى مدينة هامبورغ الألمانية وذكر فى صفحتها الثانية تحت عنوان (هدفنا) :

" إن مهمة مجلتنا هذه هى التحريض على التفكر والتوسط بين الأمم وبناء جسور معنوية ، وتقتضى هذه المهمة أن نتعارف وأن يحترم بعضنا بعضا على ما نحن عليه ."

وتسير المجلة على النهج الذى خطته الملمع اليه آنفا حتى اليوم مؤمنة بالروح التى تطلب المعرفة والكمال ، وتتعطش إلى الحسن والجمال ، تعطف على القضايا العربية ، وتقدر الروح الإسلامية ، وتستشهد بالآيات الكريمة وتبرز الجمال فى الخطوط العربية ، تحترم التقاليد العريقة وتدعو ذوى النيات الحسنة إلى التبادل الروحانى والمشاركة فى الأبحاث العلمية التى تخدم الإنسان ، وإنماء الكرامة فيه .

الحلفاء ، إذ انهارت الشيوعية وانتصرت إرادة الشعوب ظافرة بإعلان ما كانت تسعى إلى تحقيقه .

فى خلف غلاف المجلة نُشرت صورة رائعة لغولفجانج أماديوس موتسارت موهبة السماء فى الموسيقا - كما رسمتها بربراكرافت سنة ١٨١٩ استنادا إلى صور قديمة ، والألمان الأصلاء يعتبرونها من أصدق صور موتسارت، رغم أنها رسمت بعد وفاته بقرابة ثلاثين عاما ، وفى الصفحة نفسها حلّ لغز صورة الغلاف الخفية إذ كانت (صورة لموتسارت بعد معالجتها بطريقة التركيب الإلكترونى) !

كانت الصفحتان الرابعة والخامسة تضمان جدولا بمحتويات العدد وفيه إشارة إلى الصفحة ٢٨ وفيها اسم « رفيق جويجاتى » وعنوان مقاله (شعر وموسيقى فى أعمال ابن زيدون وموتسارت وبول فرلين) وقد احتل المقال سبع صفحات موسوعية من صفحات (فكرٌ وفن) غير أنها حوت هامشين هما بيت القصيد من هذا الحديث .

جاء فى الهامش الأول تعليقا على كتابة اسم النابغة الألمانى موتزارت ما يلى :

" المقصود موتسارت ، ولكن صاحب المقال اختار نقل اسم الموسيقار إلى العربية على هذا النحو " .

وجاء فى الهامش الثانى ما يلى :

" صاحب المقال ينقل بعض أسماء المدن الألمانية إلى العربية على حسب نطق الفرنسيين إياها :

مونيخ هى مونشن أو ميونينخ كما يقول الإنكليز .

ومايانّس هى ماينس . وايكس لا شابيل هى آخن .

ما هذا النقد اللطيف على قسوة مغزاه والدافع إليه ؟

إنها الغَيرة على اللغة ، وهو درس واضح فى لزوم الحفاظ على أصول النطق بحروفها .

تلك : أمة تقدس لغتها

إنها اللغة الألمانية التى يقدسها الألمان الأصلاء ، إنها لم تكن خطأ وقع فيه رفيق جويجاتى بقدر ماكانت قصورا من وزارة الخارجية التى لم تقيّم أغوار عمالها لتوائم بين مصلحة الإدارة ومساعدتهم فى إتقان ما يحسنون .

أما العربيـة التى قدّسها جبّار السموات والأرض فأنزل بها كتابه الكريم هاديا ومرشدا للعالمين ، فتكاد تعانى اليوم الاغتراب فى أوطانها ، نعم إن لغـة التنزيل العظيم التى حفظها الله عزّ وجلّ للعرب وحّدتهم ، مُوجِبةً على كل مسلم تعلمها لفهم الإسلام الصحيح ، ولكن أخـذ العـرب أنفسـهم ، ياللأسف ، بالانتقاص من قدسيتها ، لا بل قام نفر من أبنائها بالاشتراك مع عصابة من الناطقين بها استغربت أفكارهم فاستغربت قلوبهم فعميت فيهم الأبصار وأخذوا يدعون إلى العامية ، على أنهم اختلفوا فى دعوتهم فبعضهم يدعو إلى اللغة المحكية ، وبعضهم يدعو إلى الدارجة وغيرهم إلى النبطية ، ومنهم من يدعوك إلى الإبداع بأى شكل شئت ، وهناك من يدعو إلى نبذ حروفها أو إلى فك أغلال الإعراب عن أواخر كلماتها- وكل هؤلاء من الغرب يستقى، أو أنه يبشر بما يريده الغرب أو يتمناه ، مأجورا كان أو غير مأجور[1].

وهناك من يطالب بالعَلمانية وقد كسر العينَ فى لفظها جهلاً أو غباءً أو تحدياً ، وهناك من يكسر العين لمجرد التصدّى لجماهير المؤمنين .

إن الانتقاص من قدسية العربية قديم قِدمَ انتشارها مع الإسلام فى كثير من أقطار الدنيا ، يومها دخل الذين عرفوا بعدئذ بالشعوبيين تحت نفوذ الدولة الإسلامية ، وقد كشف علماء المسلمين دورهم وسجلوا دوافعهم ومايبغون من الهدم بعد التخطيط له ، كما قام الطامعون فى استعمار بلاد العرب بالعمل على تفتيت وحدة العرب بالنيل من قدسية العربية لأنها كانت عنوان الوحدة والتجمع ، وكان للمؤامرات التى حيكت لإذلال العرب جنود كشفوا أسرارها وفضحوا خبيئها ، وبعد سقوط حماتهم سقط ماكان يستر سوءاتهم وسوءات صنائع سادتهم .

غير أنى وددت لو حدثتكم عما يسميه بعضهم مرحلة (العصور) مشيرا إلى مجلة كانت تحمل هذا الاسم ، وددت ذلك لأنى أدركتها وهى تحتضر ، قالوا : إنها تُعنى

---

(١) انظر عدنان الخطيب (دعاة العلمانية فى العالم العربى) .
قيد الصدور (هل هم عملا أو هم مستغربون فقط) .

بالعلم ليحل محل العقلية الخرافية ، إذ تقدم لعامة القراء من حقائق العلم ما وصل إلى مستوى اليقين ، هادفة بذلك إخراج المسلمين من الجهل إلى العلم ، ومن العبودية إلى الحرية ومن الضعف إلى القوة ومن الفقر إلى الغنى .

ولكن ما هى حصيلة هذه الأفكار الساذجة التى كانت تدعو إليها " العصور " وصاحبها ترجم لقرائه نظرية داروين ليعرفوا أين كان يعيش أجدادهم ، وقيل إنه لم يعقب ، على أن البعض قالوا إنه أعقب ، غير أنهم اختلفوا فى الإشارة السابقة إنْ كانت موجبة أو سالبة ، رحم الله من يستحق الرحمة وغفر للباقين إنه غفّار رحيم .

أعود فأقول : ولكن ما هى حصيلة تلك الأفكار التى كانت تدعو إليها " العصور " وهل كان الغرب المتحضر الذى يدعو المسلمين إلى الإسراع فى اللحاق به ليتحضروا - هل كان قد قُضىَ على تخلفه وتمت له حضارة تتمنى للمسلمين بلوغَها إذا ما استجابوا لدعوتها ؟

إن المطلعين على واقع الحال فى كل من أوربة وأمريكا يعرفون أن التخلف فيهما مازال موجودا كما أن مقاومة العلم واضطهاد العلماء مازال موجودا ، وكل ما تحقق فيهما أن العَلمانيّة تغلبت على الدين والأخلاق ودعمت الفساد والانحلال ، وأظن أن هذا هو الذى يقنع به أهل " العصور " ومن يدعو بدعوتهم فى هذه الأيام ، وكل همهم من تأييدهم لنشر العلم ومعرفة الحقائق العلميّة فى هذا الزمن هو إبعاد الناس عن الدين وحضّهم على التساهل فى تأدية شعائره لإضعاف أثره فى نفوس الجماهير ، ودعوتهم لقبول الرأى الآخر ومناداتهم بضرورة احترام آراء الآخرين فلكل حرية التعبير عما شاء بلا حساب أو شروط .

لقد دُعيت لحضور مجلس بقايا أهل " العصور " صحبة صاحب نافذة النور رحمه الله وقد ترددت على ذلك المجلس مرات ، وكان الحديث دوما ممتعا مادام يدور حول المسائل السياسية أو الاجتماعية أو المعاشية ، ولكنى لم أر نور الدعوة إلى نشر علم الحضارة الغربية بين عامة المسلمين ليلحقوا بالغرب ويتخذوا حضارته مثلا أعلى ليدركوا مستواهم الحضارى .

رحم الله المخدوعين الذين انتقلوا إلى رحمة الله وغفر للآخرين ما اقترفوه من آثام .

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

طريقة تعريب العلوم عند الأقدمين *

للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى

لم يكن العرب والمسلمون منغلقين أبداً على أنفسهم فيما يتصل بما يقربهم من الحقيقة أو يؤدى بهم إلى أداء الصورة ...

ومن هنا نرى أنهم بمقدار ما كانوا يغارون شديد الغيرة على لغتهم العربية ، كانوا أيضا يعملون على إثرائها وإغنائها بكل ما يرونه مساعداً على ازدهارها . ولهذا السبب ، يعود عملهم الحثيث على أن يستفيدوا من شتى أنواع المعرفة التى كانت تحوم حولهم سواء عن الروم أو الفرس ...

ومنذ أيام الرسول عليه الصلوات قرأنا فى كتب الصحاح أن المسلمين كانوا لا يترددون فى الاقتباس من هؤلاء أو أولئك . كان هدفهم الوحيد أن يصلوا إلى الحقيقة .

ولابد فى هذه المناسبة أن نذكر بالفترة المبكرة التى تم فيها تعريب الدواوين من الرومية إلى العربية أيام عبد الملك بن مروان ...

لقد كان الأقدمون يرون أن اللغة العربية هى العنصر الأول الذى يطبع هُويّتنا ، وقد نعتها بعض العلماء بالسّلاح ، وأدرجها ضمن الأسلحة التى يجب أن يتحصن بها المؤمن والتى تدخل فى الآية الكريمة : (وَدَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم ..)[1]

وهكذا فإن اللغة العربية تظل الهدف الأساسى لمجتمعنا وبدونها لا يكون شيئا .

إلا أن السؤال الذى وضعه مجمعنا فى دورته الستين هذه ظل مطروحا بعد كل تلك السنين الخالية ... فإلى أى مدىً وإلى أى حد يجب علينا أن نقوم بهذا التعريب وبخاصة فى ميدان العلوم البحتة ... الطب وما أشبه ...

* ألقى البحث فى الجلسة الثانية للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ١٧ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ .

(١) سورة النساء / ١٠٢ .

هنا أرى مما يسهل مهمتنا حول هذا الموضوع أن نأتى على تجارب من سبقنا من العلماء الأجلاء الذين كانوا يغارون على اللغة العربية فى الوقت الذى كانوا يحرصون فيه على المستوى الجيّد للعِلم المطلوب ... وهنا أسوق شهادة لأحد أعلام المعرفة ورواد الفكر العلمى من رجال القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى ، وأقصد به أبا داود سليمان بن حَسَن الأندلسى المعروف بابن جلجل المولود بقرطبة عام 332 = 944 والذى أمسى بعد ربع قرن من ميلاده مرجعاً هاماً من مراجع الطب فى العاصمة الأندلسية .

لقد ابتدأ هذا الرجل دراساته الطبية منذ أن بلغ خمس عشرة سنة ، وأصبح بعد عشر سنوات مصدراً مهمًّا فى هذا الميدان ، وقد رشحه هذا التكوين ليصبح طبيبا خاصا للمؤيد بالله هشام 366-99 = 977-1009 .

فى خلال هذه الفترة كتب القسم الأكبر من مؤلفاته وخاصة "تفسير أنواع الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريديس (Diosquridis) المؤلف فى ربيع الآخر 372 = 982 ، وكذا طبقات الأطباء والحكماء المؤلف سنة 377 = 987 فى أيام المؤيد بالله ، ومن بين المؤلفات الأخرى (مقالة ذكر الأدوية التى لم يذكرها ديوسقوريديس) ومقالة من أدوية الترياق ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين ... ويلاحظ أن من بين هذه المؤلفات (طبقات الأطباء) الذى يمثل فائدةً خاصة لأنه من جهة يحتمل أن يكون - بعد تاريخ الأطباء لإسحاق ابن حنين - أقدمَ مصنف لتراجم الأطباء باللغة العربية ، وهو من جهة أخرى أقدم نموذج للترجمة العربية من اللغة اللاتينية[١] ...

لقد قام هذا العالم الجليل - كما رأينا - بتجاريب فى تعريب العلوم فأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها .

وقد أفادنا فى أول تفسير لذلك أن كتاب ديوسقوريديس كان قد ترجم بمدينة السلام على عهد الدولة العباسية فى أيام جعفر المتوكل

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، طبعة رابعة 1408 = 1987 ج 3 ، ص 75 . encyc. de l'Islam .

232-247 = 861/847 وكــــان المتــــرجم لـه هو اصطفـــان بن بـاســـيل (ISTIFAN B. BASIL) التـرجـمـان ، نقله من اللسـان اليـونانى إلى اللسان العربى ، وتصفح ذلك حنين بن إسحاق المترجم فصحح الترجمة وأجازها ، وهنا يكشف لنا ابن جلجل عن الطريقـة النمـوذجـيـة التى اتبعها الأقدمون فى تلك الترجمة فيقول :

إن مـا علمـه اصطفـان من تلك الأسـمـاء اليـونانيـة فى وقـتـه وعـرف أن له اسـمـاً فى اللسـان العربى فسَّره ، أى ترجمـه بالعربيـة ، وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسماً تركه فى الكتـاب على اسـمـه اليـونانى اتكالا منه على أن يبـعث الله بعـده من يعـرف ذلك الاسم ويفسره باللسان العربى ..!

وهنا يزيد ابن جلجل توضـيـحـاً لموضـوع التعريب العلمى هذا فـيقـول : إن إطلاق مـفرد بالعربية على مفرد آخر غير عربى يحتاج إلى اتفـاق أهل العلم المتخـصـصـين من كل بلد ، على أعيان تلك الأدوية بما يرون ...

وإضافـةً إلى هذا الاتفـاق ينبغى أن يطلقوا الاسم العربى الذى يختارونه إما اعتـماداً على الاشتقاق من العربية ، أو بغير ذلك مثل أن يتواطأوا على اسم معين ...

فكان اصطفـان - يقول ابن جلجل - يتكل فيمـا لم يصل إلى معـرفتـه - على قـوم يأتون بعـده ممن يعـرف أعـيـان تلك الأدوية التى لم يعرف هو اسما لها فى وقته فيسميها على قدر ما يسمع فى ذلك الوقت ...

وهنا يستطرد ابن جلجل - وهو كما نعرف ممن كـانوا يعـملون فى البـلاط الأندلسى - فيـستـعرض صفحةً مطرفةً من التاريخ الدُوَلى للأندلس لهـا عـلاقـة بتـعـريب كـتـاب دْيُوسْقوريدِس .

يقول ابن جلجل : وقد ورد هذا الكتاب إلى الأندلس مـتـرجمـاً من لدن اصطفـان ، ومنه مـا عـرف له اسـمـاً بالعربيـة ومنه مـا لم يَعـرف له اسماً .

وهكذا توصل الخليفة الناصر عبد الرحمن الثانى بخطاب من العاهل البيزنطى قسطنطين السـابع قـيـصـر القسطنطينيـة المعـروف باسم برُوفِيـرُوجِينيط (Prophyrogenete) وكـان ذلك بتاريخ 337 = 948 .

وكان فيما حمله السفير البيزنطى عدداً من الهدايا النفيسة : هذه السفارة التى تقدم عنها الرواية الأندلسية تفاصيل شائقة تلقى ضوءا عن نظم الرسوم الدبلوماسية فى ذلك العصر وقد حضرها من الضُيوف الذين نزلوا على الأندلس أبو على القالى وافد العراق[1] .

وكان فيما ورد فى الخطاب البيزنطى إلى الناصر أن كتاب ديوسقوريدِس لا تُجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فإن كان فى بلدك من يحسن ذلك فزت بفائدة الكتاب ...

وأما كتاب أورسيوس ORSIUS فعندى فى بلدى من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطينى، وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطينى إلى اللسان العربى .

لقد ارتجل الشاعر منذر البلوطى خطابا عظيما بهذه المناسبة ، وكان من شعره عن ذلك الاستقبال المشهود :

وفود ملوك الروم وسط فنائه
مَخافة بأس أو رجاءً لنائل
ستملكُها ما بين شرقٍ ومغربٍ
إلى درب قسطنطين أو أرض بابل[2] !

وقد بقى كتاب دِيُوسقوريدِيس فى خزانة عبد الرحمن الناصر ولم يترجم إلى اللسان العربى ... وإنما الذى كان بين أيدى الناس هو ترجمة اسطفان الواردة من مدينة السلام .

فلما أجاب الناصر العاهل البيزنطى طلب إليه بواسطة السفير الأندلسى هشام بن هُذَيل أن يبعث إليه برجل يحسن الإغريقية واللاطينية ليعلّم له عبيداً يقومون بالتّرجمة لديه ، فبعث الملك قسطنطين إلى الناصر براهب كان يسمى نقولا س (Nicolas) ، فوصل إلى قرطبة سنة 340 وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتنقيب وحرصٌ على استخراج ما حصل من أسماء عقاقير كتاب ديوسقوريديس إلى العربية وكان أبحثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الملك

(١) د . التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ج 4، ص 311 .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، بيروت ج 1 ، ص364 / 373 .

عـبـد الرحـمن الناصـر حَسْدَاى بن شَبّرُوط الإسـرائيلى ... وكـان نِقُـولاس الراهب عنده أحظى الناس وأخصـهم به ، وفسر من أسمـاء عقاقير كتاب ديوسقوريدِيس ما كان مجهولا .

وكان فى ذلك الوقت من الأطباء الباحثين عن تصحيح أسمـاء عـقـاقـيـر الكتـاب وتعـيـين أشخاصه محمد المعروف بالشجَّار ورجل كان يعرف بالبسبـاسى وأبـو عثـمـان الجزار الملقب باليـابسـة ، ومحـمـد سـعـيد الطبيب ، وعـبـد الرحمن ابن إسحاق بن هيثم ، وأبو عـبـد الله الصقلى وكـان يتكلم باليـونانيـة ويعـرف أشخاص الأدوية ..

وقد أدرك ابن جلجل نِقُولا س الراهب فى أيام المستنصر بالله الحكم 350-365 = 961-976 وصحب رفاقه كذلك فصُحِّح - بفضل بحث هؤلاء النفر الباحثين فى أسماء العقـاقير - كتابُ ديوسقوريدِيس وزال الشك عن أشخاص تلك الأدوية وأوجب المعرفة بها وتصحيح النُّطق بأسمائها إلا القليل منها الذى لا بال لها وذلك يكون فى مثل عشرة أدوية .. "

لقد أردت باستعـراض كل هذه الأخبـار أن أؤكد أن الأقدمين كانوا فى موضـوع تعـريب العلوم يحتـاطون ويحتـاطون قبل أن يُقـدمـوا علي عمل ما من الأعمال وخاصةً فيما يتصل بالطب لأن غلط الطبـيب - كـمـا يقـول ابن البيطار - ليس كغلط سائر الناس فإن غلطه قد يؤدى إلى اتلاف روح وهذا لا يجوز .!!

وقد وجدنا أن لابن البيطار فى مقدمة كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) مـا يؤكد حرصه واحتياطه فى ترجمة الكلمات بمختلف اللغات . ووجدناه اعملاً بالنموذج الذى حكاه ابن جلجل ، يُحجم عن اختيـار الاسم باللغة العربية إذا لم يتبينه كما يجب ويكتفى بذكر اسمـه باليـونانيـة أو اللاتينيـة أو البـربرية أو غيرها ذلك من اللغات ..

ومـعنى كل هذا أن القـدمـاء كـانوا فى منهـجهم لتـعـريب العلوم يسـيرون وأمـامـهم هدفـان اثنان : الهـدف الأول التـعـريب كلمـا أمكنهم ذلك ، فإن تعذر تمسكوا بالمصطلحات كما هى . الهدف الثانى : ينشأ عن الأول ويتعلق الأمر بتعجيل الفائدة ما أمكن ذلك فى انتظار أن نتوفر على من يُعَرّب تعريباً صحيحاً دقيقاً .

وهكذا فلم يكن التعريب هدفاً يقوم على محاربة لغة ما من اللغات أو حضارة من الحضارات ولكنه كان بدافع الحفاظ على مدّ لغتنا الوطنية بالقدر الذى لايسبب ضعفاً أو نقصاً فى زادنا العلمى ، وبفضل تضلع علمائنا الأوائل وتمكنهم من اللغات الأخرى أمكنهم أن يقدموا لنا تآليف كانت قمة فيما خلّفوه لتراث الإنسانية جمعاء :

أمثال ابن الجزّار وابن البيطار والإدريسى لم يكونوا إطلاقا يكتفون بلغة واحدة لإثراء معلوماتهم ، ولكنهم كانوا يقتحمون اللغات الأخرى اقتحاما ظهر فيما كتبوه وما دونوه ...

لا ننسى أننا كنا نجد فى الأندلس مدارس تضم فى الوقت الواحد والمكان الواحد متعلّمين من الملل الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام، وإن هذه المدارس استمرت تعمل إلى سقوط مدينة مرسية .. وقد ذكر ابن الخطيب فى الإحاطة أنه عام 553 = 1158 كان فى بياسه (BAEIA) عالم غرناطى يدعى عبد الله بن سهل كان يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود ، وورد فى نفح الطيب للمقرى فى ترجمة القرموطيى المرسى أنه كان من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة : الهندسة والمنطق والطب والموسيقى .. وكان يُقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها . ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عام 1266 = 664 عرف له حقه وبنى له مدرسةً يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود ...

أريد أن أستخلص من كل هذا أن مبدأ تعريب العلوم مبدأٌ مقدسٌ لا يحتمل الجدال ولكنا إذا ما تعذر علينا ذلك التعريب إما لنقص فى أطرنا أو ضعف فى معلمينا ، هنا ، سنكون مضطرين - ومن غير أن يتملكنا أى شعور بمركب نقص - إلى تناول العلوم بلغاتٍ أخرى .

هناك مثال أضربه للاستدلال على ضرورة التعجيل بالفائدة قبل ضياع الفرصة ...

هناك ظاهرة شاهدناها بالمغرب فى العصر الوسيط عندما اشترطت دولة المرابطين (453 - 500 = 1061 - 1106) على خطباء الجمعة أن يكونوا مُلمين باللغة البربرية لكى يتمكنوا من تبليغ المصلين - وجلّهم من البربر

– ممن كانوا لا يعرفون العربية ، تبليغهم بما يوجه إليهم من خطاب فى الوقت المناسب ، ولا أعتقد أن الأمر كان يتعلق بعداءٍ للغة العربية ، كيف وكل الرسائل الرسمية للدولة سواء منها ما كان للاستعمال الداخلى أو الموجه للأمم النصرانية ، كل تلك الرسائل كان مكتوبا بلغة عربية سليمة ، بل إنها لغة رفيعة .

وأحِب أن أذكر بهذه المناسبة أننا فى المغرب فوجئنا أواسط القرن التاسع عشر بظهور جهاز التلغراف .. وأن المغاربة طمحوا لكى يبعثوا برسائلهم العاجلة عبر جهاز التلغراف الذى لم يكن يقبل الحرف العربى .. !

ومن هنا اضطررنا إلى التفكير فى الاستفادة من التلغراف فى الوقت الذى لا نفرط فيه فى لغتنا ... ولَمَّا لم نكن على استعداد للتعامل مع الحروف اللاتينية فقد تم الاتفاق على اللجوء إلى استعمال الأرقام عوضا عن الحروف ، مثلا : حرف الألف عُوض برقم 20 والباء 21 والتاء 22 والثاء 24 ، وهكذا إلى حرف الياء التى عوضت برقم 49 ، علاوةً على تخصيص أرقام لبعض الوظائف ، مثلا : رئيس الدولة يُعطَى رقم 55 ووزير الداخلية 67 والخارجية 85 ..

وأريد فى ختام هذا العرض الموجز أن أذكر أن تجربتنا فى المغرب تعتمد على مبدأ التعريب الشامل الكامل مع الاحتفاظ بالمصطلحات العلمية الدولّية فى ميدان الرياضيات والفيزياء والكيمياء حرصاً على الاستفادة من تجارب الآخرين من جهة وعدم تضييع الوقت فى البحث عن مصطلحات جديدة قد تحول دون سيرنا قدماً فى طريق المعرفة .

وهكذا فإن ما أشار إليه ابن جلجل فى بداية العرض .. كان بالنسبة إلى المغرب مبدأ سليماً يتفق والرغبة فى الحفاظ على المستوى العلمى فى الوقت الذى نقوم فيه بمجهودنا الهادف إلى تعريب سائر الحقول العلمية .

عبد الهادى التازى

عضو المجمع من المغرب

ألفاظ يمنية

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

هذا موجز فى ألفاظ يمنية يدرج بها اليمنيون فى لغتهم الدارجة ، غير أن فيما دلَّ عليه الدرس ما كان منها ذا أصل فصيح لانجده فى « العربية المعاصرة » ، وشيئا آخر نجد أصوله فى اليمنية القديمة التى هى السبئية[1] .

إن هذا يعنى أن « السبئية » وغيرها مما يتصل باللغات الخاصة لابد أن ندرجه فى « العربية الجنوبية » فيكون من ذلك كله عربية فى شمال بلاد العرب بما فيها من لغات خاصة ، وعربية فى جنوب بلاد العرب بما فيها من لغات خاصة .

وقد رأيت أن أبسط فى هذا الموجز طائفة من ألفاظ عرفت فى عامية أهل اليمن ذات أصول قديمة نجد آثارها فى المعجم القديم ، وفى النقوش السبئية ، ولكنها غريبة بل بعيدة عن « العربية المعاصرة » إلا ما يضطر إليه اليمنى، وهو فى سياق الحديث عما لليمنيين فى شؤونهم الخاصة .

وسأدرج هذه الألفاظ بحسب حروف المعجم مشيراً إلى أصولها :

١ – بلق :

أقول : «والبَلَق » فى لغة أهل اليمن نوع من الحجر ، وهو كذلك حجر كلسى فى المعجم السبئيى ، وقد ورد ذكره فى النقش المرسوم بـ (ربرتوار – ٤٠٨٥) .

أقول : الذى كان لليمنيين فى دلالة «البلق» ألمحه فى مادة « بلق » فى معجماتنا القديمة ، فقد جاء فيها :

* ألقى البحث فى الجلسة الثالثة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ١٨ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤م .

(١) أقول : لم يعرف اللغويون العرب « السبئية » ، ولم يرد هذا الاسم فيما تركوا لنا من آثارهم ، ولكننا وجدنا الحميرية التى أباها نفر منهم فقد قال أبو عمرو بن العلاء : مالغة حمير بلغتنا ولالسانهم بلساننا ، ومن غير شك أن « الحميرية » التى أدركها العرب هى بقايا السبئية .

ان « البلق » بفتحتين سواد وبياض ، وكذلك « البُلْقة » . وأصل الدلالة هو اللون . ويصدق هذا فيما نشاهده من الحجر الذى يشيدّ به اليمنيون بيوتهم ، ذلك أن لونه « أبلق » فهو مشرب من بياض وسمرة بحيث يختلط فيها اللونان .

وبهذا الحجر سُمّى كل بناء « أبلق » ، فأنت تدرك هذا فى قول الأعشى وهو يصف قصر السموأل بن عادياء اليهودىّ بأرض تيماء :

بالأبلق الفَردُ من تيماء منزلُه

حصن حصين ، وجارٌ غيرُ ختّار

وفى المثَلَ : تمرَّد ماردُ وعزَّ الأبلقُ ،

قال الأعشى :

وحصنٌ بتيماء اليهودى أبلقُ

٢ – جُبا :

واللفظ بضم الجيم وفتحها ، فأما المضموم الجيم فيعنى سطح المنزل ، وأمّا المفتوح الجيم فيعنى الهدية يُهديها الرجل إلى صاحبه ، والمضموم والمفتوح كلاهما معروف فى اليمن . والكلمة الأولى ، وهى المضمومة الجيم معروفة فى صنعاء وما جاورها من الآفاق ، وذمار وهمدان وأرحب ، والثانية معروفة فى كثير من حواضر اليمن وبواديها ، وهى تشعر بالتكريم للمُهدَى إليه ، يقال فى اليمن : « جباك يافلان » .

وأما الأولى المضمومة الجيم التى تعنى سطح البيت فقد ذكرت فى النقش القديم المدعوّ (جام – ٦٥٦) والذى ورد فى « المعجم السبئ[١] » إن « جبا » وتجمع على أجبى» تعنى « مجمع المطر »[٢] .

أقول : ومثل هذا فى « المعجم السبئى » وفى المعجمات العربية ، فقد جاء فى هذه : « جَبىَ الماء (وكذلك الخراج) فى الحوض ، وجبوته ، تجباه ويجبيه ويجبوه : جَمعَه .

٣ – ثفل :

أقول : و« الثفل » فى عامية أهل اليمن ولاسيما فى صنعاء يعنى «نزع التنوّر وتجديده » ، تقول المرأة مثلا : ثفلت للتنور و « ثفل » فعل بمعنى كسا بالحجارة ، وهو كذلك فى النقش (جام – ١٠٧) أى طوى بالحجارة البرج .

---

(١) « المعجم السبئى » من منشورات جامعة صنعاء (مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٢) .

(٢) أقول : هذه الألفاظ جمعتها مستنطقا طلابى واستخيرهم فيما أقرؤه وأسمعه من الكلم اليمنى ، وكان خير من أفادنى وقدّم بين يدى مجموعاً فى بضع ورقات هو الطالب عبد البارى عبد الله الكبارى الذى أضاف إلى مالدىّ فوائد لايقف عليها غير اليمنى ، فله شكرى واحترامى .

٤ - جرن :

« الجرين » فى بعض جهات اليمن هو البيدر ، وهو كذلك فى « المعجم السبئى » . وقد ثبت فى نقوش عدّة سبئية .

أقول : و« الجرين » فى المعجمات العربية القديمة موضع البُرّ ، وقد يكون للتمر والعنب ، والجمع أجرنة وجُرُن .

وهو بيدر الحَرث يُجدَر أو يُحظَر عليه .

٥ - حقو :

« الحَقْو » هو الخَصر فى استعمال اليمنيين ، وهو كذلك فى نقوشهم القديمة . وقد ذُكر فى « المعجم السبئى » .

أقول : وفى معجمات العربية :

الحَقْو والحِقْو : الكشح ، وقيل : معقد الإزار ، والجمع : أحْقٍ وأحقاء ، وحِقِىّ وحِقاء . وفى «الصحاح»: أنه الخَصْر ومَشَدّ الإزار من الجنب .

٦ - خرش :

« الخَرْش » لدى اليمنيين هو شقّ الأرض فى ابتداء موسم الزرع إعداداً للبذر . ومنه قالوا : «المِخرَشة» وهى أداة الشقّ .

وذكر لى أحدهم : أن « الخَرْش » يعنى أيضاً فى كثير من جهات اليمن فكّ عُقدَة الحَبْل .

كما ذكر لى أن أهل صنعاء يريدون بالخَرْش النقش على الجَصّ .. أقول : وليس هذا بعيداً عما فى معجمات العربية التى أفدنا منها إن « الخَرْش » هو «الخدش بالأظفار » وغيرها .

والمِخرَش والمخراش : خشبة يخطّ بها الإسكاف .

والمِخْرَشة و المِخْرَش : خشبة يخطّ بها الخَراز أى ينقش الجلد .

وهذا كله من أدواتهم فى الصنعة .

٧ - سقف :

« السّقف » لدى أهل اليمن لكل ماهو عالٍ مرتفع كالبناء ونحوه ، ولذا كان السقف فى البيت لارتفاعه . وهوكذلك فى النقوش اليمنية القديمة كما فى النقش (أريانى - ٧١) على أن أهل اليمن قد توسعوا فى دلالة « السقف» فأطلقوه على ما يُسمى فى عربيتنا المعاصرة « الطابَق » أو « الدور » ، فيقولون مثلا : يشتمل البيت على أربعة سقوف ، وذهبوا إلى أبعد من هذا فقالوا : فى هذه البئر خمسة سقوف .

وليس بعيداً عن دلالة السقف فى المعجمات العربية القديمة ، فقد جاء فيها : « السقف : غِماء البيت ، والجمع سُقُف وسقوف .

٨ – شقر :

والفعل : شقَّر ومثله هَشْقَرَ يعنى ما يختم به البناء من النقش والزخرفة بحيث يبدو أعلى البناء مخالفا فى ظاهره لجملة الجدران . وكأن هذه القمة المزخرفة والمنقوشة هى خاتمة عمارة البيت ، بحيث يكون البناء الذى لم ينته على هذا النحو ناقصاً . ويتبع هذا ما يوضع فى طيات عمامة الرجل أحياناً من الورد والرياحين « تشقيراً » .

وقد وردت هذه الدلالات من النقش والزخرفة التى يختم بها البناء وغيره فى النقوش القديمة : (كوريوس ٥٤٠) و (ربرتوار – ٤٠٨٥) و (ربرتوار – ٣٩١٣)

أقول : والأشقر من الدواب والإنسان : الأحمر ، والشُقْرة : الحُمرة ...

فى « معجمات العربية » . وقد جاء فيها أيضاً : « الأشاقر : حى من اليمن من الأزد ، والنسبة إليهم أشقرىّ . وبنو الأشقر : حىّ أيضاً يقال لأمّهم الشُقَيراء .

٩ – شفف ، شوف :

أقول : كلتا الصيغتين من أبنية الفعل فى النقوش اليمنية بمعنى حفظ وحمى نفسه .

ومن هذا « الشوفة » التى بقيت فى عصرنا للمرأة المودعة لدى زوجها وهى تعيش فى حماه على أن هذا شئ لانعرفه فى فصيح العربية القديمة .

١٠ – صِرْب :

« الصِّراب » مصطلح فلاحى يعنى فى اليمن الحصاد للبُرّ والشعير . و« الصِّراب » : الذرة ، وهذا ما نجده فى النقوش اليمنية (ربرتوار – ٤٢٣٠) . وقد أطلق على أحد شهور السنة « ذو صربن » أى شهر الصراب ، وهو موسم حصاد الذرة .

أقول : و« الصِّرْب » فى المعجمات القديمة : اللبن الحقين الحامض .

وهذا بعيد عما نحن فيه من اللغة اليمنية فى حاضرها وماضيها ، غير أننا نجد فى هذه المعجمات « الصِّرام » بمعنى جَداد النخل وجنى الرطب فى أوان إدراكه .

وأعود فأقول : إنه مثل الكلمة اليمنية ، والبدل كثير بين الباء والميم لما يكون من موضع الشفة فى نطقها ، والأمثلة كثيرة ومنها : ثَلَبَ وثَلَمَ وغير هذا كثير .

١١ – صرح :

يقال فى لغة أهل اليمن الدارجة « صرحة » للمكان الواسع أو الساحة فى وسط الحىّ تحيط بها بيوت عدة، وهى كذلك فى النقوش القديمة وتتخذ موضعاً للعبادة ، كما فى النقش (كوريوس – ٣٣٨) .

أقول : والذى فى معجمات العربية أن « الصرح » هو البيت المنفرد الطويل فى السماء ، وهو القصر المرتفع . وفى لغة التنزيل : « صَرْح ممرَّد من قوارير » . والجمع صروح قال أبو ذؤيب :

على طُرُفٍ كنحور الظباء

تَحسَبُ آرارمَهنّ الصروحا .

١٢ – صرع :

ومنه « مِصَرع » و « مصراع » وهو إحدى ضِلْفتى الباب . وهو بهذا المعنى فى النقوش القديمة كما فى النقش (جام – ١) .

وقد اشتق اليمنيون الفعل صرع من هذا فى قولهم : لا تصرع الباب بوجهى .

أقول : وهذا فى معجمات العربية فقد جاء : ومِصراعا الباب : بابان منصوبان ينضمّان جميعاً ، والمِصرَع لغة فى المِصراع .

١٣ – صنن :

أقول : « الصّنّة » فى لغة أهل اليمن الدارجة تعنى الرائحة الكريهة تنبعث من المراحيض ونحوها ، وتطلق على الرائحة تنبعث من الرجل الذى يبول ولا يتطهرّ .

وهى كذلك فى النقوش السبئية .

أقول : و « الصُّنان » فى فصيح العربية ذَفَر الإبط وغيرها من أعضاء الجسم .

وهذا مما بقى فى كثير من الألسن الدارجة ، وقلما يرد فى العربية المعاصرة .

١٤ – عرم :

وهذا يدل على أطراف قطعة من الأرض ، وكأنه الحدّلها ، والجمع أعرام .

وقد ورد فى النقوش السبئية وأشار المعجم السبئى إلى ذلك وأثبت له معنى « السُّدّ » .

والذى ورد فى « المعجمات » :

العَرَمة والعَرِمة : المُسنّاة . والعَرِمة : سُدٌّ يُعتَرَضُ به الوادى ، والجمع عَرِم ، والعَرِم : السيل الذى لا يطاق ، ومنه قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم سيل العَرِم » .

١٥ – عصر :

الفعل « عصر » فى لغة أهل اليمن الدارجة بمعنى « تصارع » ، يقال : تعاصر فلان مع صاحبه ،

أى تصارعا . وهوكذلك فى النقوش القديمة كما فى النقش (جام - ٧٠٠) .

أقول : وهذا هو مقلوب الفعل « صرع » فى فصيح العربية ، والقلب كثير فى اللغات الدارجة ، وقد ترد الكلمة ومقلوبها فى فصيح العربية نحو : صاعقة وصاقعة ، ومسرح ، ومرسح ، وكلاهما فصيح .

١٦ - فقل :

يقال فى بعض جهات مدينة صنعاء « أفقل » ويريدون بها الكومة من الغَلّة .

واستعمل هذا أيضاً للدلالة على حصاد الزرع ، وهو كذلك فى النقوش القديمة .

و« الفَقْل : التذرية فى لغة أهل اليمن » كذا ورد فى المعجمات العربية القديمة .

١٧ - قرع :

« القُرَع » فى لغة أهل اليمن الدارجة ما يؤخذ من الطعام فى الصباح .

وهذا مما نقف عليه فى النقوش القديمة كما فى النقش (نامى - ١٢) .

ومن هذا القُرْعة » وهى كيس من جلد الغنم يضع فيها الراعى طعامه .

أقول : وليس فى هذه المادة التى قيل فيها الكثير فى معجمات العربية إلا « القَرْع » وهو حَمْل اليقطين الذى يُؤكَل .

١٨ - كرف :

أقول : و « الكريف » من مصطلح السقى ، وهو الماء (أى المطر) يجتمع فى الحوض أو الحفرة الكبيرة . قال صاحب « بلوغ المرام »[1] : الكريفة : كلمة يمنية بمعنى صهريج أو مغارة ، وما زالت معروفة . وهى بهذا المعنى فى النفش (جام - ٨٦٧) .

أقول : وفى معجمات العربية « الكِرْف » هو الدلو من جلد واحد .

١٩ - لفَى :

هو الفعل « لفَى يلفى » ، وهو فى لغة أهل صنعاء وما جاورها بمعنى « لحق ووجَدَ » .

وقد ورد فى النقوش القديمة كذلك كما فى النقش (جام - ٦٦٥) .

أقول : وهو « ألفَى » المزيد فى المعجمات ومعناه « وجد » أيضا ، وهو معروف .

٢٠ - ماجِل :

« الماجل » بكسر الجيم فى عامّة بلاد اليمن يفيد

(١) بلوغ المرام فى شرح مسك الختام للقاضى حسين بن أحمد العريشى (ط . بيروت ، مكتبة اليمن الكبرى) .

« البركة » أو الحوض ، والجمع « ماجلات » وهي بالجيم التي هي قاف في الأصل (ماقل) . والكلمة في الأصل تعني جبلا بالقرب من « مأرب » وقد أقيم السد بين شقَّيه كما ورد في النقش (كربوس – ٦٢١) .

وقد عثر على هذا اللفظ في نقشين أحدهما في مأرب ، والآخر في منطقة حاز من همدان وهما بالقاف .

إن البدل يعرض للقاف والجيم ، يقال : فَلَقَ وفلج ، وفَرَقَ وفَرَج وغير ذلك .

و« الماجل » لدى المعاصرين من أهل اليمن هو الحوض .

أقول : وفي معجمات العربية :

مَقَلَهَ في الماء : غمَسة وغطّه يمقُله مَقْلاً .

٢١ – مسر :

و « المَسْر » في صنعاء وغيرها يفيد إزالة الوحل وغيره من البئر ، وهي كذلك في النقوش القديمة كما في النقش (كوربوس – ٥٤٠) .

أقول : وقريب من هـذا ما في المعجمات العربية فقد جاء : مَسَرَ الشيء يمسُرُه مَسْراً : استخرجه من ضيق .

٢٢ – وثر :

و « الموثر » في صنعاء يعني الحفرة التي تُحفَر فيكون فيها أسس البناء للبيت وغيره . وهي كذلك في النقوش السبئية كما في (ربرتوار – ٣٩١٣) و (ربرتوار – ٤٦٢٦) وليس لنا في معجمات العربية ما يقرب من هذا .

٢٣ – وثن :

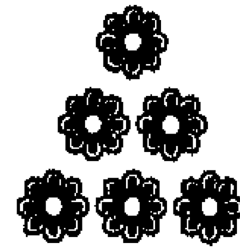
و« الوثن » في صنعاء يعني الحجر يوضع فوق قبر المرأة يميزه عن قبر الرجل ، والوثن وجمعه أوثان نصب من حجر ، كما في النقش (ربرتوار – ٤٠٨٨) .

وفي المعجم السبئي : إن « وثن » نصب من حجر علامة للحدّ .

وبعد فهذا شئ استقريته مما يدرج به اليمنيون حبسته على هذا الموجز .

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق



التعريب بين التفكير والتعبير

للأستاذ الدكتور كمـــال بـشـــــر

ينطلق الحديث من وقت إلى آخر فى عـالمنا العربى مناديا بوجوب تعريب العلوم باعتماد اللغة العربيـة لغة التدريس والتأليف والبحث العلمى والتقنيات الحديثة فى جامعاتنا ومعاهدنا . وهناك من الدارسين أهل الاختصاص من لم يعيروا هذا النداء أى اهتمام ، بل ربما عارضه بعضهم وأطلقوا شـعـارات أخـرى ترمى إلى إسكات هذا النداء والتشويش عليه حتى لا ينفذ إلى الآذان ويخرج إلى حيز التنفيذ عاجلا أو آجلا . ولا نعدم فى الوقت نفسه أن نجد من يقف وسط المعركة حائرا ، لا يدرى إلى أى من القبيلين ينتسب ، إما لجهله أعماق القضية ، وإما عجزا عن تقديم يد العون لهؤلاء أو أولئك .

ونحن من جانبنا نؤيد « التـعـريب » من حيث المبدأ . والمبدأ أشبه شىء بالدستور يحتاج إلى تفسير وضبط لأبعاده وأهدافه ، وتعرّف مجالات تطبيقه ، وبيئة هذا التطبيق وزمانه . وهذا يقتضى منا إلقاء الضوء على بعض الأفكار والجوانب المتعلقة بهذا المبدأ إيجابا وسلبا ، والتى قد يغيب عن بعضهم من القبيلين كليهما إدراك حقيقة الأمر فيها وما يلفّها من مشكلات وصعوبات .

وأول ذلك تحديد مفهوم « التعريب » فى التوظيف العربى المعاصر ، إذ إن المصطلحات هى مفاتيح العلوم ، فينبغى أن تكون ذات قدرة وكفاية للكشف عن مغاليق ما نودُّ الوصول إليه ، ولايكون ذلك – بطبيعة الحال – إلا بإخضاعها للنظر والتدقيق مبنًى ومعنًى .

يُوَظَّف « التـعـريب » – مـصطلحـا – فى الثقافة العربية المعاصرة فى أربعة معان ، مختلطة الحدود فى أذهان الكثيرين منا فى النظر والتطبيق على سواء .

* ألقى البحث فى الجلسة الثالثة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ١٨ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ م

المعنى الأول :

قد يطلق « التعريب » في ميادين الثقافة العامة ويقصد به إخضاع النصوص أو الأعمال الأجنبية - علمية أو أدبية أو فنية - لشيء من التصرّف في مبناها ومعناها ، وذلك بتطويعها لمقتضيات الظروف وأنماط التقاليد الاجتماعية والثقافة العربية ، وجعلها ذات سمة عربية في الإطار العام .

وقد يقتضي ذلك شيئا من التغيير في الجزئيات وبعض التفاصيل بذكر أفكار أو أمثلة أو نماذج عربية في صلب النص أو العمل المنقول .

ومعنى هذا أن النقل - في حالة النصوص المكتوبة - يأخذ طريقين متصلين غير منفصلين . أحدهما ترجمة الفكرة العامة أو العناصر الرئيسية للموضوع ، وثانيهما حشو النص المنقول بأفكار جزئية عربية ، أو التحوير والتعديل في بعض نقاطه أو حذف شئ أو أشياء منه ، حتى يأخذ الطابع العربي بصورة من الصور ، وكثيرا ما يحدث هذا الضرب من « التعريب » في المسرحيات والأفلام ونحوها وبعض الأعمال العلمية ، وقد يسمى بالاقتباس أحيانا ، أي اقتباس الفِكَر الرئيسية وصوغها في بناء عربي .

المعنى الثاني :

وهو شديد الصلة بالأول ، حيث يطلق " التعريب " ويراد به الترجمة ، وهذا المفهوم يأخذ به بعض الناس - مثقفين وغير مثقفين - بطريق التجوّز أو عن سوء فهم أو جهل بالمعاني الدقيقة للمصطلحات . وهذا المسلك - في رأينا - تنقصه الدقة أو - في الأصح - هو ضرب من الخطأ المحض . إن الترجمة تعني نقل معاني الكلمات أو العبارات والنصوص الأجنبية والتعبير عنها بكلمات وعبارات مقابلة لها في اللغة المنقول إليها ، سواء أكانت هذه اللغة المنقول إليها عربية أم غير عربية ، في حين أن " التعريب " - في أدق معانيه - محصور في النقل إلى العربية ، (والعربية وحدها) . وقد يكون النقل في مجال الألفاظ ذاتها ، وهو الأشيع والأكثر استعمالا لمصطلح " التعريب " (انظر المعنى الثالث) أو بتطويع النصوص على الوجه الذي

بينا فى المعنى الأول . وقد يراد بالتعريب اعتماد اللغة العربية لغة العلم والفن بدلا من اللغات الأجنبية (انظر المعنى الرابع) .

المعنى الثالث :

وهو الأشهر فى الاستعمال والأكثر استقرارا واتباعا فى مجال العلم ، وبخاصة فى المصطلحات ونحوها . والمقصود به هنا نقل اللفظة الأجنبية بحالها إلى اللغة العربية ، مع نوع من التعديل أو التغيير فى صورتها بالقدر الذى يتمشى مع القواعد الصوتية والصرفية فى اللغة العربية ، وفقا للخطوط العريضة لضوابط هذين الجانبين فى لغتنا . فالتعريب هنا إذن محصورٌ مفهومُه فى مجال الألفاظ ونحوها من حيث المبنى والشكل .

والتعريب بهذا المعنى الثالث (أى تطويع الألفاظ الأجنبية بردِّها إلى الصور العربية صوتيا وصرفيا) هو ما يشيع العمل به فى نقل العلوم والفنون الحديثة ، غير أن استخدامه فى هذا النقل له حدود وضوابط من حيث الكيف والكم . لقد سجل الأقدمون بعض القواعد العامة التى ينبغى اتباعها عند تعريب المصطلحات ، فاشترطوا شروطا صوتية وأخرى صرفية للألفاظ المنقولة ، حتى تأخذ السمة العربية التى تؤهلها للانتظام فى الثروة اللفظية العربية ، وحتى يسهل عليها التأقلم وتصبح " عربية " بالاستعمال الخاص والعام معا . وهذه الشروط كلها أو بعضها ما زال بعض الباحثين يتمسكون بها حتى وقتنا هذا ، قصدا إلى إزاحة الغربة عن هذه الألفاظ ومنحها أرديَةً مألوفة مأنوسة .

والحق أن اشتراط حدود معينَّة للصور النطقية والصرفية للمصطلحات المنقولة بالتعريب ينبغى ألا يؤخذ على إطلاقه . وإنما يعالج الأمر بحسب الظروف والحالات التى تواجهنا ، شريطة أن يكون صوغها على وفق المألوف لألسنة العرب وآذانهم قدر المستطاع .

أما من حيث الكم والأقدار المنقولة من الألفاظ بالتعريب فهناك آراء ؛ هناك من لايجيز التعريب ألبتة ، لأن فيه – على ما يرى أصحاب هذا الرأى – إفسادا للعربية وتشويها لمادتها . وعندهم أن الترجمة هى الطريق الأوفق والأولى بالاتباع فى هذه السبيل .

وهناك فى الجانب الآخر من يرى فتح باب التعريب على إطلاقه ، دون شرط أو قيد ، على أساس أن المصطلح المعرَّب أقرب فى الدلالة على المفهوم المقصود وأكثر وفاء بأغراض التعبير من الترجمة . أما المنصفون من الدارسين والباحثين فلا يرون بأسا من التعريب ، وبخاصة فى المراحل الأولى من نقل العلوم والفنون الأجنبية ، ولكن بأقدار مناسبة ، وحيث تكون الحاجة ملحّة إلى هذا النهج . وهم فى ذلك يستدلون بما جرى فى القديم ، حيث أقدم علماؤنا على تعريب أعدادٍ كبيرة من المصطلحات ذات الأهمية الخاصة ، على ما هو معروف ومشهور .

ونحن من جانبنا نأخذ بهذا الرأى ، ولكن بشروطنا الخاصة التى تتمثل فى وجوب وضع التعريب تاليا للترجمة فى المحاولة والاجتهاد ، وفى وضع نوع من الضوابط تحكم هذا النقل بالتعريب .

المعنى الرابع :

يشيع بين أهل الاختصاص من الدارسين العرب فى السنوات الأخيرة توظيف مصطلح " التعريب " فى مفهوم خاص ، وإن كان هذا المفهوم ما يزال غائما فى أذهان الكثيرين منهم . وأحسب أن أوضح تحديدٍ له وأدقّ تفسير لمعناه فى سياق المعارك الدائرة حوله الآن ، هو ما قدمه لنا الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى فى بحث له اشترك به فى فعاليات المؤتمر الثامن والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٢. ومعلوم أن هذا المؤتمر قد عُقِدَ ورُتِّبت كل أعماله وبحوثه لمناقشة قضية التعريب بهذا المفهوم الخاص (من جميع زواياه وجوانبه) الذى حدّده الدكتور خليفة بقوله : " فالتعريب فى هذا المصطلح الذى يكون محور مؤتمر مجمعنا لهذا العام ، يعنى بالتحديد تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التى تضم مئات الأقسام العلمية ، من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرهما إلى التدريس باللغة العربية ، واعتماد اللغة العربية لغةَ التدريس الجامعى والبحث العلمى والتقنيات الحديثة " .

هذا هو " التعريب " ذو المفهوم الخاص الذى نظن أويُفْتـرض أن المناقشـات الجارية على الساحة العربية منذ فترة قصيرة تدور حوله تأييداً أو معارضةً - وعلى الرغم من وضوح هذا المفهوم للتعريب والأخذ به عند جملة من الباحثين العارفين ، فالملاحظ أن هذا المفهوم قد اقتصر على التعريب اللغوى ، أى اعتماد العربية لغة العلم تدريسا وبحثا وتأليفا بدلا من اللغات الأجنبية . وهذا التفسير للتعريب تفسير جائز ومقبول بوجه من الوجوه ، ولكنه لاينفذ إلى جوهر الموضوع ولا يصل بنا إلى أعماق القضية الأساسية ، قضية " التبعيّة " العلمية للآخرين ، والسير من خلفهم والتلقّى عنهم دون مشاركة فاعلة .

التعريب عندنا يعنى تعريب الفكر واللغة معًا ، إذ الاقتصار على التعريب اللغوى علاج قاصر إذا لم يعتمد على تفكير عربى ، لأن التوظيف اللغوى المحض غير الصادر عن فكر عربى قد يكون بالترجمة أو بنقل أفكار الآخرين والاقتباس منها وصوغ ذلك كله باللغة العربية . ومردود ذلك أننا نظل تابعين فكريا وإن بدا أننا مستقلون لغويا . والتبعية الفكرية هى الداء الحقيقى الذى يفرز أدْوَاء أخرى تنخر فى عظام الجسم العربى . وعلى رأسها داء التغريب اللغوى الذى توجهتْ إليه أنظارُ الدارسين ، وجعلوه محور مناقشاتهم ومعاركهم غافلين عن مصدره الذى يتولد عنه ويمدّه بعناصر وجوده ، وهو التغريب الفكرى .

لا ننكر أن بعض الباحثين قد أشاروا إلى قضية تعريب الفكر هذه ، ولكنها جاءت إشارات خاطفة وردت هنا وهناك فى سياق الحديث عن التعريب اللغوى الذى رأوه السبيل الوحيد المفضى إلى تعريب الفكر . يقول الدكتور خليفة فى بحثه المشار إليه سابقا : " هذا المدلول الحديث (مشيرا إلى تحديده السابق للتعريب) .. يعنى التحول من استعمال لغة أجنبية فُرِضت على المؤسسات العامة والخاصة إلى استعمال اللغة العربية وتأصيلها لغة للفكر والتفكير " .

صحيح أن تعريب اللغة له دور لا يُنْكَر فى تعريب الفكر ، إذ بين الجانبين ارتباط وثيق ،

ولكن هناك عوامل وعناصر أخرى كثيرة ذات فعالية غير منكورة فى تنمية الفكر وتعميقه وتنوّع أبعاده وجوانبه ، كالخبرة والثقافة العامة وسعة الاطلاع على مصادر المعرفة العامة والخاصة ، سواء أكانت هذه المعارف عربية أم أجنبية . هذه العوامل مجتمعة (وغيرها كثير) هى الأدوات الفاعلة فى تحريك الفكر وتنشيطه ودفعه إلى الخلق والابتكار ، بحيث يصبح قادرا على التفاعل والتعامل مع ما يجرى فى الحياة ، والتصرف فيما يقابله أو يواجهه من مشكلات ، ومن ضمنها التعريب اللغوى نفسه .

وتعريب الفكر عندنا يعنى بالضرورة أن يكون للعرب دور إيجابى فاعل ذو خصوصية مميّزة ، لها نوع من الكيان المؤثّر فى السوق العلمية والفنية وجميع مجالات الحياة الإنسانية . ويتم ذلك فى مجال العلوم بالمشاركة والمساهمة فى النشاط العلمى بمجالاته المختلفة ، كأن يكون لنا نصيب فى الابتداع والابتكار أو الإضافة والتجديد أو التعديل والتطوير ، أو حتى التفسير والتطويع للتطبيق السليم الراشد .

وهذه المشاركة الفاعلة وتلك المساهمة الإيجابية لا تأتى من فراغ ، وإنما أساسُها العمل الدائب فى الاطلاع والتحصيل والاستيعاب والهضم لأعمال الآخرين ، بالإضافة إلى محصول الدارس نفسه ومخزون معارفه وثقافته . ثم يقلّب هذا الدارس كل ذلك فى فكره العربى فى إطار شخصيته وموقعه ، حتى تستقر لديه حصيلة معرفية أصيلة يستطيع - إن شاء - أن يعبر عنها باللغة العربية فى سهولة ويسر ، شريطة أن يكون مسيطرا على أدوات التعبير بها .

ومعنى هذا أن التعبير اللغوى العربى يولّده التفكير العربى ، فإن الإنسان يعبر باللغة التى يفكر بها . إنك إن أعملت فكرك باللغة العربية كتبت بها واستطعت أن توظفها إذا شئت ، وأنى شئت . والذين يوظّفون اللغات الأجنبية أو يفضّلون توظيفها فى أعمالهم العلمية هم واحد من اثنين ، إما أنهم يفكرون بهذه اللغات ، إما أنهم يختارون الطريق السهل ، وهو مجرد نقل مادة جاهزة باللغات الأجنبية ، وتكون المسألة حينئذ أشبه باستيراد

" فـيلم " صُنِعَ فى بلد مـا وعـرض على " شاشاتنا " بصورته ومضمونه أو بمبناه ومعناه ، دون أن يكون لنا دور فى هذا العـرض سـوى التسلية وتزجية الفراغ ، وربما ضياع الوقت أيضا .

ومعلوم بالضرورة ، أن التفكير العربى المولّد للتعبير بالعربية يحتاج إلى مخزون عقلى من هذه اللغة وحصيلة من نظمها وأساليبها مناسبة للتخصُّص أو العلم المعين . فإذا كان هذا التخصّص أو ذاك العلم جديداً بالنسبة للدارس أو غير مستقر الأصول عنده ، فلا مناص له من العود إلى لغـة الأصل والتفكير بها ، حتى يستوعب ويهضم ، ثم يُخْرِج - بَعْدُ - ما يستوعب ويهضم فى عبارات عربية .

ومهما يكن الأمر ، فالتعريب لغويا فقط أو لغويا وفكريا ، له أنصار ومعارضون ، ولكل فريق حججه ومسوِّغات اتجاهه . ونحن كما ألمحنا سابقا من أنصار " التعريب " شريطة أن يكون التعريب تعريبا فكريا ولغويا معا . أما حججنا لوجوب تعريب الفكر فواضحة لا تحتاج إلى دليل . ويكفى أن نقرر أن تعريب الفكر فيه تخليصنا من التبعية العلمية ، ومنحنا فرصة التفاعل الإيجابى فى السوق العلمية . وهو تفاعل من شأنه أن يزيد فى محصولنا العلمى وينمّى قدراتنا على الابتداع والابتكار ، ومن ثَمّ تصبح لنا " هويّة " علمية وشخصية فاعلة لها دورها وموقعها فى كتائب الزاحفين نحو خير البشرية بالنظر والدرس والإنتاج الأصيل . ينبغى أن نضيف لبنة إلى البناء ، ولا يعقل أن نظل قاعدين أو متفرجين أو ناقلين ، فنعرض أنفسنا للتخلف أو الضياع وسط هذا العالم الهائج المائج بالأفكار فى شتى حقول العلم والمعرفة .

وليس يخفى على أحد أن تعريب الفكر (فى حقول العلم فى الأقل) قد يأخذ وقتا طويلا لكثرة عوامله وعناصره ، وتشابكها ، الأمر الذى يقتضى منا النظر فى هذه العوامل والعناصر ، واختيار أقربهما مَنالا وأهمها فعالية فى هذا السبيل . ذلك العامل أو العنصر فى رأينا هو التعريب اللغوى ، فلنبدأ به ، ولكن بتخطيط محكم وتطبيق واعٍ ، وإنْ بالتدريج .

التعريب اللغوى : مؤيدوه ومعارضوه

المؤيدون

التعريب اللغوى هو المنطلق الحقيقى لتعريب الفكر ، ونحن نراه خطوة أساسيّة فى هذه السبيل ، بالإضافة إلى أنه أصبح ضرورة قومية وعلمية ، لصالح العرب والعربية ذاتها . وفيما يلى جملة من الأسباب التى ترشّح الرأى المؤيد للقبول .

١ - التعريب مطلب قومى

ليس من المقبول شكلا وموضوعا أن يظل العلم (أو بعض فروعه) فى البلاد العربية أسيرا للغاتٍ أجنبية تفكيرا وتناولا وتحصيلا حتى هذه اللحظة ، ذلك أن إيثار اللغات الأجنبية على لغتنا القومية فيه تقليل لشأنها وإضعاف لمنزلتها بين الناس . وربما يؤدى ذلك فى النهاية إلى خلق جو علمى ثقافى مضطرب ، لا هو إلى الأجنبى ينتمى ، ولا هو إلى العروبة ينتسب وإنما هو جو فاقد " الهوية " مشتّت السمات مشوّه القسمات ، ليس له حدود ضابطة ولا أصول ثابتة . وهذا هو الضياع القومى والانهيار الفكرى الذى ينذر بمحو روح الانتماء التى تعد اللغة قطبها الذى يتجسد وتتمثل فيه كل القيم والمثل وأنماط السلوك الفارقة بين قومٍ وقوم والمميزّة لأمّة من أخرى .

٢ - التعريب مطلب علمى

توظيف العربية فى العلوم ييسّر للطالب والباحث العربى العملية العلمية والتعليمية ، ويساعدهما على سرعة الفهم والتحصيل والإنتاج . والقول بأن الطالب العادى تعوزه أدوات التعبير بالعربية الفصيحة الصحيحة قول يحمل بطلانه فى طياته . إذا كان هذا الطالب ضعيفا فى لغته القومية فهو فى اللغة الأجنبية أضعف ، وإذا كان عاجزا عن توظيف اللغة العربية فهو فى التعامل مع اللغات الأجنبية أعجز . ومنطق الأشياء يقرّر أن الإنسان مهما جادت حصيلته من اللغة الأجنبية ، فلن يقوى على التعامل بها أو توظيفها بالقدر الذى يمنحه لسان أمّه ، الذى استقر فى عقله ووجدانه ولازمه منذ نعومة أظفاره ، ويروى أن " كلوت " بك ناظر مدرسة الطب المصرية فى عهودها الأولى ، كان حريصا على ترجمة المواد الطبية من الفرنسية إلى العربية ، وفاء بهذا

المعنى نفسه . ويقول فى ذلك: « إن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة ، كما لا ينتج عنه توطيد العلم أو تعميم نفعه "

٣ - التعريب مطلب لغوى

التعريب يمنح لغتنا القومية فرصة ذهبية بتمكينها من التفاعل الحى والكشف عن طاقتها ، تلك الطاقات والقدرات التى لم يحاول بعض الدارسين تنشيطها واستغلالها ، وتركوها معطلة - قصداً أو عن غير قصد - حتى غدت فى نظرهم عاجزة عن الوفاء بحاجاتهم من وسائل التعبير وأدواته . ومن ثمّ توهموا عجزاً طبيعيًا فيها وعُقْما خِلْقيا فى مادتها ، فانصرفوا عنها وألقوا بها خارج أسوار معاهدهم واستبدلوا بها لُسُنًا أعجمية . ومَنْحُ العربيةِ فرصةَ التفاعل فى البيئات العلمية يزيد من ثروتها ، وينّمى محصولها ، كما يساعد الدارسين على التفكير بها ، الأمر الذى يؤدى إلى إِلْفِها والتعامل بها ، وبذلك ينزاح عنها توهّم ضعفها واتهامها بالعجز عن ملاحقة العلوم وما يجدّ فيها من تطوّر .

٤ - التعريب مطلب اجتماعى

الإصرار على توظيف اللغات الأجنبية فى العلوم قد يؤخذ دليلا على وجود نوع من النزعة إلى إظهار التفوق والامتياز ، على أساس أن هذه اللغات إنما هى لأقوامٍ محسوبين فى عداد الأمم التى يُنْظر إليها على أنها جديرة بالتقليد فى مجالات الحياة بوجه عام وفى مجال العلوم فى أقل تقدير .

وهذه النزعة - إن صحّ وجودها ويبدو أن الأمر كذلك - لها وجهان من الخطأ والخطر من الوجهة الثقافية والاجتماعية على المستويين العام والخاص . أما أول هذين الوجهين فيتمثل فى إحداث هزة فى السلوك الاجتماعى ، إذ ربما تستهوى هذه النزعة بعضًا من الناس - مثقفين وغير مثقفين - وتجرهم إلى السير فى هذا الدرب الخادع ، وينحازون - قصداً أو عن غير قصد - إلى كل ما هو مستورد أو منقول من ألوان العلم والثقافة ، ويحاولون التزيّن أو التجمّل بهذه الألوان تكلُّفا واصطناعا ، أو ادّعاء بأنهم طبقة متميّزة أو أنهم قطعوا شوطًا فى الوصول إلى مدارج رفيعة من سلّم الطبقات الاجتماعية . ومن ثَمّ نرى هؤلاء

الناس وأمثالهم يعلنون ويلحّون فى الإعلان عن أنفسهم باتخاذ أنماط من السلوك الاجتماعى ، توحى بهذا الامتياز المتوهم . ويأتى على القمة من وسائل هذا الإعلان توظيف اللغات الأجنبية فى حياتهم العامة والخاصة ، والتشدّق بكلمات منها مشوّهة ، مغلوطة نطقا واستخداما ، كلما ألحّت عليهم نزعة الاستعلاء وتحركت فى نفوسهم فكرة الامتياز . وربما يلخّص هذا المسلك كله قول القائلين : إن السّر فى انحياز بعضهم إلى توظيف اللغات الأجنبية فى العلوم وغيرها هو محاولة الاحتفاظ بأرستقراطية المهنة وإظهار " الفوقية " فى السلّم الاجتماعى والثقافى .

وأما ثانى هذين الوجهين فهو ذو نسب قريب من الوجه الأول ومترتب عليه نفسيا وعلميا .

ذلك أن السلوك الاجتماعى - مهما كانت مصادره وأنماطه - لابد - إن عاجلا أو آجلا - أن يصبح تقليداً وعادةً ، فتستقر ملامحه وقسماته فى النفس وتنفذ إلى الفكر والعقل ، وتكون اتجاها نفسيا ينشد " التغريب " وتتطلع إليه كى تهيّئ لنفسها بيئةً على شاكلتها ، تضمن لها النموّ وتمنحها عوامل البقاء والاستمرارية . والنتيجة الحتمية لهذا كله فقدان روح الانتماء القومى ، وإنْ بالتدريج ، وتعويد النفس على التقليد والتبعية فى مجال العلم والثقافة وحرمانها من الأخذ بأسباب الابتكار والاعتماد على النفس. وذلك - للأسف - ما نلمس بعض مظاهره وآثاره واضحة فى ميدان العلوم وبعض مناحى الفكر والثقافة فى العالم العربى بأجمعه .

المعارضون

هناك فى الجانب الآخر أقوام يقفون موقف المعارضة لمبدأ التعريب ، ويرسلون صرخاتهم بانفعال وحماس شديدين ، منادين بأن الدعوة إلى التعريب دعوة إلى التخلف العلمى والجمود الفكرى . ذلك أنهم متصوّرون أن هذا النهج سوف يقود إلى عزلنا عن العالم المتقدم ويباعد بيننا وبين ما يجرى فى حقوله العلمية من تطور وابتداع متلاحقين . ويحتج هؤلاء لرفضهم هذه الدعوة بمجموعة من الحجج ، نشير إلى اثنتين منهما لأهميتهما ولمحاولة الكشف

عما يغلّفهما من غموض وما يلابسهما من سوء تقدير وتجاوز في النظر .

١ - قصور اللغة العربية وعجز أدواتها عن التعبير

يدعى هؤلاء أن اللغة العربية لغة جامدة غير متطورة ، وقفت مادتها وقوالب التعبير فيها عند حدٍّ لا يمكّنها من مواكبة العلوم الحديثة أو الوفاء بوسائلها اللغوية ، وهى وسائل متجددة سريعة الخطو فى الخلق والابتداع . وإيثار العربية القاصرة عن ملاحظة هذه الاستمرارية فى التجديد والابتكار على اللغات الأجنبية فيه تعطيل لمسيرتنا العلمية وحرمان لنا من المشاركة الفعّالة أو الأخذ بنصيب مما ينعم به الآخرون من علم ومعرفة .

والقول بقصور العربية أو عجزها عن أداء دورها فى مجال التعريب قول خالٍ من النصفة وتعوزه الحجة . هذا الادعاء فى رأينا إنما يصدر عن واحد من اثنين من القائلين به ، قد يدّعيه إنسان تنقصه المعرفة بحقيقة اللغة وطبيعتها ، وما ينبغى أن تكون عليه علاقتها بمجتمعها الذى تعيش فيه ، أو يروّج لها مخدوع غير حصيف ، ينشد الانتصار لكل ما هو أجنبى ويرمى إلى التقليل من شأن مقوماتنا الحضارية وأدواتنا الثقافية .

ولتوضيح الأمر بالنسبة لشبهات هذين الوجهين ، نقول : إن أوجه النقص والقصور فى أيّة لغة لا ترجع إلى هذه اللغة بذاتها ، بقدر ما تُنسَب إلى أهليها وإلى الظروف العلمية والثقافية التى تلفّها وتتفاعل معها . فكلما حرص أهلوها على إمدادها بالزاد ، وكلّما ماجت البيئة المعينة بالنشاط العلمى والثقافى ، نهضت اللغة واستجابت لهذا النشاط ، وأخذت فى استغلال طاقاتها من الوسائل اللغوية اللازمة للوفاء بحاجاتهم . وكلّما جمد التفكير العلمى وتخلّف النشاط الثقافى ، ظلت اللغة فى موقعها جامدة ، لا تُبْدِى حراكا ، ولا تقدم زاداً ، لأنها بذلك قد فقدت عوامل النمو وحُرِمت من عناصر النضج . إن اللغة تعطى وتأخذ ، ولا يمكن أن يستمر دورها فى العطاء ما حُرِمت من المنح وتقديم الزاد .

إن الذى حدث - ومايزال يحدث - فى حالتنا نحن العرب أن بعض علمائنا فى العصر الحديث كفّوا عن الابتكار وجانبوا

التـفكيـر العلمى المبـدع ، وقنعـوا فى بعض الحالات بالتـقليـد والنقل . ومن الطبـيـعى أن نقل الفكرة الأجنبيـة أو تقليدها يستتبع حتما وبالضرورة نقل الوسائل اللغوية المعبّرة عنها ، واستخدام مصطلحاتها الفنية . والمعروف أن العالِم المبتكر أو الباحث المُنْشِئ لا يجد صعوبة فى العـثـور على أدوات تعـبـيـره اللغـوى ومصطلحاته . إن هذه الأدوات حاضرة فى ذهنه بصـورة من الصـور ، لأن انشـغـال الفكر بالابتكار تصحبه عادة صور لغوية مهزوزة أو غائمة فى أول الأمر ، وهى بمثابة القوالب أو الأطُر التى تصلح لاحتواء الفِكَر أو الحقائق التى يشغل بها الباحثُ الأصيل نفسَه ، وما عليه بَعْدُ إلا أنْ يخلِّص هذه الصور اللغوية من غموضها ويعمل على بَلْوَرَتِها ، وذلك بصوغها فى النهاية فى أشكالٍ لغوية واضحة ، معبِّرة خير تعبير عن فِكَرِه وحقائقه .

فلو أن علماءنا عمدوا إلى مثل هذا النهج فى التفكير العلمى لضمنا ثروة لغوية عربية تواكب ما ينتجون من علم وتفى بحاجات مبتكراتهم ، لارتباط الجانبين (الفكرى واللغوى) ارتباطا وثيقا وجوداً وعدَماً . أما التبعية فى التفكير العلمى فلا مناص لها من التبعية اللغوية .

وليس من المبالغة فى شئ أن نقرر مع ما قرره باحثون آخرون فى هذا الشأن من أن " الدعوة إلى استعمال اللغات غير العربية فى دراسة العلوم لم تنبعث من عدم إمكان تيسير استعمال العربية فى العلوم الجديدة ، ولا هى ردّ فعل على موقف متين فى الدفاع عن الفصحى بمفهومهم الضيّق لها ، إنما هى منبعثة من دافع نفسى أعمق ، وهو مدى ضعف إدراكهم لكيانهم العربى ومدى رغبتهم فى الحفاظ عليه وتنميته . إن موقفهم لا ينبعث من اعتقادهم بعجز اللغة العربية ، بقدر ما هو من إعجاب يصل حدّ الاستسلام للحضارة الغربية[1] » .

(١) صالح أحمد العلى " أسلوب الكتابة والهوية الثقافية القومية " من مجموعة بحوث ومقالات صادرة عن " مركز دراسات الوحدة العربية " بعنوان " اللغة العربية والوعى القومى " ص ١٧٨ - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .

٢ - حجب اللغات الأجنبية عزل لمسيرة التطور العلمى :

يتوهم المعارضون أن الدعوة إلى التعريب تعنى - بطريق مباشر أو غير مباشر - إهمال اللغات الأجنبية وإبعادها وإخراجها من الحسبان فى ميادين العلم والثقافة ، فى حين أن هذه اللغات هى الأداة الأساسية والفّعالة التى تمكّننا من ملاحقة ما يجرى فى العالم من نشاط علمى يزيد من معارفنا وينمّى قدراتنا وطاقاتنا ، ويدفعنا إلى التعمّق والتجويد . وزحزحة هذه اللغات عن الساحة العلمية تستتبع حتما حصرنا فى دائرة ضيقة تحدّها أسوار العزلة التى تعنى الجمود .

وهذا - فى الحق - وَهْمٌ مرفوض ، إذ لم يدر بخلد أىٍّ من الداعين إلى التعريب أن ينزلق إلى هذا الوهم أو مجرد التفكير فيه أو الانحياز إلى جانبه . إن الأمر على العكس من ذلك . إن دعاة التعريب ينادون فى الوقت نفسه بضرورة إجادة اللغات الأجنبية بالقدر الذى يسعف المهتمين بالشئون العلمية ويمكّنهم من فتح نوافذ جديدة تصلهم بالعالم من حولهم وتمنحهم فرصة المشاركة والتفاعل مع الأجواء العلمية هنا وهناك .

وقد نسى الرافضون لدعوة التعريب أن هناك فرقا كبيرا بين إجادة لغة للإفادة منها وفرضها فرضًا على معاهد العلم ، الأمر الذى يؤدى بالضرورة إلى سيطرة هذه اللغة على مقوماتنا العلمية والثقافية والفكرية ، وإلى طرح اللغة القومية جانبا ، فيجفّ ماؤها وينضب معينها ، فتكف عن المنح والعطاء ، ومن ثَمّ يرفع المعارضون أصواتهم ، معلنين عجز العربية وقصورها عن أداء دورها فى هذا المجال .

وقد يزيد هؤلاء المعارضون من حججهم ، بإبراز المصطلحات العلمية أمام الداعين إلى التعريب ، إذ إن غالبية هذه المصطلحات لها صفة العالمية ، ولا تستطيع لغة واحدة أن تتعامل معها وتنقلها إليها بأدواتها التعبيرية الخاصة ، فتنفصم العرى بين الدارسين وتضطرب الأمور وتختلط مفاتيح العلم المتمثلة فى هذه المصطلحات .

وحقيقة الأمر أن المصطلحات العلمية مشكلة قائمة بذاتها ، سواء أخذنا بالتعريب أم لم نأخذ به . ومن ثَمّ تستحق وقفة خاصة للنظر فى أبعادها وإبداء الرأى فى معالجتها ، وأملنا أن نعود إلى ذلك فى فرصة أخرى بمشيئة الله .

ومع ذلك يمكننا فى هذا السياق - سياق تعريب العلم فكريا ولغويا - أن نشير إلى جملة من الخطوط العريضة التى يتمشى تطبيقها مع مبدأ التعريب ويفى بحاجة الداعين إلى هذا المبدأ . ويمكن أن نوجز تصورنا لهذا المنهج فى الأمور التالية :

أولا : فى حالة الابتكار أو التعريب الفكرى :

إذا كان الباحث المعيّن مبتكرا فى تخصصه ومجال مسئوليته العلمية ، فليست هناك صعوبة ذات بال تقف فى طريق ابتكار مصطلحاته ووضعها بالطريق المعهود فى وضع المصطلحات . إنه صاحب المادة العلمية فى هذه الحالة ، وبمقدوره حينئذ أن يصنع مفاتيحها ويشكلها وفْقًا لما صُنِعَت له من علم وفن . وهذا هو الحال المعهود عند كل الرّواد من الدارسين الذين يأتون بالجديد ، معتمدين على أفكارهم ومحصولهم المعرفى . وقد تشيع ابتكاراتهم العلمية حاملة معها مفاتيحها ، أى مصطلحاتها ، وتصبح تراثا عاما يمتاح منه المائحون هنا وهناك بدون تفريق - حدث هذا أو مثله أيام الازدهار الفكرى والعلمى فى تاريخ العرب والمسلمين .

وهذا بالطبع يقتضى أن يكون الباحث ذا علم واسع ودراية عميقة بالثروة اللفظية للغة العربية وطرائق تصرفاتها فى الكلمات من اشتقاق ونحت وتوليد للمعانى بالتوسيع فى دلالات كلمات قديمة أو بالتوظيف المجازى لها .. إلخ . فالمفكر المبدع المدرك لأسرار لغته يستطيع أن يلبّى حاجاته من المصطلحات متى كانت الفكرة العلمية واضحة لديه ومتى كان هو مدركا لأبعادها وأعماقها ، وهذا شأن المبدعين فى حقيقة الأمر .

ثانيا : فى حالة النقل أو التعريب اللغوى

أما إذا كان المصطلح منقولا من لغة أجنبية ، لخصوصيةٍ فى وصفه وتوظيفه أو لشهرته وعلميته ، أو لأى سبب علميّ آخر ، فإن هذا

النقل يشكل صعوبة حقيقية فى التعامل معه وفى " أقلمته " وذلك لشدة ارتباطه بمادته التى صنع هذا المصطلح لبلورتهــا والكشف عن مغـاليـقـهـا . وليس من النادر أن تكون هذه المادة نفسها غير واضحة تمام الوضوح بالنسبة للناقلين ، إمّا لجدّتهـا وإمـا لضـعف فى استيعابها وهضمها ، الأمر الذى من شأنه أن يزيد المسألة تعقيدا واضطرابا .

ومع هذا فقد حاول الدارسون اقتراح أساليب معينة يمكن اتباعها فى هذا النقل ، متفقين تارة ومختلفين أخرى فى ترتيبها وأولوياتها . وهذا هو اختيارنا لترتيب هذه الأساليب فى سياق قضيتنا الحالية ، وهى محاولة تعريب العلوم :

١ - الترجمة

٢ - التعريب

٣ - نقل المصطلح الأجنبى بحاله .

الترجمة :

نحن فى سياق تعريب العلوم نفضل البدء بمحاولة ترجمة المصطلحات الأجنبية التى يُراد نقلها إلى ساحتنا العلمية ، على الرغم مما قد تنتظمه الترجمة من مزالق وتضحيات بحقائق الأمور فى قليل أو كثير . نفضل ذلك ، لأن فى الترجمة مزايا علمية وقومية ، يتمثل أهمها فى الظفر بحقائق علمية ، نكسوها لباسا عربيا يرشحها للتمثيل والهضم والاستيعاب فى سهولة ويسر ، بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من إثراء اللغة العربية وتطويع مادتها .

واختيار البدء بالترجمة مشروط بشرطين متلازمين .

أولهما : الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبى .

ثانيهما : أن يكون المصطلح العربى المقابل مناسبا نطقا وصياغة ، خاليا من الشذوذ والإغراب فى أصواته وبنائه ، أى أن تكون صورته النطقية مقبولة مستساغة وشكله الصرفى مأنوسا ، بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره فى الوسط العلمى المعين . فإذا كان المصطلح العربى المناسب موجودا بالفعل فبها ونعمت ، وإلا لجأنا إلى ابتكاره بطريق التوليد .

والتوليد له جانبان : توليد فى الصيغة وتوليد فى الدلالة .

والتوليد فى الصيغة : قد يكون بالوضع أو النحت . ونعنى بالوضع ابتكار كلمة جديدة من أصل عربى ، بطريق الاشتقاق أو القياس وما إلى ذلك من ضروب التوليد اللفظى . فإن لم يسعفنا الحال لجأنا إلى النحت ، وهو منهج مأخوذ به فى اللغة العربية منذ أقدم عصورها .

أما التوليد فى الدلالة : فنعنى به توظيف كلمات قديمة فى معنى جديد ، بالتوسيع فى دلالاتها على ضرب من المجاز ، أو تعدد الدلالات . فالتوليد إذن يعنى اختراع كلمة جديدة ، أو توظيف كلمة قديمة فى معنى جديد .

التعريب

وإذا لم يوفّق الدارس إلى ترجمة مصطلحاته الأجنبية إلى ما يقابلها فى العربية بالوسائل المشار إليها سابقا فلا ضير عليه ، بل ربما يتحتم عليه أن يلجأ إلى التعريب . والتعريب أسلوب مشروع ، وله أحكامه وضوابطه التى تعنى فى الأساس إخضاع المصطلح الأجنبى لشئ من التعديل أو التغيير فى بنيته ، ليطابق النظم الصوتية والصرفية فى العربية . فالتعريب فى مجال المصطلحات تابع للترجمة وتالٍ لها ، متى كانت الترجمة الدقيقة عصيّة المنال ، أو كانت تنتظم تضحية بدقائق المعانى ومفاهيم المصطلح الأجنبى .

نقل المصطلح الأجنبى بحاله :

التعريب بضوابطه وأحكامه المقررة قد يصعب الأخذ به أحيانا ، ومن ثَمَّ لا مانع لدينا من نقل المصطلح الأجنبى بصورته الأصلية كاملة غير منقوصة ، حتى يستقر مفهومه ويتضح بصورة لا لبس فيها ولا غموض . ولا ضير بَعْدُ أن يعود إليه الدارس لترجمته ، إن استطاع إلى ذلك سبيلا.

وليس فى التعريب أو النقل الحرفى للمصطلح ضرر أو منقصة فى حالة استحالة الترجمة . إنما الضرر والمنقصة فى التضحية بحقائق العلوم والتورّط فى استخدام مصطلحات غامضة أو قاصرة عن التعبير العلمى الدقيق . ومهما يكن من أمر ، فجواز التعريب والنقل الحرفى ينبغى أن يكون مشروطا وموقوتا ، وعلى الدارسين من أهل الاختصاص واللغويين أن يتحملوا مسئولياتهم ويبذلوا ما وسعهم الجهد فى سبيل سد النقص

والتخلص منه . وليس يكفى فى هذا المجال ترجمة المصطلحات أو تعريبها أو نقلها ، وإنما الأوفق أن ننصرف إلى ذوات أنفسنا ونعمل على تنشيط التفكير العلمى المبدع بصورة عربية فى المادة والمصطلحات معا .

وخلاصة الرأى فى هذا الموضوع كله - موضوع تعريب العلوم ونقل المصطلحات الأجنبية - أن التعريب ينبغى أن يكون تعريبا فكريا ولغويا معا ، وهو بهذا المعنى مطلب قومى وعلمى واجتماعى . أما من الناحية القومية فالتعريب من شأنه أن يردّنا إلى ذوات أنفسنا فننظر فى طاقاتنا وكفاياتنا ، ونعمل على استغلالها أو توظيفها فى بَلْورة هويتها وتأكيدها ، بحيث يصبح لها وزن ونوعُ خصوصيةٍ تصونها من الضياع أو الذوبان أو التبعية وسط هذا الحشد الهائل من القوميات والأيدولوجيات المتصارعة على التفوق وانتزاع السيطرة على العالم . ولا يكون ذلك - بالطبع - إلا باكتمال العدد والأدوات التى تؤهلنا للوقوف على أرض صلبة ، تحمى شخصيتنا وتقيها من هزة التأرجح والتذبذب التى قد تؤدى فى النهاية إلى محو شخصيتنا أو تفرقها بين القبائل ، وأولى هذه العدد والأدوات ومصدرها الحقيقى يتمثل فى الفكر الأصيل ومشاركته الفعالة بسلاح العلم الذى يضمن لنا موقعا ذا خصوصية عربية .

والتعريب من الوجهة العلمية هو بمثابة المرآة الكاشفة عن شخصيتنا ، وهو الدليل على أهليتنا لاكتساب موقع يحمى حقيقتنا ويمكنها من الانطلاق نحو عالم أوسع وأرحب من الفعّالية والمشاركة الإيجابية . إن التعريب ييسر سبل التحصيل والاستيعاب والهضم للدارسين ، وينشط محصولهم اللغوى ، الذى - بدوره - يعمل على تنشيط الفكر وتعميقه ، بحيث يخرج لنا زاداً عربيا أصيلا نشارك به فى المسيرة العلمية فى العالم . وليس من اللائق علميا أن ندور فى فلك الآخرين بالاعتماد على لغاتهم والتفكير بها ، وهو فى رأينا تفكير لا جذور له ولا عمق فيه ، لأنه موظّف فى الأساس فى التقليد أو مجرد النقل عنهم .

والانصراف عن تجربة التعريب الفكرى واللغوى ، بالاعتماد على المحصول المعرفى

المصدَّر إلينا أو المستورد من الخارج ، لابد أن يجرنا - عاجلا أو آجلا - إلى تبعية ثقافية واجتماعية وهى تبعية أشد خطورة وأعمق تأثيرا ، لاتساع دائرتها وتعدّد مناحيها ، إذ سوف تجرّ إلى ساحتها جميع الطبقات والفئات ، وتهدد بيئتهم الاجتماعية وتشوّه هويتهم الثقافية .

تحقيق مطلب التعريب قوميا :

تحقيق التعريب وجعله حقيقة واقعة لا يجدى فيه رفع الصوت أو إطلاق الشعارات فى جانبه ، كما لاتُغْنى فيه جهود أفراد أو جماعات منهم فى محاولة شقّ الطريق إلى هذا الهدف المنشود . إن إطلاق الشعارات ورفع الصوت بالنداءات الداعية إلى ضرورته وحتميته لا تلبث أن تفنى فى الهواء دون إحداث أى أثر لها ، سوى رجعها الذى يحشو الآذان ويشغل الأدمغة بالضوضاء . وكذلك تبقى جهود الأفراد أعمالا متناثرة هنا وهناك ، محرومة من المنهجية والتكامل ، الأمر الذى يفقدها قوة الفاعلية ويعرّضها للتضارب ، وربما التناقض أحيانا .

تحقيق التعريب قوميا ، وبصورة علمية جادة ، يحتاج إلى نظرة شاملة مبنية على تخطيط مرسوم ذى حدود وضوابط تكفل له التطبيق السليم ، حسب الأهداف والغايات المنوطة به .

يقتضى الأمر فى نظرنا تأسيس هيئة علميةٌ تُلقَى إليها مسئولية النظر والدرس والتخطيط ووضع مناهج التنفيذ ومكانه وزمانه ، وكيفياته . تشكل هذه الهيئة بحيث تنتظم أعضاء من ذوى الاختصاص والخبرة والمعرفة الواسعة بالعلوم واللغة ، وبحيث تكون مبرأة من الألوان السياسية أو الانحياز إلى اتجاهات أيدولوجية غير قومية أو إلى مرامٍ شخصية أو نفعية . هدفها الأول والأخير خدمة العلم فى الإطار القومى العام .

ولقد أحسن " السودان " الشقيق صنعا حين أقدم فى سبتمبر ١٩٩٠ م على تأسيس ما سمّوه " الهيئة العليا للتعريب " ، متضمنا هذا التأسيس القرارات واللوائح المنظمة لأعمالها ومسئولياتها تجاه أهدافها وغاياتها فى إطار المصلحة القومية . والملاحظ أن هذه

الهيئة السودانية قد قصرت مسئولياتها على التخطيط ورسم السياسات العامة للتعريب ومتابعة إنجاز ما رُسِمَ وخُطِّط فى الجهات المعنية وهى الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ، فهى متابعة ضابطة داعمة ، وليست متابعة تأمر أو تفرض أو تتدخل إلا فى حدود المرسوم بلوائح الهيئة . إن وظيفتها التنسيق وتقديم الدعم الأدبى والمادى ، ضمانا لإنجاح العمل وحمايته من الفوضى والاضطراب والتدخل والتكرار ، وضمانا لاستمرارية العمل وتأكيد مسيرته بدفع عجلته بمنحه الأدوات والوسائل اللازمة من مال ومراجع ومكتبات ، ومستلزمات النشر ... إلخ .

ومن شواهد هذا التنسيق والانضباط ما رأته الهيئة من قيام وحدات للتعريب بكل جامعة وكل كلية وكل قسم ، مع الربط بينها جميعا ، حتى تنساب المعلومات من القسم مرورا بالكلية والجامعة حتى مركز التنسيق الممثل فى الهيئة ذاتها ، وبالعكس .

والملاحظ كذلك أن هذه الهيئة قد توسعت فى مفهوم التعريب ، بحيث يشمل الترجمة والنقل من الآثار الأجنبية . وهذا النهج مقبول فى هذه المرحلة البادئة التى يُرْجى لها أن تنتهى إلى تأصيل الفكر العربى ، بحيث يسهم فى النشاط العلمى العالمى بالابتداع والمشاركة الفعالة التى قد تصقلها وتعمقها الترجمات الضرورية حسب الحالة والظرف المعين .

وفى رأينا أن موقعنا العلمى والأدبى يفرض علينا أن نكفَّ عن الجدل وننطلق إلى خطوة عملية يجسدها إنشاء هيئة أو تعيين جهة معينة تتولى هذه المسئولية وتبدأ فى الإعداد والتخطيط لها ، على أن يكون التطبيق الفعلى بالتدريج زمانا ومكانا وتخصصا ، حتى تكتمل العدد والأدوات ونقف على أرض صلبة ، ويصبح الأمل واقعا ، والحلم حقيقة .

وهذه العدد والأدوات كثيرة منوعة يدركها أهل الاختصاص ، ولكن لا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى أمرين هما بمثابة حجر الأساس فى هذا البناء القومى المأمول إقامته ، حتى نلجأ إليه ونلوذ به ، حماية لشخصيتنا ووقاية لها من التطفل والازدحام على موائد الآخرين .

أول هذين الأمرين يتمثل فى محاولة تنشيط الفكر العربى ، بتخليصه من التبعية بالتدريج ، وذلك بإمداده بالوسائل والعناصر التى تحفزه إلى التدريب والتجريب فى ميدان الابتداع ، والاعتماد على الذات ، ولا يعنى ذلك بحال أننا ننادى بالانكفاء على أنفسنا والاكتفاء بما لدينا ، إذ المعارف إنما تنمو وتتأصل بتبادل الخبرات والثقافات والاحتكاك المباشر وغير المباشر المبنى على منهج الأخذ والعطاء معًا .

والأمر الثانى الذى ينبغى أن نأخذه فى الحسبان منذ البدء فى عملية التعريب – تفكيرا وإنجازا – هو ضرورة التوجه إلى لغتنا القومية ، فنوفيها حقها ونمكّنها من أداء دورها فى هذا الميدان . ويكون ذلك – فى رأينا – بالعمل على محورين :

محور التجريب بتوظيفها فى العلوم بالتأليف المنشئ أو النقل بالترجمة .

ومحور النظر فى أدواتها التعبيرية وثروتها اللفظية والأسلوبية ، بهدف الوصول إلى مادة طيّعة قادرة على تشكيل الأفكار العلمية وصبّها فى قوالب دقيقة تتسم بالسهولة النسبية وتمثل روح العصر وحاجاته المتطورة المتجددة .

وهذا بالقطع يجرنا إلى قضية جوهرية ، وهى قضية اللغة العربية وتوظيفها فى الحياة العامة والخاصة . إن إخضاعها للتجريب فى ميدان العلوم يجرنا فورا إلى النظر فى أدائها ومشكلاتها بشكل علمى دقيق . وفى صلاح اللغة العربية صلاحٌ للفكر العربى الذى يمثل قطب الرحى فى عملية التعريب .

وجدير بالذكر أن " الهيئة العليا للتعريب " بالسودان ، قد ضمنت نظام العمل عقد دورات متخصصة فى علم اللغة العربية وفقهها للعاملين فى مجال التعريب ، حتى يكون العمل عربيا متكاملا فكرا ولغة . وهذا ما نحلم به ونرجو تحقيقه فى الوطن العربى بأجمعه .

كمال بشر

عضو المجمع

الترجمة بين الماضى والحاضر

وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

بدا فى السنوات الأخيرة اهتمام كبير بقضية الترجمة ونشطت الدعوة لعودتها إلى سابق نهضتها وازدهارها وذلك لما لمسه المشتغلون بالعلم والأدب والثقافة من أزمة حادة تحدق بهذا الرافد الحيوى من روافد المعرفة الإنسانية الذى طالما لعب دورا بارزا فى نشر نور العلم وإعلاء مناره بما يتيحه من اتصال بمختلف الثقافات والتفاعل بينها . وبوصفه إطلالة حضارية منيرة على آفاق رحبة مَن الفكر العالمى الذى تتقافز خطواته فى مدارج التقدم والرقى .

كما أن اللغة العربية تزداد غَناءً وثراءً بالترجمة وتتسع آفاقها بالحصيلة الجديدة التى تضاف إلى مذخور تراثها وتصبح أقدر على تأدية رسالتها فى عصر العلم والتقدم العلمى والتكنولوجى بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة .

وإذا كانت الترجمة إلى العربية قد بدأت فى واقع الأمر فى مطالع عصر بنى أمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية حين ترجم من اليونانية إلى العربية . وحين أجاز الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ترجمة الكتب الطبية لحاجة الناس إلى الطب إلا أن الترجمة لم تبلغ شأوا بعيدا من التقدم والازدهار إلا إبان حكم بنى العباس وبخاصة فى عهد الرشيد والمأمون حين تألقت فى سماء الأمة الإسلامية نهضة علمية عربية عارمة كانت الترجمة لحمتها وسداها بدأت فى منتصف القرن الثامن الميلادى واتسعت حركتها فى عصر الخليفة المأمون (٧٨٦ - ٨٣٣ م) فى القرن الثانى الهجرى والتاسع الميلادى حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم كؤوسا مترعة ويترجمون كتب الإغريق والهند والفرس

* ألقى البحث فى الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية واستمرت هذه الحركة فى ازدهار ملحوظ حتى نهاية القرن الحادى عشر وعن طريقها انتقل إلى اللغة العربية تراث الأمم ذات الحضارات القديمة وتلت ذلك نهضة علمية خصبة واسعة تميز الإنتاج فيها بالجدة والأصالة وبإضافات جادة أضافها العلماء العرب إلى هذه التراجم من مبتكراتهم وكان هذا نتيجة تفاعل التراث الأجنبى الدخيل مع التراث العربى الأصيل -وقد ذهب بعض المستشرقين الغربيين مثل ويل ديورانت إلى أن الإسلام قد احتل مكان الصدارة والقيادة الفكرية والعلمية فى العالم طوال خمسة قرون من الزمان بدأت بمنتصف القرن الثامن وانتهت بمنتصف القرن الثالث عشر الميلادى .

وإذا كانت أمة العرب قد اتصلت بالأمم ذات الحضارات وترجمت تراثها إبان يقظتهم فى عصر الإسلام الذهبى أيام بنى العباس فإن أوروبا فعلت الشئ نفسه فى عصر النهضة التى بدأت منذ القرن الحادى عشر وبلغت ذروتها إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر وذلك بعد أن أفاقت من سبات عميق امتد عدة قرون - وحين استيقظت أوروبا فى مطلع القرن الحادى عشر ارتدت إلى ماضيها وجدّت فى إحياء تراثه وحين أدركت أنها لاتجيد لغة أجدادها من اليونان لجأت إلى تراث العرب المسلمين وما نقلوه عن أمة اليونان وما أضافوا إليه بدأوا فى نقله من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التى كانت لغة العلم فى أوروبا فى ذلك العصر وتم ذلك فى حركتين من أوسع حركات الترجمة فى تاريخ النهضات وبدأت الحركة الأولى فى صقلية وهى تحت الحكم العربى إبان النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى واستمرت قرنا من الزمان وكان رائد هذه الحركة قسطنطين الإغريقى (١٠٨٧م) أما الحُركة الثانية فكانت فى أسبانيا وكانت أوسع نطاقا وأكثر شمولا - بدأت فى النصف الأول من القرن الثانى عشر وامتدت بضعة قرون وكان رائدها المنسنيور رايموند مارتينى رئيس أساقفة طليطلة - وفى مطلع القرن السابع عشر بدأ عصر بناء وتجديد وابتكار استغرق مجالات الفكر فى اتجاهات عدة .

هذه لمحة خاطفة عن أهمية الترجمة فى إيقاظ أوروبا من سباتها الذى طال قرونا من الزمان - أما فى عالمنا العربى فقد اتسع نطاق حركة الترجمة ببداية اليقظة العلمية الإسلامية وبخاصة بعد إنشاء دار الحكمة التى تعهدها المأمون بالرعاية والنماء وكانت تضم العديد من المترجمين من اليونانية والفارسية وغيرهما - وكما يقول الدكتور الطويل فى مؤلفه القيم عن العرب والعلم فى عصر الإسلام الذهبى - كان المترجمون فى العادة يجيدون اللغة التى ينقلون عنها إجادتهم للغة التى ينقلون إليها وكان أغلبهم يلتزمون الدقة ويتوخون الأمانة فيما ينقلون ومن أبرز المترجمين فى ذلك العهد بل أبرزهم جميعا حنين بن إسحاق الذى كان يجيد ثلاث لغات غير العربية هى الفارسية واليونانية والسريانية - وكان بشهادة المؤرخين جيد الأسلوب واضح المعنى وكان يستعمل المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية أى بتعريبها مع شرح لمعناها - وكثيرا ما نهض حنين بإصلاح أو إعادة ترجمات ابن البطريق عن اليونانية وكان لا يجيدها برغم تمكنه من اللاتينية وقام بالعمل نفسه مع ترجمات اصطفان بن باسيل .

ومما يؤثر عن حنين أيضا - كما يقول أستاذنا الكبير الدكتور إبراهيم مدكور - أنه انطلق بأمر الخليفة المأمون إلى القسطنطينية باحثا عن الكتب والمراجع وبوجه خاص عن مؤلفات جالينوس ولا أظن أن جالينوس أحيى الا على يديه وعلى أيدى من عاونوه من مترجمين وتلاميذ - وإذا كانت القرون الوسطى المسيحية قد عرفت شيئا فى القرن الثالث عشر للميلاد عن الطب اليونانى إنما عرفته عن طريق الطب العربى - وإذا رجعنا إلى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا طائفة قيمة من تلك الترجمات التى كانت دعامة الحركة الفكرية والعلمية فى القرن الثالث الهجرى أو العاشر الميلادى - وفى جو هذه الترجمة تخرج أكبر طبيب عربى هو أبو بكر الرازى - وجملة القول كان حنين بن إسحاق ومدرسته خير من يمثل الثقافة اليونانية ومن قدمها إلى قراء العربية .

وجدير بالذكر أن سخاء الخلفاء والموسرين من محبى العلم فى معاملة هؤلاء المترجمين بلغ

درجة عالية إلى حد أن حنين كان يتقاضى وزن ترجماته ذهبا - كان ذلك من منطلق تقدير عميق للترجمة ونقل تراث الأمم ذات الحضارات القديمة بعلومها ومعارفها إلى لغة العرب - وبالإضافة إلى حنين شيخ المترجمين فى عصره كان هناك مترجمون آخرون أمثال يوحنا بن البطريق وثابت بن قره وقسطا بن لوقا البعلبكى وجورجيس بن جبريل ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم .

ومن بين ما نقل من علوم الفرس الفلك والطب والهندسة والجغرافيا وعن علوم الهند الرياضيات والفلك والطب وحساب المثلثات وعلم النجوم والخرائط ..وعن علوم اليونان الطب والفلك والرياضيات وعلوم الفيزياء وعلوم الحياة - وقد تفاعلت كل هذه العلوم مع التراث العربى فكان نتاجا اتسم بالأصالة والابتكار والعمق والشمول وحمل لواءه علماء أعلام أمثال الرازى (٨٦٥ - ٩٢٥ م) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) ولهما صورتان تزدان بهما القاعة الكبرى لمدرسة الطب بباريس والبيرونى (٩٧٣ - ١٠٤٣ م) وابن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٨ م) الذى سبق فرانسيس باكون بقرون فى وضع المنهج العلمى للبحث وغيرهم - بذلك كان هذا العصر عصر الإسلام الذهبى الذى ازدهرت فيه العلوم والمعارف وتألقت فيه نهضة فكرية امتدت خمسة قرون من الزمان من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر الميلادى .

ومما يدعو إلى الأسى أن هذا العصر الذهبى من عصور الإسلام أعقبه تراجع حضارى بتأثير الغزوات والغارات الأجنبية على العالم العربى مما هيأ للاستعمار بعد ذلك أن يفرض سلطانه عليه سنين طويلة وبذلك تقلص دور العالم العربى فى ريادته العلمية العالمية وفى أعماله الخالدة فى مجال الترجمة إلى العربية .

قضية الترجمة فى مصر :

وبالمثل شهدت مصر تراجعا حضاريا امتد لبضعة قرون إلى مطالع القرن التاسع عشر فى عصر محمد على حين بدأت حركة للترجمة لم تلبث حتى اتسع نطاقها وازدهرت وحمل لواءها رفاعة رافع الطهطاوى وهو الشيخ الأزهرى الذى أُوفد إلى فرنسا عام ١٨٢٦ م -١٢٤١ هـ

على رأس ثلاثة من الأئمة الوعاظ ليصحبوا البعثة التى أوفدها محمد على ليتعلم طلابها علوم الغرب رغبة منه فى النهوض بمصر ولكن طموح الشيخ يأبى إلا أن يُقبل فى شغف ملحوظ على تعلم اللغة الفرنسية وأن يتتلمذ على بعض أساتذة باريس مثل شفاليه وأن يجول بين علوم الغرب بقدر ما جال بين علوم العربية وأن يجمع بين ثقافتين عريقتين كان للجمع بينهما فى فكره وعقله آثار بعيدة بعد عودته إلى مصر . وفى أثناء إقامته فى باريس ترجم رفاعه اثنى عشر كتابا ورسالة في أصول المعارف ومقدمة جغرافية طبيعية وعلم سياسة الصحة وفي علم الهندسة وغيرها وكان يلتقى بعدد من المستشرقين أبرزهم سلفستر دي ساسى ، كوسان دى برسفال ورينو وغيرهم وليعرض عليهم نشاطه وترجماته .

وعاد الطهطاوى إلى مصر عام ١٨٣١م وهو يموج بآمال عريضة نحو آفاق رحبة من التقدم لمصر مثل الذى شهده واستوعبه فى الغرب ورأى أن السبيل للاستفادة من علوم الغرب ومعارفه هو الترجمة ومضى يعمل على إنشاء مدرسة الألسن عام ١٨٣٥م لإعداد طبقة من المترجمين الذين يتقنون اللغتين العربية واللغات الأوربية وبعد أن تحقق أمله أخذ رفاعة مع تلاميذه يترجمون الكتب فى مختلف فروع العلم والمعرفة حتى بلغ عدد ما ترجموه نحو ألفين من الكتب والرسائل فى الجغرافيا والفلك والتاريخ والأدب والاجتماع والصحة والهندسة والمعادن وفنون الحرب والصناعة وغيرها - وفى عام ١٨٤١م تمت الاستعانة بخريجى مدرسة الألسن فى إنشاء قلم للترجمة وضم أربعة أقسام الأول لترجمة الرياضيات والثانى للعلوم الطبية والطبيعية والثالث للعلوم الاجتماعية والرابع للترجمة التركية .

وكان منهج الطهطاوى فى ترجمة المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يحدد في ذهنه معانى هذه المفردات ثم ينقب عن ما يتلاءم معها من المفردات العربية وكان فى جهوده هذه يلجأ إلى المعجم العربى فيأخذ منه مايصح معناه ليكون ترجمة للمعنى الأجنبى

وفى بعض الأحيان يلجأ إلى اللغة الدارجة فى مصر فيستخدمها وفى أحيان أخرى يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبى فيضعه بنصه مع بعض تعديل يتلاءم مع النطق العربي وكان من رأيه أن هذه المصطلحات المعربة يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرهما .

ومسايرة لحركة الترجمة التى بدأت فى ذلك العصر قامت كلية الطب والصيدلة فى عهد رئيسها كلوت بك عام ١٨٣٣ بترجمة ٨٦ (ستة وثمانين) كتابا أجنبيا فى عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة باللغة العربية وبعد نجاح هذه الكتب فى مصر نجاحا يناسب عصرها وجدت طريقها كذلك إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش - كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم بالخارج من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا باللغة العربية وقدموا مع غيرهم ممن عاصروا مدرسة الطهطاوى رصيدا كبيرا من ترجماتهم ومؤلفاتهم بالعربية منهم على سبيل المثال محمد على البقلى الذى ألف وترجم فى الجراحة ومحمد الشافعى فى الأمراض الباطنة ومحمد ندى فى الحيوان والنبات والفيزياء والجيولوجيا وعلى رياض فى الصيدلة والسموم ومحمد الدرى فى الأمراض الوبائية ومحمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية ومحمود الفلكى الذى عاد من بعثته من فرنسا عام ١٨٥٩ وترجم وألف فى الفلك والرياضيات .

وفى عام ١٨٧٣ مضى الطهطاوى شيخ المترجمين فى عصره إلى جوار ربه بعد أن نبه الأذهان فى مصر إلى الترجمة وعظم شأنها فى الارتقاء بالأمة وفتح النوافذ على الثقافة والمعارف الأوربية وعلوم من سبقونا فى مضمار الحضارة الحديثة وبعد أن خلف الكثيرين من تلاميذه وحوارييه ليواصلوا الرسالة ولتستمر الترجمة رافدا للثقافة المصرية مواكبا لليقظة الفكرية والاجتماعية فظهرت فى ذلك الوقت مجلة المقتطف عام ١٨٨٥ وكانت قد أنشئت فى بيروت عام ١٨٧٦ قبل انتقالها إلى القاهرة ولم يكن تحريرها قائما فى أكثره إلا على الترجمة لاهتمامها بنقل علوم الغربيين

وصناعاتهم ووسائل تقدمهم العلمى إلى الوطن العربى وقد استمر المقتطف فى نشاطه هذا قرابة خمسين عاماً .

وفى عام ١٩١٤ أنشئت لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر والتى كانت تضم نخبة من أساطين العلم والفكر والثقافة وقد زودت هذه اللجنة على مدى ثلاثين عاما ونيف المكتبة العربية بطائفة كبيرة من التراجم والمؤلفات . كذلك قامت الإدارات الثقافية بوزارة التربية والتعليم والتى توالى على رئاستها والإشراف عليها عدد من أقطاب الحركة الفكرية والثقافية أمثال الدكتور طه حسين والدكتور سليمان حزين والدكتور حسين مؤنس وغيرهم - قامت هذه الإدارات الثقافية بجهود فائقة فى ميدان الترجمة التى خصصت لها إدارة أصدرت عدة مئات من الكتب معظمها فى الأدب والفن وأقلها فى مجال العلوم ، ويتعاون مع الإدارة الثقافية بالجامعة العربية وبدءا من عام ١٩٥٥ صدرت ترجمات عربية أذكر منها من الكتب العلمية كتاب تطور الزراعة فى الشرق الأوسط ترجمة الأستاذ مصطفى نظيف وراجعه الأمير مصطفى الشهابى عدا قصة الحضارة تأليف ول ديورانت والتى ترجمت وصدر منها ٢٢ اثنان وعشرون جزءا .

وقد توجت الإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم جهودها بإنشاء مشروع الألف كتاب بإشراف الدكتور حسين مؤنس فى ١٦ أغسطس من عام ١٩٥٥ لتشجيع الترجمة وإصدار كتب مبسطة مترجمة على غرار ما يصدر فى السلاسل الأوروبية الشهيرة (مثل سلسلة بنجوين وغيرها) وقد نجح المشروع نجاحا كبيرا وأوشك عدد الكتب التى صدرت عنه على الألف كتاب ومن الأسف الشديد أن توقف هذا المشروع بعد الستينات مثل غيره من الجهود التى سبقته ولو أنه يبدو أن هيئة الكتاب قد بدأت حديثا مجموعة الألف كتاب الثانية .

مما تجدر الإشارة إليه أن واكبت هذه الجهود إن لم تكن سبقتها جهود أخرى لتشجيع ترجمة الكتب العلمية بالذات ورحم الله أستاذنا المجمعى الدكتور أحمد زكى عالم الكيمياء واللغوى الأديب حين بدأ دعوته فى الثلاثينيات

بضرورة البدء فى ترجمة أمهات الكتب العلمية إلى اللغة العربية كخطوة نحو تعريب التعليم الجامعى - ومن تابع كتاباته فى مجلة العربى لرأى كيف كانت اللغة العربية بثرائها وعطائها طوع قلمه ويراعه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصر فى مكنة واقتدار وهكذا فعل زميله العلامة الدكتور على مشرفه منذ ولى عمادة كلية العلوم بجامعة القاهرة كان يقول إننا فى أشد الحاجة إلى استعادة عصر المأمون ومضى يختار الكتب المقررة وهى التى يقولون عنها فى الأزهر «كتب المتون» ويوزعها على أساتذة الكلية ويواصل هو بجهد فائق مراجعة ما يترجمون فى الفيزيقاء والفلك والرياضيات وقد صدرت هذه الكتب وأخذت طريقها فى حينها إلى المكتبة العلمية العربية - وقد هبط الحماس لهذه الحركة بعد وفاته فى مطلع الخمسينات .

وهناك جهد مماثل قام به المجلس الأعلى للعلوم عند إنشائه عام ١٩٥٦ حين وضع برنامجا لترجمة أهم الكتب المرجعية فى العلوم الأساسية كإسهام فى تعريب التعليم الجامعى وقدم بالفعل أكثر من ثلاثين كتابا تعد من المراجع العلمية الرئيسية فى علوم الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والحشرات والرياضيات وغيرها وزود الكثير منها بكشافات تضم المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتها باللغة العربية . ومن المحزن حقا أنه لم يمض على هذا العمل والإنجاز بضع سنوات حين ألغى المجلس الأعلى للعلوم عام ١٩٦١ حتى أهملت هذه الكتب وطواها النسيان إذ أن عدم التدريس بالعربية قد وأد الكثير منها وأجهض الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل إنجازها .

وتجربة أخرى شبيهة قامت بها مؤسسة فرانكلين فى مصر بدأتها فى الستينات حين أخرجت إلى المكتبة العلمية العربية عدة مئات من الكتب المترجمة وبالمثل طواها النسيان بعد أن توقف نشاط هذه المؤسسة ورحلت عن مصر .

ومما يشيع فى النفس بعض الأمل وسط هذا الأسى على ما فات ما يقوم به مركز الأهرام للترجمة العلمية فى الوقت الحاضر ومنذ سنوات من نشاط فى هذا المجال إذ يقوم على ترجمة كتب فى الرياضيات والكيمياء

والتكنولوجيا والطب وعلوم الأحياء والحاسب الآلى وغيرها وقد أنجز منها أعدادا كبيرة .

كما تجدر الإشارة إلى الجهود التى تقوم بها كلية الألسن وغيرها من المعاهد التى تدرس مادة الترجمة بأقسامها ولكن نريدها قادرة تماما على تدريب وتخريج المترجم الكفء الذى أعد إعداداً كافيا للاضطلاع بمهمة الترجمة على أعلى مستوى وبخاصة الترجمة العلمية التى نحن فى أشد الحاجة إليها فى هذا العصر عصر العلم - ولكنه مما يثلج الصدر الدعوة التى يتبناها المجلس القومى للثقافة والإعلام بشأن ضرورة إنشاء معهد لتخريج المترجمين وإحياء دور الحكمة لترجمة الثقافات العالمية - وكذلك توصية مجمع اللغة العربية فى مؤتمره الماضى (١٩٩٣) فى دورته التاسعة والخمسين بضرورة إنشاء هيئة علمية لتعريب العلوم وإصدار معاجم جديدة فى فروع العلم الحديثة والمستحدثة .

وفى مجال ترجمة المصطلحات ونقلها إلى اللغة العربية لست فى حاجة إلى تأكيد الدور الرائد الذى يقوم به مجمعنا فى هذا المجال شأنه فى ذلك شأن أشقائه فى الوطن العربى وقد أنجز مجمعنا حتى الآن ما يربو على مائة ألف مصطلح غالبيتها العظمى مصطلحات مترجمة وأقل القليل معرب وأكثر من نصفها أى ٥٥ ألف مصطلح من المصطلحات العلمية تضمنتها عشرة معاجم علمية متخصصة وهناك غيرها تحت الإعداد - وغنى عن البيان أن هذه الثروة من المصطلحات العلمية مع غيرها من مصطلحات تزخر بها معاجم أخرى كمعاجم شرف والمعلوف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابى والمورد للبعلبكى وغيرها ستبقى جميعا معينا زاخرا يغذى حركة تعريب العلم والتعليم التى يتصدى لها مؤتمر المجمع فى هذه الدورة المباركة .

سادتى العلماء الأجلاء

على الرغم من بارقات الأمل التى أشرت إليها فإن الراصدين لحركة الترجمة بمعناها الواسع يرون تراجعا ملحوظا فى تيارها ونشاطها منذ الستينات من هذا القرن لا فى مصر وحدها بل لا أجاوز الحقيقة إذا قلت إنه كذلك فى الوطن العربى .

وقد حفلت الصحف فى السنوات الأخيرة بالدعوة إلى الاهتمام بقضية الترجمة وإحياء

حركتها وقد تصدت لها أقلام عدد من الكتاب وكتبوا مقالات عدة حولها باعتبارها إحدى الدعامات لنهضة علمية شاملة فى عالم يتقدم بخطى سريعة فى مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية ونريد اللحاق به . ولأهمية الترجمة يحُتفل بيوم المترجم فى الثلاثين من سبتمبر كل عام كما أنشئ اتحاد دولى للمترجمين بدأ أعماله عام ١٩٥٣ ويعقد مؤتمرا كل ثلاث سنوات ليناقش دراسات وبحوثا تتناول موضوع الترجمة والمترجمين وقد عقد هذا الاتحاد مؤتمره الأخير (الثالث عشر) فى مدينة برايتون بانجلترا فى المدة من ٦ إلى ١٣ أغسطس ١٩٩٣ وشارك فى أعماله مترجمون من مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين وليبيا والجزائر وتونس والمغرب بالإضافة إلى مترجمين عرب مقيمين فى النمسا وهولندا وانجلترا واستراليا .

ومن منطلق اهتمام كثير من الدول بموضوع الترجمة أقامت اليابان جهازا ضخما للترجمة من شتى اللغات الحية لمسايرة التيارات الفكرية العالمية وبهذا هيأت لأهلها روافد خصبة من المعرفة الإنسانية وأحرزت تقدما أذهل العالم فى مختلف المجالات - كما أن دولة صغيره مثل المجر (١٠ مليون نسمة) أنشأت هيئة قومية عليا للترجمة منذ ١٩٤٦ ودارا خاصة للنشر تعنى بترجمة ونشر عيون التراث الإنسانى الفكرى والأدبى والعلمى .

وفى إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة فى الوطن العربى ذُكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة فى عام ١٩٧٠ كان ١١ فى الألف بالنسبة لما أنتج فى سائر أنحاء العالم وكان نصيب الدول الأفريقية ٧ فى الألف ودول نامية أخرى ٦ فى الألف أما فى عام ١٩٨٦ أى بعد ستة عشر عاما تراجع ما ترجم في الوطن العربى إلى ٦ فى الألف لتحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الأفريقية إلى ١٢ فى الألف والدول النامية الأخرى إلى ١٣ فى الألف وليس التراجع فى الكم فقط بل فى الكيف أيضا وقد تقلص الإنتاج المترجم فى مجال العلوم الأساسية إلى درجة لافتة للأنظار .

وفى دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدره بعض الدول من كتب مترجمة ومؤلفة كل عام ذكر أن

اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول فى العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالى بإصدارها نحو ٣٢ ألف كتاب أو عنوان جديد سنويا وتحتل روسيا (١٢٠ مليون نسمة) المرتبة الثانية بإصدار ٢٨ ألف كتاب في العام تليها الصين (١,٢ مليار نسمة) ٢٧ ألف كتاب ثم ألمانيا ثم الولايات المتحدة وتصدر تايوان ١٤ ألف كتاب سنويا منها ١١ ألف عنوان مترجم وتصدر هولندا ستة آلاف عنوان منها أربعة آلاف عنوان مترجم .

أما الدول العربية (٢٢ دولة - ١٥٠-١٧٠ مليون نسمة) فيصل مجموع ما تصدره تسعة آلاف كتاب جديد سنويا فى الوقت الذى يبلغ ما تصدره إسرائيل (٣,٥ مليون نسمة) عشرة آلاف كتاب بالعبرية سنويا معظمها مترجم عن لغات أخرى .

ومع ذلك فليس ببعيد أن يدور الزمن دورته وتعود للعالم العربى القيادة والريادة الفكرية كما كان وأن يحتل المكان اللائق به تحت الشمس .

مقترحات وتوصيات :

مستعينا بما صدر عن المجالس القومية المتخصصة من توجيهات وتوصيات فى موضوع الترجمة ومستعينا بما قرأت فى مختلف المصادر وبما تأملت واستوعبت أقول :

أولا- إن موقع مصر الجغرافى والحضارى بين قارات ثلاث وبحرين عظيمين يجعل اتصالها بالعالم الخارجى أمراً طبيعيا يؤكد ذاتيتها الثقافية من جهة ويحقق طموحها لمواكبة الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى حركة العلم والبحث العلمى وملاحقة التطورات الحديثة فى مجال العلم والتكنولوجيا - ومن هنا يصبح للترجمة أهمية خاصة تقتضى التفكير فى وضع سياسة عامة تتجاوز الجهود الفردية إلى تنظيم جماعى يخلق تيارا مستمراً للترجمة ونقل مختلف العلوم والمعارف إلى اللغة العربية ولتحقيق ذلك يمكن التوصية بما يلى :

أولا - أن توجه الدولة عناية خاصة لإنشاء مجلس أو هيئة عامة للترجمة فى مصر تضم صفوة من العلماء والمفكرين تقوم بوضع خطة قومية للترجمة تستهدف :

١ - حصر ما ترجم إلى اللغة العربية من مختلف العلوم وتصنيفه وتقويمه ويمكن

الاستعانة فى ذلك بالوسائل الألكترونية الحديثة (الحاسب الآلى أو الحاسوب) تمهيدا لإنشاء بنك للمعلومات الخاصة بالترجمة من حيث تخزينها والتعامل معها واسترجاعها .

٢ - تحديد المجالات والأولويات لما يمكن ترجمته من الإنتاج العلمى والفكرى إلى العربية .

٣ - توفير الأدوات الأساسية للترجمة من معاجم ومصطلحات وبما قامت به المجامع اللغوية فى هذا المجال .

٤ - العمل على الاعتراف بمهنة الترجمة بين المهن العلمية المتخصصة التى يؤهل أصحابها تأهيلا علميا يضمن إيجاد حركة موسعة وتياراً مستمراً لها كما يعمل المترجمون على تكوين اتحاد لهم يرتبط بالاتحاد الدولى للمترجمين وكذلك العمل على الحصول على حق الترجمة وفقاً للاتفاقية الدولية لليونسكو لحقوق التأليف .

ثانياً - العمل على تنسيق جهود الترجمة مع البلاد العربية والدعوة إلى إنشاء مركز عربى لنقل علوم وثقافات العالم إلى اللغة العربية .

ثالثا - العمل على إنشاء معهد قومى لتدريب وتخريج المترجمين الأكفاء القادرين على الاضطلاع بمهمة الترجمة على أعلى مستوى وبخاصة فى الترجمة العلمية مع دعم أقسام الترجمة فى الكليات والمعاهد الخاصة بذلك .

سيدى الرئيس - سادتى العلماء :

هذه لمحة سريعة أو عرض متواضع لقضية الترجمة فى ماضيها وحاضرها وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية فى مصر مع رؤية مستقبلية لما يمكن أن نفعله للنهوض بها ولتعود إلى سابق مجدها وعظمتها أيام المأمون يوم تسنمنا القمة وعلمنا الآخرين ،

والله ولى التوفيق

محمود حافظ

عضو المجمع

المراجـع

١ - المجامع العربية والمصطلح العلمي — للدكتور إبراهيم بيومى مدكور
مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالى
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة ١٩٨٠

٢ - الترجمة والنقل إلى العربية — للدكتور منصور فهمى
مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ١٢ ص ٣ (١٩٥٥ تاريخ إلقاء البحث)

٣ - الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠ - ١٨٧٣)
كتاب عن ندوة نظمتها كلية الألسن جامعة عين شمس ١٩٧٦ به ١٨ موضوعا منها : رفاعة والألسن — (١ - ٤٥٦) للدكتورعبد السميع محمد أحمد
رفاعة والترجمة — للأستاذ أحمد خاكى

٤ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه — للدكتور عبد الحليم منتصر
دار المعارف ١٩٦٧

٥ - قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٥٦ ص ١٦١ ١٩٨٥ — للدكتور محمود حافظ

٦ - نقل العلوم إلى العربية — للأستاذ مصطفى نظيف
مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٧ ص ٢٤٢ (ألقى البحث فى ١٦/٤/١٩٤٨)

٧ - نشر الكتب العلمية باللغة العربية — للدكتور كامل منصور
كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية العدد ٣١ لسنة ١٩٦١

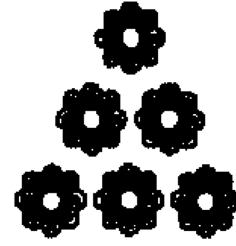
٨ - معاجمنا العلمية المتخصصة — للدكتور محمود حافظ

مجلة مجمع اللغة العربية تحت الطبع (ألقى البحث في ١٢/٤/١٩٩٣)

٩ - نحو خطة مستقبلية للترجمة في مصر وموضوعات أخرى عن الترجمة مطبوعات المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة ١٩٨٤) . — للدكتور توفيق الطويل ، والدكتور إبراهيم زكى خورشيد وآخرين

١٠ - مقالات عن قضيه الترجمة فى مصر — للأستاذ سامى خشبة وأساتذة آخرين

صحيفة الأهرام مارس ١٩٩٠ ، أكتوبر ١٩٩٣ يناير ١٩٩٤



الجملة فى كتاب سيبويه *

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

إن كتاب سيبويه هو ، كما هو معروف ، أقدم كتاب فى النحو وصل إلينا ، من حسن الحظ . والغريب أو ما يبدو أنه غريب أن هذا الكتاب على الرغم من قدمه فإنه يحتوى على جميع ما عرف بعد سيبويه من أبواب النحو والصرف وجميع ما اشتهر بعده من مسائله فهو عمل ناضج تمام النضج وبما أنه لم يسبقه – على أصح الأقوال – أى كتاب يماثله فى غزارة المادة والدقة العلمية المتناهية فكأنه خرج من العدم في ظاهر أمره وليس الأمر كذلك[1]. إلا أن هذا لايعنى أن النظرية العلمية للغة التى يعتمد عليها هى التى نعرفها اليوم من خلال ما قاله المتأخرون من النحاة مثل ابن مالك فى ألفيته وكتابه التسهيل وشراح هذين العملين أو مثل أبى البركات بن الأنبارى قبله أو ابن هشام صاحب أوضح المسالك وغيرهم . فقد مضت أكثر من ٤٠ سنة على جهود بذلناها لمعرفة هذه النظرية القديمة فاتضح لنا الفرق الكبير الذى يميز المنظور العلمى الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليمية للنحو التى استولت على كل الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس ، ولهذا السبب فإننا سنحاول أن نشرح للقارئ الكريم جانبا واحدا من هذه النظرية العلمية الدقيقة مقتصرين فى ذلك على مفهوم الجملة وما

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

(١) فقد ذكر سيبويه نفسه أقوال وأفكار عدد كبير ممن سبقه من النحاة وخاصة الخليل بن أحمد (ذكره أكثر من ٦٠٠ مرة) . وقد أدى هذا النضج الغريب إلى افتراض من لاينوى الخير للثقافة العربية من المستشرقين اقتباس النحاة العرب الأولين لأهم مفاهيمهم من المنطق اليوناني وقد رددنا على ذلك في ١٩٦٤ بمقالة عنوانها : النحو العربى ومنطق أرسطو (انظر المراجع) .

يقتضيه التصوّر العربى الأصيل للجملة من المفاهيم العلمية الأساسية من حيث منهج التحليل اللغوى ونظرية المعرفة العلمية عامة .

١ - عدم وجود مصطلح جملة فى الكتاب:

فهذا أمر غريب آخر ألا يوجد أى أثر لكلمة " جملة " فى كتاب سيبويه وكذلك العبارة : " جملة مفيدة " لا أثر لها فى هذا الكتاب . ولا نعثر على كلمة " جملة " بعد سيبويه إلا فى كتاب المقتضب للمبرد[١] ونرجح أن شيخه المازنى استعملها هو أيضا وقد يكون الأخفش (سعيد بن مسعدة) تلميذ سيبويه وأستاذ المازنى هو الذى وضع المصطلح فإنه هو أول نحوى يستعمل كلمة " فائدة" بمعنى العلم المستفاد من الكلام وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة " علم " فقط وما يشتق منها[٢] .

إلا أن هذا لايعنى طبعا أن مفهوم الجملة لا يوجد عند سيبويه فهو يسميها عادة " كلاما " وإذا دقق قال : " الكلام المستغنى "[٣] وهو يحدد هذا الكلام المستغنى هكذا " ما يستغنى عنه السكوت " يقول : " ما يستغنى عنه السكوت وما لايستغنى ألا ترى أن " كان " تعمل عمل " ضرب " ولو قلت " كان عبد الله " لم يكن كلاما ولو قلت : " ضرب عبد الله " كان كلاما (١/٢٦٢) . ويقول فى موضع آخر: ألا ترى أنه لم تنفذ الفعل فى "كنت " إلى المفعول الذى به يستغنى الكلام ... فإنما هذا فى موضع إخبار وبها يستغنى الكلام (١/٧٤) . ويقول : يقبح أن تقول " أشك منطلق بلغنى أو عرفت " لأن الكلام بعد أن وإنّ غير مستغن كما أن المبتدأ غير مستغن (١/٤٦٣) .

ويقول أيضا : " ألا ترى لوقلت : " فيها عبد الله " حسن السكوت وكان كلاما مستقيما كما حسن واستغنى فى قولك :" هذا عبد الله " (١/٢٦١) . يريد سيبويه من " الكلام المستغنى " الذى يحسن أن يسكت

---

(١) المقتضب ، ٣/٨٩

(٢) انظر كتاب القوافى (ص٦٦) للأخفش والكتاب ١/٢٢ و ٢٦ - ٢٧

(٣) الكتاب ، ١ / ٤٦٣ ، أنظر أيضا فيما يلى .

المتكلم عند انتهائه لأنه قد استقلّ لفظا ومعنى وبذلك يشكل وحدة تبليغية تتم بها الفائدة للمخاطب أي يستفيد بها علما معينا . والسكوت هنا أو حسنه هو المقياس الذى تعرف به الجملة المفيدة . هذا وقد لا حظنا أن لفظة " الكلام " كافية للدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند سيبويه وستبقى هذه اللفظة دالة على هذا المعنى حتى عند بعض المتأخرين . وذلك مثل ما ابتدأ به ابن أجروم مقدمته : " الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع " . وقال ابن جنى قبله بقرون « الكلام » كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه : نحو زيد أخوك وقام محمد ... وصَهْ ومَهْ ... وأفٍ " (الخصائص ١/١٧)[1] .

ونلاحظ أيضا أنّ وظيفة الوحدة هى إعلام المخاطب بشئ يكون - بحسب ظن المتكلم - قد جهله . وسيبويه يلح على ذلك خلافا لكل من جاء بعده حيث خلطوا بين هذه الوظيفة الإعلامية وبين الدلالة على معنى وهو شئ آخر غير الإفادة (وابن جنى نفسه يقول :" مفيد لمعناه " على ما اشتهر فى زمانه) .

وعلى هذا الأساس فأقل ما ينحّل إليه الخطاب من الوحدات ذوات معنى وفائدة معا هى هذا الكلام المستغنى وعلامته صحة أو حسن الوقف عليه من قبل المتكلم وهذا ما لاسبيل إلى تحقيقه فى الوحدات التى هى دون الجملة مثل " كان عبد الله " وسنرى أن هذا يقال فقط بالنسبة إلى الكلام التام غير المحذوف منه .

٢ - التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية :

إن سيبويه والخليل بن أحمد قد انفردا مع أكثر النحويين الأقدمين بنظرية اندثرت بعدهم وصارت بعد غزو المنطق اليونانى خاصة ، لايتفطن إليها إلا الأفذاذ من النحاة مثل السهيلى والرضى الاسترابادى . ومن أهم

(١) لاشك أن الذين وضعوا المصطلح " جملة مفيدة " أرادوا أن يخصصوا هذا المفهوم بلفظ لايدل على شئ آخر غيره إذ لفظة " كلام " قد تدل علي استعمال الأفراد للغة معينة ويقابله بالفرنسية Parole و Langage

المبادئ التي بنيت عليها هذه النظرية نذكر تمييزهم الصارم في تحليلهم للغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو الإعلام والمخاطبة أي تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسامع وبين الجانب اللفظي الصوري أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية من جهة أخرى (إذ هناك دلالة اللفظ ودلالة المعنى . (أنظر في ذلك الخصائص ودلائل الإعجاز) وقلّ من انتبه بعد ابن جني إلى الضرر العظيم الذي يسببه التخليط بين هذين الجانبين من التحليل . فكل جانب منهما يمتاز عن الآخر بمنهجية خاصة به ومبادئ وقوانين لا تمت بسبب إلى الجانب الآخر .

فأكبر دليل على سلامة هذا التصوّر وفساد التخليط بين الجانبين هو عجز النحويين المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم في مقابل الفعل والحرف . فهناك أكثر من ١٠ تحديدات للاسم قال عنها ابن فارس : هذه مقالات القوم في حدّ الاسم يعارضها ما قد ذكرته وما أعلم شيئا مما ذكرته سلم من معارضة (الصاحبي ، ٥١) . والسبب في ذلك هو هذا الخلط الذي ذكرناه . فالاسم – وكذلك الفعل – يمكن أن يسلم تحديده من المعارضة إذا عيّن المحدد الجانب الذي يتم فيه تحديده ثم عّين بعد ذلك النوع من الأسماء : فالاسم من حيث معناه أي من حيث دلالته على معنى هو لفظ يدل على شئ لا يكون حدثا مع زمان في مقابل الفعل الذي يدل عليه ثم هناك الاسم المطلق والاسم المضارع للحرف والفعل ، فالاسم المطلق يدل على ذات أي على كل شئ يصحّ الإخبارعنه . أما الاسم الشبيه بالحرف أو الفعل فهو يدل على معنى من معاني النحو كالظرفية وذلك مثل " إذا " و " حيث " أو الاستفهام مثل : "مَنْ" و"أيّ" أو كلاهما مثل "أين" و"متى" إلخ فهذه أسماء لأنها لاتدل على حدث إلا أنها بمنزلة حروف المعاني من حيث الوظيفة الدلالية والإفادية . أما من الجانب اللفظي الصوري فالاسم كلمة (أي عنصر) يصلح أن تدخل عليها حروف الجرّ والتنوين والإعراب ويمكن أن تضاف وأن توصف وفي ذلك درجات يعتمد فيها على تمكّن الاسم وعدم تمكنه (من احتماله

يمينا وشمالا ، لهذه الزوائد) . هذا فى مستوى الإفراد أما فى مستوى التركيب فالاسم هو ما يعمل فيه العوامل ويكون مبتدأ ومبنيا عليه أو فاعلا أى يكون فى موضع لا يدخله الفعل ولا الحرف . ومن هذا الاعتبار يختلف الاسم الشبيه بالحرف عن الحرف لأنه لايأتى أبدا فى موضعه فمن حيث اللفظ وصورته " إذا " و " من " و " أى " ليست حروفا أبدا و إن كانت فى الجانب الوظيفى الدلالى أشباه الحروف (وسنرى فيما يلى ما يترتب من ضرر على هذا التخليط فى مستوى التراكيب) .

٣ - الكلام كخطاب أى كحدث إعلامى (يحصل فى وقت معين ومكان معين) :

إن الكلام المستغنى أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف . ويمكن أن يحلّل كما فعله سيبويه إلى مكونات قريبة على حدّ تعبير علماء اللسانيات تكون خطابية لا لفظية صورية أى عناصر لكل واحد منها وظيفة دلالية وإفادية . وهذه العناصر هى فى الحقيقة عنصران : المسند والمسند إليه : "قال سيبويه ؛ هما من لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا" (١/٦) . ويقول السيرافى فى شرحه : " فيه أربعة أوجه أجودها وأرضاها أن يكون المسند معناه : الحديث والخبر والمسند إليه : المحدَّث عنه وذلك على وجهين : فعل وفاعل كقولك : قام زيد وينطلق عمرو واسم وخبر كقولك : زيد قائم وإن عمرا منطلق فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم والمسند هو الفعل وخبر الاسم والمسند إليه هو الفاعل والاسم المخبر عنه (شرح الكتاب ١/٧٤ ظهر)[١] .

وعلى هذا الأساس فإن المسند إليه (المسند عند سيبويه) بما أنه المُحدَّث عنه لا يكون إلا اسما من الناحية الخطابية أوما فى حكمه (مثل " أن تصوموا " = صيامكم) . ويمكن أن يكون المسند (المسند إليه عند سيبويه) اسما أو

---

(١) هذا صحيح على استعمال النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه ولكن سيبويه يستعمل لفظة المسند بمعنى المسند إليه والعكس .

فعلاً أو ما فى حكمهما (الظروف والجار والمجرور وغير ذلك) وليس فى دنيا كلام فى أى لغة إلا وفيه محدث عنه ومحدث به فى أى شكل كان .

وهذا كله يخص الجانب الخطابى أى التبليغى الدلالى وهذا لايمنع من أن يكون التحليل قابلا للصياغة فإن الصياغة شئ والفرق بين اللفظ والمعنى شئ آخر إذ كلاهما قابلان للصياغة ومثال ذلك صياغة الجملة المفيدة كخطاب إلى مكونات قريبة هى المسند والمسند إليه .

إن سيبويه لايكتفى بتعريف هذه الأشياء إذ سيعتمد عليها لتفسير الكثير من الظواهر اللغوية وخاصة الظواهر المتعلقة بالتبليغ فإن لها قوانين خاصة يعتمد فى تفسيرها على هذا التحليل للخطاب كخطاب .

يقول سيبويه : إذا قلت : " كان زيد " فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر فإذا قلت : " حليما " فقد أعلمته مثل ما علمت فإذا قلت : " كان حليما " فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة .. وإذا قلت : " كان حليم " أو رجل فقد بدأت بنكرة ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور" (٢٢/١) ويقول : "وذلك قولك : ما كان أحد مثلك .. وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت ان تنفى أن يكون فى مثل حاله شئ أو فوقه ، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا . وإذا قلت :" كان رجل ذاهبا" فليس فى هذا شئ تعلمه كان جهله ولو قلت :" كان رجل من آل فلان فارسا "حسن لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك فى آل فلان وقد يجهله ولو قلت :" كان رجل فى قوم عاقلا " لم يحسن لأنه لا يستنكر أن يكون فى الدنيا عاقل وأن يكون من قوم .."(٢٦/١-٢٧) .

فمثل هذه الملاحظات كثيرة جدا فى الكتاب وهى تخص أحوال الخطاب مقترنا بأحوال المخاطب : علم المخاطب وجهله واستحالة الإخبار عن منكور اللهم إلا إذا احتاج المخاطب إلى تحديد هذا المنكور بأن يعينّ حلية خاصة به تميزه عن غيره . ويمكن بالدراسة المتعمقة لهذه الملاحظات أن تستخرج قوانين التخاطب الحقيقية وهذا قد فعله العلماء الأولون[1] هذا

(١) مثل الرمانى فى شرحه الكتاب .

ولابد أن ننبه القارئ الكريم أن مثل هذا الكلام عن " علم المخاطب " وسائر أحواله لايمكن أن نعثر عليه فى كتب المتأخرين . فالقواعد الجامدة - الخاطئة أحيانا - قد حلت محل الملاحظات العلمية (تكلموا مثلا عن شروط الابتداء بالنكرة فقط وبدون أن يفسروا ظواهر الخطاب بالكيفية العلمية الوصفية والتعليلية معا) .

٤ - الكلام كلفظ دال له بنيــة (اللفظ الدال فى حد ذاته) :

إن الكلام المستغنى له عند سيبويه والنحاة الأولين صيغة لفظية خاصة وليست هى الصيغة الخطابية المتكونة من مسند ومسند إليه وإلا فلم احتاج أولئك العلماء إلى تسمية أخرى مثل المبتدأ والمبنى عليه ولماذا احتاجوا إلى تصوّر عنصر لفظى هام هو العامل وما يتعلق به من معمول ؟ نعم قد قال سيبويه : " المبتدأ مسند والمبنى عليه مسند إليه" (١/٢٥٦) كأن المبتدأ والمبنى عليه متطابقان وكأن التسميتين مرادفتان للمسند والمسند إليه . وليس الأمر كذلك لأنه لافائدة على هذا كما قلنا فى تسميتهما بالمبتدأ والمبنى عليه . فإن مقصود سيبويه هو أن يبين أن المبتدأ مهما كان محتواه الدلالى الخطابى فإنه لايستغنى من هذا الجانب الخطابى عن المبنى عليه وهما من حيث الخطاب بمنزلة الفعل والفاعل . يقول "فلابد للفعل من الاسم كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر فى الابتداء"(١/٦) وأيضا: "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام" (١/٢٧٨) . فهناك تطابق فى مستوى الخطاب ولهذا قسّم النحاة فيما بعد الجملة إلى اسمية وفعلية وقال المبرد بهذا الصدد :" إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو الفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب .

فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت : قام زيد فهو بمنزلة قولك : القائم زيد" (المقتضب ، ١/٨) . هذا من حيث الإفادة لا من حيث البناء لأن صيغة اللفظ الذى يحمل المعنى والفائدة لاتطابق بالضرورة صيغة الخطاب من مسند ومسند إليه كما سنراه . ويبين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمى هو ما يسمونه بحمل الشئ على الشئ أو إجرائه عليه

بغية اكتشاف الجامع الذى يجمعهما وهو ههنا البنية التى تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل . وينطلقون فى ذلك من أبسطها وهى التى تتكون من عنصرين : زيد منطلق فيحملون عليها جملا أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة إلى الجملة البسيطة بحيث تظهر بذلك كيفية تحوّل هذه النواة بالزوائد وهى فى الحقيقة مقارنة بنوية أساسها ما يسمى فى الرياضيات الحديثة[1] بالتطبيق وهو هنا تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طردا وعكسا ويمكن أن نمثل ذلك هكذا :

١	∅	زيد	منطلق
٢	إن	زيدا	منطلق
٣	كان	زيد	منطلقا

فالمكان الذى تظهر فيه الزوائد يقابله فى الجملة البسيطة مكان فارغ فهذا الفراغ يسمونه بالابتداء ويحددونه بأنه التجردّ من العوامل اللفظية وهذه العوامل هى ههنا " إن " و " كان " ويعنون بالعمل اللفظ الذى يؤثر فى غيره لفظا ومعنى ويتحكم بالتالى فيه[2] يقول سيبويه : "ضربت زيدا هو الحد لأنك تريد أن تعمله (أى الفعل) وتحمل عليه الاسم كما كان الحد : ضرب زيد عمرا حيث كان " زيد " أول ما تشغل به الفعل وإن قدمت الاسم (أى المفعول) فهو عربى وذلك قولك : زيدا ضربت"(٤١/١) .

" أول ما تشغل به الفعل " : إن هذه الملاحظة خطيرة جدا لأننا نعرف بذلك وبما يقوله فى أماكن أخرى من كتابه أن عنصرين اثنين لاتكاد تخلو منهما أبدا البنية اللفظية للجملة وهما العامل والمعمول الأول الذى أشار إليه سيبويه بأنه أول ما شغل به الفعل ثم يقول سيبويه : "عبد الله (فى : كم عبد الله ماكث) يرتفع بالابتداء كما ارتفع بالفعل حين قلت : كم رجل ضرب عبد الله" (٢٩٢/١) ويقول

(١) لاننسى أن الخليل بن أحمد كان رياضيا ممتازا .

(٢) وقد ترجم الأوربيون فى القرن الثالث عشر الميلادى مصطلح عمل العربى إلى اللاتيتينة regere بمعنى عمل فى اللفظ الإعراب . ومنها جاءت كلمة rection فى النحو الأوروبى ، ثم قل اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتي أحياه من جديد تشومسكى باسم government .

أيضا : "أما ضربت وقتلت فإن الأسماء بعدها بمنزلة المبنى على المبتـدأ" (١ / ٣٩٣) فاتضح بهذا الكلام أن الفعل كعامل يقع موقع الابتداء وأن المفعول به يقع موقع المبنى على المبتدأ أى الخبر فالتوازى (القياس) أو التناظر هو خاص ببنية اللفظ وليس له أى علاقة بصيغة الخطاب . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نوسع الجدول الحملى السابق هكذا :

	العامل	المعمول ١	المعمول ٢	
الابتداء (الخلو من العوامل اللفظية)	∅	زيد	منطلق	الأصل (أو النواة)
	إن كان حسبت أعلمت عمرا	زيدا زيد زيدا زيدا	منطلق منطلقا منطلقا منطلقا •	
عوامل لفظية	قام	زيد	–	الأصل
	ضرب ضرب	زيد ت	عمرا عمرا	

ويمكن أن نستنتج من هذا ما يلى :

١ – مفهوم المثال والحد : حملنا كل هذه الجمل بعضها على بعض كما فعل سيبويه وبذلك تظهر موازات تامة بين العناصر لأن إجراء الشئ على ما هو بمنزلته حتى ولو كان مختلفا عنه تماما يكشف لنا البنية اللفظية الجامعة أى التى تشترك فيها العدد اللانهائى من الجمل وهذا هو الذى يسميه النحاة (فى مستوى الجملة ههنا) (١) قياسا ومثالا وحدا وأصلا تبنى عليه أى تتفرع عليه الفروع فهو بالنسبة للجمل كالبناء والوزن (والمثال) بالنسبة للكلمة .

٢ – تحديد المواضع فى داخل الحد ومحتواها . وبهذا المثال يتحدد الموضع الخاص

بكل عنصر فموضع العامل مثلا ليس هو مكانا معينا فى مدرج الكلام بل هو موضع فى داخل الحد والمثال ثم إن العامل أو المعمول ١ شئ ومحتواه شئ آخر مثل فاء الكلمة أو عينها أولامها شئ ومحتواها شئ آخر . فقد يكون فى موضع العامل فعل تام أو فعل ناسخ أو إن وأخواتها أو تركيب مثل حسبت (وهى جملة) بل حتى عامل ومعمول ١ ومعمول ٢ مثل " أعلمت عمرا " فكل ذلك عامل .

وبفضل هذه المواضع مع عملية حمل عنصر على عنصر الجامع بينهما يتضح شئ مهم جدا وهو أن الابتداء هو بمنزلة الفعل وكلاهما بمنزلة الأفعال الناسخة وإن وأخواتها وحسبت وأعلمت وأخواتها وأن الفاعل والمبتدأ واسم كان بمنزلة واحدة (المعمول ١) وأن خبر المبتدأ بمنزلة المفعول به .

٣ - إثبات قانون مهم وهو امتناع تقديم المعمول ١ على عامله :

إن عبارة سيبويه : أول ما تشغل به الفعل " تستلزم شيئا أخر وهو استحالة تقدم المعمول ١ على عامله مهما كان فإذا قدم محتواه تغيرت بنية الجملة (دون معناها الوضعى) : فـ"قام عبد الله" غير " عبد الله قام" . وقد برع المبرد فى البرهنة على هذه الحقيقة . يقول : " فإن زعم زاعم أنه إنما يرفع عبد الله بفعله { فى "عبد الله قام"} فقد أحال من جهات : منها أن قام فعل ولا يرفع الفعل فاعلين إلا على جهة الإشراك (العطف) .. فكيف يرفع عبد الله وضميره ؟ وأنت إذا أظهرت هذا الضمير بأن تجعل فى موضعه غيره بان لك وذلك قولك : " عبد الله قام أخوه " فإنما ضميره فى موضع " أخيه " . ومن فساد قولهم أنك تقول : "رأيت عبد الله قام " فيدخل على الابتداء ما يزيله ويبقى الضمير على حاله ... (المقتضب ، ١٢٨/٤) ويظهر كل هذا بوضوح إذا قمنا بنفس العمليات الحملية :

قام	عبد الله	–	–
	عبد الله	قام	
	عبد الله	قام	اخوه
رأيت	عبد الله	قام	

٤ - ومن ثم جواز التقديم والتأخير ما عدا المعمول الأول بالنسبة إلى عامله وفى حدود معينة :

فهذا خاص بمستوى التراكيب المفيدة أى

الجمل ولايحصل هذا إطلاقا فى المستويات التى هى تحتها (كاللفظة والكلمة)[1] . ويمكن أن تعرف العناصر الثلاثة بفضل الاستقرار الخاص بالمعمول الأول وبعلامات الإعراب التى هى نتيجة لتأثير العامل[2] .

٥ - تكون هذه العناصر التركيبية النواة الثابتة :

وهى بدورها وبهذه الصفة يمكن أن تدخل عليها عناصر أخرى زائدة قابلة للتقديم والتأخير وهى عناصر التخصيص لفظا ومعنى مثل الزوائد فى داخل النواة (إنَّ وكان وغيرهما) .

وهذه المخصصات هى جميع المنصوبات التى تأتى زائدة . وجزء منها باعتبار الخطاب والإفادة يسمى فضلة لأنها تأتى بعد المسند والمسند إليه . فالمفعول به من حيث البنية اللفظية يأتى فى موضع المعمول الثانى فهو غير زائد بل جزء من النواة اللفظية وهو فضلة فى الإفادة . وهذه الزوائد على النواة اللفظية هى الحال والتمييز كمعمول زائد للفعل لا الاسم مثل "طاب زيد نفسا ولى عشرون درهما" والظرف والمستثنى المنصوب فقط والمفعول معه والمفعول لأجله والمفعول المطلق .

ونشير ههنا أن الجمل ذات التركيب المزدوج مثل الشرط وجوابه وما بمنزلتهما (لما ، إذا الخ) والاستفهامية وغيرها هى أيضا تمثل

---

(١) مفهوم اللفظة لاسبيل إلى العثور عليه إلا فى كتاب سيبويه بعض النحاة الذين فهموا جيدا الكتاب . ولايسميها سيبويه هكذا بل يقول : الكلمة المفردة وما بمنزلتها . وأهمية هذا المفهوم على قدر أهمية الجملة (الرضى هو الذى سماها لفظة) . وتطرقنا لهذا الموضوع فى الكثير من مقالاتنا مثل : النظرية الخليلية وعلاج اللغات على الحاسوب (المؤتمر الثانى فى اللغويات الحاسوبية . الكويت ١٩٨٨) .

(٢) أما ما أتى به ابن مضاء الأندلسى من نقد لمفهوم العامل فلا يعتد به لأنه هو النحوى الوحيد من بين أكثر من ألفى نحوى ذكرهم السيوطى فى كتابه البغية وقف هذا الموقف السلبى إزاء النحو العلمى وخاصة القياس وقد أراد بذلك أن يطبق على النحو العربى ظاهرية أبى داود وابن حزم وقد تحمس بعض المحدثين لهذا الرأى فلم يوفقوا لأن علوم اللسان لاتكتفى بالوصف الساذج للغة بل تتجاوزه إلى التفسير العلمى . واتفق أن ظهر هذا التحمس مع ظهور اللسانيات الوصفية فى الغرب واهتم بعضهم بها وهو رد فعل ضد النحو التقليدى الغربى الذى أصبح لا يميز بين النحو التعليمى والنحو العلمى وابتعد كل البعد عن التصور الأول الأصل .

بصيغة أوسع تندرج تحتها هذه الصيغة الأولية ونأسف لضيق المكان لعدم إمكان عرضها على القراء الكرام[1] .

فهذه الصياغة تخص كما قلنا لفظ الجملة لا الجملة كخطاب وكلا النظريتين ضرورية ثم إن التخليط بينهما أو بالأصح تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخص الإفادة غلط فادح وكذلك الإفادة وظواهر التبليغ ينبغي أن تفسر باللجوء إلى اللفظ لأن اللفظ يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى فرعي وهذا المعنى نفسه قد يدل أو يلزمه كما يقول عبد القاهر الجرجاني معنى آخر فهذه الظواهر لا يرجع السبب فيها إلى اللفظ في ذاته .

وهذا قد تنبه إليه جيدا علماؤنا القدامى . قال بهذا الصدد صاحب بدائع الفوائد : إذا قلت : " على زيد دين " فإنك تجد هذا الكلام في قوة قولك : " زيد مديان " أو مدين " فمحط الفائدة هو الدين وهو المستفاد من الإخبار فلا تنحبس في الأوضاع وتقول : " على زيد " جار ومجرور فكيف يكون مبتدأ فأنت تراه هو المخبر عنه في الحقيقة[2] فليس المقصود الإخبار عن الدين بل عن زيد .. فهذا القدر هو الذي حسن الإخبار عن الفكرة ههنا فإنها ليست خبرا في الحقيقة وإنما هي في الحقيقة خبر عن المعرفة المتقدمة . فهذا حقيقة الكلام وأما تقديره الإعرابي النحوي فهو أن المجرور خبر مقدم والنكرة مرفوعة بالابتداء (بدائع الفوائد ١١/١٤٨ - ١٤٩ وهو مأخوذ من كتاب نتائج الفكر للسهيلي).

فحقيقة الكلام يعنى بها الكلام في ذاته أي كخطاب لا من حيث بنية لفظه وأما هذه البنية اللفظية فيعبر عنها مرة بترتيب اللفظ ومرة أخرى بالتغيير الإعرابي النحوي ويمكن أن نعبر بالفرنسية عن **الأول** بـ réalité (communicationnel) du discours **والثاني** بـ Sémiologico

(١) وقد أطلنا الكلام في ذلك وفي جوانب أخرى هامة في النظرية الخليلية في كتابنا : علم اللسان العربي وعلم اللسان العام .

(٢) وعلى هذا فالمبتدأ ليس دائما هو المخبر عنه أي المسند إليه .

grammatical وقد يعبر سيبويه عن الأول باللفظ اختصارا في مقابل المعنى ولا يريد هنا بالمعنى مدلول اللفظ الأصلي أي الموضوع له فهذا يدخل في ميدان اللفظ (sémiolo-gique) بل يريد بذلك دلالة الحال أو الدلالة العقلية أو أي دلالة غير اللفظية ويسميه العلماء العرب " لازم المعنى " فهذا يخص ال sémantique أي المعنى في ذاته لا كمدلول اللفظ وبالنسبة إلى اللفظ الدال عليه . والفرق بينهما كالفرق بين النحو والبلاغة[1] .

١ - اللفظ الدال والمعنى المدلول عليه باللفظ في الوضع والاستعمال :

إن هناك ميزة أخرى لسيبويه لاتقل أهمية عما ذكرناه وهو شيئ تجاهله ولم يهتم به المتأخرون من العلماء وكذلك المحدثون : ألا وهو اهتمامه الكبير هو والنحاة الأولون بالاستعمال الحقيقي للغة والرصد المتواصل لتصرفات الناطقين في التخاطب العفوي ومن ثم لأوضاع اللغة وذلك إلى حدّ بعيد جدا : بالتقديم والتأخير والقلب والحذوف الكثيرة والاختزال والاختلاس وإضمار المبتدأ أو الخبر وغير ذلك مما كثر مجيئه في الكتاب .

وسنتعرض هنا فقط للجملة المفيدة وما يطرأ عليها من تغيير في واقع الاستعمال إذ هناك تغييرات عديدة تصيب اللفظة والكلمة وأصوات اللغة .

يتكلم سيبويه عن مستوى من التعبير المستخف يسميه : سعة الكلام والاختصار ويكثر من ذكر هذا المستوى وخاصة في أبواب المنصوبات ويمثل له بأمثلة كثيرة جدا بما سمعه هو بذاته من أفواه العرب أو مما رواه شيوخه الثقات . وهذا النوع من التعبير غير موجود غالبا[2] (إلا بعض الاقتباسات والروايات) في الشواهد التي يذكرها المتأخرون من النحاة

---

(١) إن هذا التمييز العلمي الموضوعي لانجده إطلاقا في اللسانيات الغربية اللهم إلا في نظرية جانيوبان الفرنسي وقد اكتشف ذلك برصده لمدة عشرين سنة لأمراض الكلام فبين أن من تلك الآفات مايصيب القدرة على التركيب ومنها ما يصيب القدرة على استبدال مفردة بأخرى ومعرفة معانيها .

(٢) تلك هي ميزة هامة للمتقدمين من العلماء أما المتأخرون فيكتفون من الشواهد بما حفظ عن ظهر القلب مثل الشعروالقراءات القرآنية وبعض العبارات التي تجرى مجرى الأمثال . أما هذه العبارات العفوية التي تكتب ولا تحفظ غالبا فلا سبيل إلى وجودها إلا في زمان الفصاحة العفوية . وقد ذكر بعضها ابن مالك وابن هشام في بعض الأبواب مثل بابي التنازع والاشتغال .

لسبب واضح وهو عدم وجود من يؤخذ منه اللغة بعد القرن الرابع الهجرى لذهاب السليقة .

- **الإجراء على الموضع :**

يقول سيبويه : باب ما يجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله : وذلك قولك : " ليس زيد بجبان ولا بخيلا " و " ما زيد بأخيك ولا صاحبك " . والوجه فيه الجرّ "(١/٣٣) . أى الأصل والقياس النحوى يوجب الجرّ ولكن الاستعمال الحقيقى (السماع) جاء منه ما يخالف ذلك وإذا كثر صار أصلا آخر يقول ابن جنى إن " السماع يبطل القياس " إذا لم يرد فى الاستعمال ما يؤيد القياس . ويقول أيضا : وقد حملهم قرب الجوار على أن جرّوا : " هذا جحر ضبّ خرب" (هذا يذكره بعض المتأخرين لشهرته) فكيف ما يصح معناه" (١/٣٤) ، وقد يتفق أن يمتنع هذا الإجراء أولا لعدم وجوده فى الاستعمال ثم لأنه يخلّ باللغة وذلك مثل قوله : "ولو قلت : ما زيد على قومنا ولا عندنا كان النصب ليس غير ولا يجوز حمله على " على" " لأن " عندنا " لا تستعمل إلا ظرفا" (٣٤) .

- **انشغال الفعل بضمير إجراء والظروف هكذا:**

وسمع سيبويه العرب تقول : زيدا ضربت وزيدا ضربته (وعلى مثاله) ويوم الجمعة ألقاك فيه ويوم الجمعة آتيك برفع يوم ونصبه . فالأول هو الحد أما النصب وقد جاء فى الاستعمال بالنصب مع وجود الضمير .

- **إعمال الأفعال الناسخة وإلغاؤها:**

وتقول : زيد أظنه ذاهبا ومن قال : عبد الله ضربته نصب فقال : عبد الله أظنه ذاهبا .. فإن ألغيت قلت : عبد الله أظن ذاهب . وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكل عربى جيد (٦١) . ويريد سيبويه أن كلا المثالين مستعمل عند العرب ولا يريد من كلمة " جيد" إلا هذا (خلافا لما قد يعتقده بعضهم من تدخل سيبويه فى الحكم على كلام العرب بالحسن والقبح تعسفا) .

- **الحذف والإضمار للاختصار أو لعلم المخاطب رؤية الحال :**

قال :" كما يقول إذا ذكر إنسان شيئا قال

زيد وقال الناس أنت (١/٧١) قال تعالى جده : "طاعة وقول معروف (١) " فهو مثله فإما أن يكون أضمر الاسم (المبتدأ) وجعل هذا خبره كأنه قال : أمرى طاعة وقول معروف أو يكون أضمر الخبر فقال : طاعة وقول معروف أمثل (٧١) ويقول : وذلك قولك : متى سير عليه ؟ فيقول : مقدم الحج وخفوق النجم ... فإنما هو زمن مقدم الحج وحين خفوقه ولكنه على سعة الكلام والاختصار ... وإن رفعته أجمع كان عربيا كثيرا " (١١٤) ويقول : وحذفوا كما قالوا : " حينئذ الآن " وإنما يريد : حينئذ واسمع الآن... وإنما أضمروا ما كان يقع مظهراً استخفافا ولأن المخاطب يعلم ما يعنى فجرى بمنزلة المثل كما نقول : لا عليك (١١٤) يقول : سير عليه ذا صباح أخبرنا بذلك يونس عن العرب إلا أنه جاء فى لغة لخثعم مفارقا لذات مرة وذات ليلة (١١٥) يقول : أقائما وقد قعد الناس وأقاعدا وقد سار الركب .. وذلك أنه رأى رجلا فى حال قيام أو فى حال قعود فأراد أن ينتبه فكأنه لفظ بقوله : أتقوم قائما وأتقعد قاعدا ولكنه حذف استغناء بما يرى من الحال وصار الاسم بدلا من اللفظ بالفعل "(١٧١) ويواصل : "وحدثنا بعض العرب أن رجلا من بنى أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطّير منه فقال : يابنى أسد أعور وذا ناب (١٧٢). يقول : وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد لله ... كأنه يحمله على مضمر فى بنيته هو المظهر (١٦١) ومثله قول العرب : من أنت زيد ؟ أى ومن أنت كلامك زيد ؟ فتركوا إظهار الرافع كترك إظهار الناصب" (١٦٢).

وهكذا لا يزال سيبويه يبهرنا بكثرة ما يرويه من كلام العرب محاولا دائما أن يفسره بالنسبة للحد والأصل وبذلك يظهر الفرق الشاسع بين هذا العمل الوصفى التفسيرى فى نفس الوقت وسيختفى نهائيا من النحو وبين هذا الذى سيصير سرد قواعد جامدة مع الاكتفاء بشاهد قرآنى أو شعرى واحد فى الغالب . ويمكن أن نلخص ما ذكرناه فى هذه المقالة الوجيزة : إن تحت كلام سيبويه هذا نظرية لسانية عميقة جدا يدين بها خاصة للخليل بن أحمد وشيوخه الآخرين وفيها الكثير مما زاده هو فيها وأبدع إبداعا . فمن أهم المبادئ التى ترتكز عليها ذكر التمييز الصارم (الذى لا يقبل أى تساهل) فى التحليل والتفسير بين ميدانين اثنين من اللغة ليس بينهما أى تناظر

---

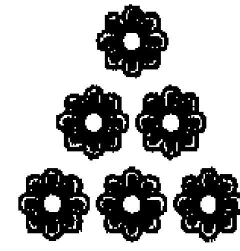
(١) سورة محمد الآية ٢١

وهو ميدان اللفظ الدال ومدلولاته الوضعية من جهة وبين الخطاب الذى هو كيفية استعمال هذا اللفظ ومدلولاته فى عملية الإفادة . ولاتكمن الميزة فى هذا فقط بل فى امتناع اللجوء إلى أحدهما لتفسير ظواهر الآخر وهذا الخلط هو أعظم خطأ يرتكبه النحو العربى التقليدى (نحو ابن مالك) وكذلك المدرسة البنوية فى اللسانيات الغربية الحديثة (وإلى حد ما نظرية تشومسكى فى أول أمرها) . وقد رأينا كيف ينطبق ذلك على الجملة المفيدة ثم إن هناك تصورا أخر للنحاة العرب الأولين لم نجده عند المحدثين إلا القليل وهو أن اللغة لاتتألف فقط من قطع كلامية بل هناك وحدات مجردة تدل على معنى مثل المادة الأصلية للكلمة ومثالها ووزنها فهذه وحدات ليس لها شكل القطعة من الكلام وهذا النوع من الوحدات موجود فى مستوى التراكيب فصيغة الجملة العربية اللفظية هى سياق من العامل **والمعمول الأول** يكونان زوجا مرتبا يبنى عليه **المعمول الثانى** وتدخل على هذه النواة زوائد مثل الزوائد التى تدخل فى بنية الكلمة . وينبغى أن لا نخلط بين هذه الصيغة الخاصة باللفظ وصيغة الخطاب التى تتكون من المسند والمسند إليه حتى ولو أمكن تأويل أحدهما بالمبتدأ وليس ذلك مطردا وهذا التصور لنوعية الوحدات هو تصور عربى محض لايوجد مثله فى اللسانيات الغربية .

والله ولى التوفيق

عبد الرحمن الحاج صالح

عضو المجمع المراسل من الجزائر



المراجع المذكورة

- سيبويه ، **الكتاب** ، ط ، بولاق ، جزآن ، ١٣١٦ - ١٣١٧ .

- الأخفش (سعيد بن مسعدة) ، **كتاب القوافى** ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، بيروت ١٣٩٤ .

- ابن جنى ، **الخصائص** ، تحقيق محمد على النجار ، ٣ أجزاء القاهرة ١٣٨٥ - ١٣٨٩.

- ابن فارس ، **الصاحبى** ، ط . السلفية ، القاهرة ١٣٢٨.

- ابن هشام ، أوضح **المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٥.

- ابن مالك ، الألفية . شرح الأشمونى ، القاهرة ١٣٦٦ .

- ابن مالك ، الألفية ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصر ، تحقيق محمد ك . بركات . القاهرة ١٣٨٨.

- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ٤ أجزاء ، القاهرة بدون تاريخ .

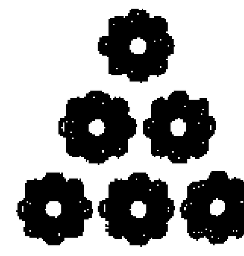
- المبرد ، **المقتضب** ، تحقيق ع . عظيمة ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٨٥.

- الرضى الاستراباذى ، **شرح الكافية** ، اسطنبول ، ١٢٧٥.

- السيرافى ، **شرح كتاب سيبويه** ، معهد المخطوطات العربية .

- السهيلى ، نتائج الفكر، تحقيق م . البناء ، القاهرة ، ١٩٨٤.

- عبد الرحمن الحاج صالح ، **النحو العربى ومنطق أرسطو** ، مجلة كلية الآداب ، الجزائر ١٩٦٤ .



الأسس النفسية والفكرية لتعريب الطب

للأستاذ الدكتور محمد عماد فضلى

كثيرا ما يتجه الحوار حول تعريب الطب إلى النواحى الوجدانية والانفعالية والقومية من هذه القضية ، فنجد الطرف المؤيد للتعريب يشيد باللغة العربية وإمكاناتها التعبيرية وصلاحيتها لحمل أمانة العلم ، كما حملتها فى العهد الذهبى للحضارة العربية الإسلامية . فى حين نجد الطرف المقابل يحذر من وقوع كارثة إذا هجرنا اللغات الأجنبية فى تعليمنا للطب وتعلمنا له ، إذ سيؤدى ذلك فى رأيهم إلى تخلفنا بل واختفائنا من خريطة العالم وهنا يقوم جدل لا ينتهى أبدا إلى كلمة سواء ، وقد قام هذا الجدل - فى رأى - بدور المعوق الأول لاتخاذ أية خطوة عملية نحو التعريب .

ولذا حرصت منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما أن أحصر حديثى فى هذه القضية على نواحيها العلمية الموضوعية ، فأبين بقدر إمكانى أن هذه القضية لها أسس علمية موضوعية تجريبية ، تشمل الدراسات اللغوية والنفسية والفكرية ، بحيث يمكننا إدارة الحوار حول تعريب الطب على أسس موضوعية بقدر الإمكان تمكننا - بتوفيق من الله من الوصول إلى كلمة السواء .

بدأ الاهتمام بدراسة طرق تعلم اللغات الأجنبية من ظاهرة لابد أنها لفتت أنظارنا فى يوم من الأيام ، ألا وهى أن الطفل يكتسب لغته الأصلية - أى اللغة الأم - فى يسر وسرعة ، وبدرجة عالية من الاتقان لا يمكن مقارنتها بما يحدث عند اكتسابه للغات الأجنبية ، ومن هنا أجريت عدة دراسات لتفسير هذه الظاهرة ، أرجو من الله أن يوفقنى

---

* ألقيت المحاضرة فى الجلسة السادسة للمؤتمر المنعقدة مساء يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

إلى عرض موجز لها يمثل جوانبها التى تم الاتفاق عليها بين أغلب الدارسين لها .

وأبدأ بعرض الطريقة التى تكتسب بها اللغة . أى لغة – معتمدا على ما توصلت إليه دراسات عالم اللغة الأشهر " ناعوم تشومسكى " مضافا إليها بعض ما توصلت إليه مدارس موازية يمكنها أن تضيف إلى نتائج " تشومسكى " ولا تتعارض فى أساسيتها .

يقول تشومسكى : أن دراساته التجريبية أكدت له وجود قدرة فطرية يختص بها الإنسان وتسمح له وحده بتعلم اللغة الحقيقية الوحيدة المعروفة إلى الآن وهى لغة البشر وقد أطلق تشومسكى على هذه القدرة اسم " جهاز اكتساب اللغة " .

– وهذا الجهاز الفطرى يدفع الطفل إلى تعلم اللغة عن طريق تبينه للبنى اللغوية المختلفة ، واستخدامها للتواصل مع أفراد مجتمعه ، وبمقارنة الطفل لتلك البنى اللغوية بتلك التى يستخدمها البالغون من حوله ، يصلح الطفل بناءُ اللغوية مرحلة بعد أخرى حتى يصل إلى امتلاك لغة البالغين بكل نواحيها الصوتية والنحوية والصرفية – بل والدلالية والاجتماعية أيضا .

ويبدأ الطفل محاولاته بجمل بسيطة من كلمتين ثم يتطور إلى الجمل المركبة فاكتساب اللغة إذن عملية تطورية تحث عليها تلك القدرة الفطرية التى يولد بها الطفل .

وهناك أدلة تجريبية عديدة على صحة هذه الاستنتاجات ، منها ما يقع فيه الطفل من أخطاء أثناء مروره بهذه المراحل مثل استخدامه بعض الحروف مكان حروف أخرى لبعض الوقت ، ومن أشهرها استخدام حرف التاء بدلا من حرف الكاف .

أما من الناحية الصرفية ، فقد يعمم الطفل صيغة جمع التكسير مثلا لبعض الوقت فيجمع كلمة " مكتبة " على " مكاتب " وسميت هذه الأخطاء " بالأخطاء المنطقية أو المطردة إذ أنها شائعة فى كل اللغات مما يدل على أن أصلها واحد ، فهى فى الحقيقة مراحل مطردة من مراحل نمو اللغة وليست أخطاء حقيقية .

كما لا حظ أن الطفل قد يكتسب لفظا ما بمجرد سماعه مرة واحدة دون حاجة إلى التكرار

أو التعزيز كما كان يقول السلوكيون ، كما وجد أن عامل الفهم يقوى ويسرع من هذا النمو اللغوى ، وتكاد تكون هذه الأفكار موضع الإجماع بين اللغويين .

وقد ذهب تشومسكى أبعد من ذلك ، فوجد ظاهرتين أخريين هما ظاهرة " الملكة اللغوية " وظاهرة " الأداء اللغوى " وتعنى الأولى قدرة الطفل الفطرية على تعلم قواعد النحو والصرف وتحويل الجمل من صيغة إلى أخرى مثل تحويل صيغة الإثبات إلى صيغة النفى ويقصد بالظاهرة الثانية ما ينطق به الطفل فعلا ، **ويقول تشومسكى** : إن هاتين القدرتين فطريتان وموجودتان فى كل الأطفال بغض النظر عن نوع اللغة التى يتعلمونها ، ولكن هناك خلاف كبير حول هذه النقطة .

وتضيف مدرسة أخرى من مدارس تعلم اللغات ، فكرة اكتساب الطفل للاستخدام الصحيح للغة فى مجال التواصل الاجتماعى ، والذى تختلف قواعده من مجتمع لآخر ، ولننتقل الآن إلى مقارنة ما ذكرناه إلى الآن ، بما يحدث عند اكتساب لغة أجنبية وهنا نلاحظ الفروق الآتية :

١ - يتعلم الطفل اللغة الأم وهو بعد فى سن يتميز فيها الجهاز العصبى بأقصى درجة من المرونة ، فيصبح تعلم اللغة الأم جزءا لا يتجزأ من نمو الطفل الفكرى والنفسى والاجتماعى وبنمو الطفل ، وبنمو جهازه العصبى فيفقد شيئا فشيئا مرونته الأولى ، وتتخصص بعض مناطق المخ فى أداء وظيفة بعينها دون غيرها ، ومن أشهر تلك الأمثلة تخصص نصف الكرة المخى الأيسر فى العمليات الفكرية المنطقية الموضوعية ، بشكل عام ، ومن بينها اللغة ، فى حين يتخصص نصف الكرة الأيمن فى العمليات الوجدانية وتذوق الجماليات مثل الموسيقى ويبدأ هذا التخصص منذ السنة الثانية ويبلغ أشده أو يكاد عند الثانية عشرة أو سن البلوغ ، فيفقد الدماغ الجزء الأكبر من مرونته بحيث يصعب على الطفل إتقان لغة أجنبية إذا ما تعرض لتعلمها لأول مرة بعد سن السابعة وقد يصبح ذلك مستحيلا إذا لم يتعرض لتلك التجربة حتى سن الثانية عشرة ، أما إذا اكتسب لغة أخرى غير لغة الأم قبل أن تضعف تلك المرونة ، فإنه يستطيع اكتساب

لغات أخرى فيما بعد إلى قدر ما ، كما أنه يستطيع الاستزادة من اتقان اللغات بمرور سنى العمر .

٢ - يتعلم الطفل اللغة الأم تحت ظروف طبيعية إذ يعيش فى مجتمع يتكلم كل أفراده تلك اللغة ، فيصبح اكتسابه للغة الأم جزء لا يتجزأ من مراحل نموه الفكرى والنفسى والاجتماعى ، وبذلك فهو يكتسبها بسرعة ويتقنها اتقانا لا يتوفر للغة الأجنبية التى يتعلمها فى ظروف المدرسة الرسمية ، وفى فصول محدودة الفرص ، ويمكن تصور الصعوبة المضافة إذا كان مدرس اللغة الأجنبية لا يتكلمها بإتقان - بل وقد تؤدى مثل هذه الظروف الرسمية المحيطة إلى نفور الطفل من تعلم اللغة الأجنبية أو التوقف عن ذلك تماما . وهناك طريقة أخرى لتعلم اللغة الأجنبية وهى تعلمها فى مجتمعها الأصلى ولكن بطريقة تلقائية ، لا يصقلها التعرف على قواعد اللغة النحوية والصرفية وهو ما نلاحظه فى من يعمل فى مجتمع أجنبى ، فيلتقط لغته بشكل يكفيه فقط لحل مشكلاته العملية ، ولكنه لا يتكلم اللغة بالطريقة التى يتكلم بها أهلها وإذا حدث هذا فيصعب على هذا التعلم التلقائى أن يتقن هذه اللغة فيما بعد إذ أنه لا يستطيع نسيان الأخطاء اللغوية التى تعود عليها سنين طويلة .

٣ - يؤثر الاكتساب السابق للغة الأم ايجابا وسلبا على تعلم اللغة الأجنبية إذ أن هناك تشابه بين اللغات المختلفة من ناحية استخدام الكلمات والأفعال وبعض الصيغ التركيبية اللغوية ، خصوصا لو كانت اللغة الأجنبية تابعة لنفس عائلة اللغة الأم (الفرنسية والأسبانية) ولكن اختلاف اللغات من النواحى الصوتية والنحوية والصرفية قد يؤدى إلى نوع من التداخل السلبى فى اكتساب اللغة الأجنبية - خصوصا عندما تكون اللغتان - لغة الأم واللغة الأجنبية ، مختلفتى العائلة ، مثل اللغة العربية واللغة الانجليزية ، **فالأولى :** اشتقاقية **والثانية :** غروية ، وكلنا نشاهد هذا التداخل السلبى فى النواحى الصوتية فيصعب على الطفل العربى نطق حرف p , v ، أما الناحية الصرفية فكلنا نحن معلمى الطب ، قد تعودنا على سماع كلمات مثل " برانشات " بدلا من

Branches مثلا كما أن أداة التعريف " ال " تدخل على الكلمات الإنجليزية بسهولة ويسر فنسمع ال Patient والـHeadache وهكذا ، كما يشيع بيننا حذف فعل الكينونة "Verb to be"من الجمل الإنجليزية إذ أنه لا يستخدم بهذا المعنى فى اللغة العربية فنسمع جملة تقول مثلا Patient Pale بدلا من The lions are animals This Lions بدلا من patient is pale are animals. وكذلك استخدم أداة التعريف عند استخدام الاسم للدلالة على الجنس وهكذا .

ومثل هذه الأخطاء نشاهد مثيلاتها عند اكتساب اللغة الأم على أنها كما قلنا أخطاء متطورة " تختفى باستكمال الطفل لمراحل نموه اللغوى ، أما فى اللغات الأجنبية فقد يتوقف الدارس عند مرحلة معينة من هذه المراحل ، وبذلك يكتسب لغة وسيطة كما يسميها دارسو اللغات ، بدلا من اللغة الأجنبية التى يقصد تعلمها ، وكلنا الآن نتقبل فى كلية الطب هذه اللغة الوسيطة فى حديثنا وفى المحاضرات والدروس الإكلينيكية ، بل وفى اللغة المكتوبة فى كراسات الإجابة ، بحيث نستطيع أن نقول إننا ابتكرنا رطانة طبية جديدة لاعربية ولا إنجليزية ، ولا يفهما إلا الطبيب المصرى ، وبالتالى لا يستطيع استخدامها عند التواصل مع أقرانه الأجانب سواء بالحديث فى المؤتمرات أو فى قراءة المراجع الأجنبية ، ولعل هذا هو الذى يدفع الطالب عندنا إلى تفضيل الملخصات التى يكتبها أساتذته بطريقة السرد المختصر - المبنى على أشباه الجمل فى شكل قوائم تذكر فيها أسباب الأمراض أو علاجاتها أو تشخيصها إلخ ، ولا يتجاوز الطالب هذه النصوص المبتسرة إلى النصوص المكتوبة بلغة أجنبية سليمة متكاملة سواء كتبها أستاذ عربى أو أجنبى .

٤ - صعوبة إتقان النواحى الدلالية والاجتماعية للغة ، إذ إن الدارس لا يتعلم اللغة الأجنبية فى الإطار الاجتماعى لها ، ولهذا عواقبه المضحكة و المبكية معا والتى قرأت منها مثالين منذ أيام فى إحدى الصحف المصرية ، تعرض فيها طلبة يابانيون للقتل .

بسبب عدم فهمهم لبعض المصطلحات اللغوية التى تعارف عليها المجتمع الأمريكى وبناء على هذا فقد نصح بعض علماء اللغة بالإبقاء على بعض الأخطاء الصرفية أو النحوية عند الطلبة الأجانب حتى يستمر التعامل معهم على انهم غرباء عن المجتمع فتغفر لهم أخطاؤهم الدلالية والاجتماعية عند استخدامهم للغة الأجنبية .

ومن هنا نستطيع القول إن اللغة الأجنبية لا يمكن أن تكون أمثل الطرق للدخول المبدئى إلى تعلم العلوم والمعارف المختلفة ، وهى إذا اتقنت اتقانا تاما تصلح للإطلاع على المراجع الاجنبية كمصدر إضافى - أما إذا أتقنت من ناحية التحدث بها فقد تصلح أيضا للتواصل العلمى فى مجالات المؤتمرات واللقاءات العلمية ، وهو ما يعبر عنه لغويا باكتساب اللغة بدافع وسيلى - أما استخدام اللغة الأجنبية للاتصال الثقافى والاجتماعى فيحتاج إلى دافع آخر ابعد منالا وهو الدافع التكاملى الذى لا يتحقق إلا بدراسة اللغة الاجنبية تحت ظروف طبيعية أهمها تعلمها تعلما إراديا فى مجتمعها الأصلى بحيث تكاد تكون صنوا للغة الأم .

والقول بأن اللغة الأجنبية لا يمكن أن تكون المدخل الأسلم للدخول المبدئى فى تعلم العلوم لا يستند فحسب على كل ما ذكرته من فروق من تعلم اللغة الام واللغة الأجنبية بل يعتمد أساسا على نقطة أخرى وهى علاقة اللغة بالتفكير .

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى مدرستين تعتبران أهم المدارس التى ناقشت هذه النقطة وهى مدرسة جان بياجية السويسرية - ومدرسة فايجوتسكى الروسية التى رادها عالم الفسيولوجيا العصبية لوريا .

أشار جان بياجية إلى أن اللغة تيسر اكتساب الفكر وتعمقه إذا بدونها لا يستطيع الطفل الخروج من حدود الادراكات الحسية المبدئية التى يعتمد عليها فى اكتساب مقومات الفكر المبدئية مثل تكوين العلاقات المنطقية المبدئية باستخدام المدركات الحسية الحركية . (أى عند تناول الأشياء المحسوسة فى اللعب أو التعامل مع محيطه الحسى ، كما أن استخدامه للرموز يمتد إلى آفاق أوسع

وأعمق باستخدامه للرموز اللفظية ، إلا أن بياجيه نادى بأن نمو الفكر ونمو اللغة لا يعتمد أحدهما على الآخر اعتمادا كبيرا وإن كانا متزامنين وقد بنى استنتاجه هذا أساسا على ما توصل إليه من دراسة حديث الطفل عند أول مراحل اكتساب اللغة وعند بدء اتصال الطفل بالمجتمع وخروجه من المرحلة الاجترارية إلى أول مراحل التطبع الاجتماعى الذى يعتبر فيها الطفل نفسه جزءاً لا يتجزأ من كتلة المجتمع وقبل أن يتميز بانفراديته وانتماءه إلى المجتمع كأحد افراده . هذا النوع من الحديث عرف بالحديث الذاتى أو المتمركز حول الذات وله خصائص مميزة :

لعل أهمها - هو خلوه من الفاعل أى المسند إليه وكل ما يتعلق به واكتفائه بالمسند ، ولذا لا يستطيع أن يفهمه المحيطون بالطفل ، وقد وجد بياجية أن هذا الحديث يقل بتقدم الطفل فى العمر وبنموه الاجتماعى ولذا فقد اعتبره مرحلة تنتهى بالاضمحلال والاختفاء عندما يبلغ الطفل مرحلة تميزه لفرديته ولمكانه فى المجتمع كفرد يتعامل مع المجتمع وليس جزءا من الكل الهلامى لهذا المجتمع وهنا تأتى تجارب فايجوتسكى ، فقد درس هذا الحديث الذاتى دراسة تجريبية توصل عن طريقها إلى تبين الخصائص التالية لهذا الحديث .

١ - هذا الحديث يدور بين الطفل ونفسه ولكنه لا يتم إلا عند وجود الطفل بين مجموعة من الناس يمكن أن يتواصل معهم ، فهو يختفى إذا كان الطفل وحيدا ، أو إذا أحطناه بأطفال صم أولا يتكلمون لغته ، أو إذا طلبنا منه أن يهمس بهذا الحديث ولا ينطق به جهارا أو أحطناه بموسيقى صاخبة تجعله غير مسموع ممن حوله ، واستنتج من هذا أن هذا الحديث ولو أنه يبدو كما لو كان موجها من الطفل إلى نفسه فقط إلا أنه فى الحقيقة وسيلة لتواصل الطفل مع المجتمع ولو أن هذا المجتمع لا يفهمه لأنه يتميز بارتباطات لغوية عارضة وتكوينات لغوية مبتسرة .

٢ - يبلغ هذا الحديث قمته من حيث طريقة تكوينه كلما تقدم الطفل فى العمر ولو أنه يقل فى الكمية ، فاستنتج فايجوتسكى من ذلك أن هذا الحديث ينمو ويتطور ولا يضمحل كما

استنتج بيا جيه فهو بذلك أشبه باختفاء العد على الأصابع طريقة للجمع أو الطرح عند الأطفال عند اكتسابهم القدرة العقلية على الحساب فاختفاء العد لا يعنى اختفاء القدرة الحسابية وكذلك قلة الحديث الذاتى لا يعنى اختفاء التفكير به على أن هذا الاختفاء الظاهرى يبين مرحلة من مراحل النمو فى الطفل عندما يتحول من مرحلة النشاط الجماعى الكلى إلى مرحلة الشعور بالتميز والتفرد الذاتى وهو نمط من التحول يسود كل الوظائف النفسية العليا ، واستنتج فايجوتسكى أن هذا الحديث المتمركز حول الذات يتحول إلى حديث داخلى يتميز بما يأتى :

١ - اعتماد على حس الكلمة وليس معناها المعجمى - ونقصد بحس الكلمة كل الظلال النفسية التى تثار عند ذكر الكلمة حسب خبرة الطفل النفسية وحسب سياق الكلام .

٢ - تنضم فيه الكلمات بعضها لبعض مكونة لكلمات مركبة كما يحدث فى اللغة الألمانية محدثة بذلك كلمات أكثر ثراء فى المعنى .

٣ - تنساب فيه معانى الكلمات بحيث تصلح فيه كلمة واحدة عنوانا على نص كامل وبسبب هذه الخصائص الثلاث يصبح هذا الحديث مركزا ويلزم عند تحويله إلى الحديث الخارجى المنطوق استخدام عدد كبير من الكلمات للتعبير عن كل كلمة منه ، ولو أن ذلك يتم على حساب فقد بعض الخصائص الرهيفة للمعانى العميقة المركزة التى يحتويها هذا الحديث الداخلى .

ولهذا تمكن فايجوتسكى من وصف العلاقة بين اللغة والتفكير كما يأتى .

١ - تركيز الحديث الداخلى يؤدى إلى تكوين تفكير خالص يمثل الدافع الحقيقى الذى يحرك عمليات التفكير اللفظى .

٢ - يتحول هذا الدافع العميق من التفكير الخالص إلى تفكير داخلى ذى الخصائص التى سبق ذكرها .

٣ - الكلام الخارجى الموجه للمجتمع ذو الجمل الكاملة المفصلة والمعانى المحددة والسياق المتكامل الذى يجعله مفهوما للآخرين ولو على حساب بعض الظلال التى يشملها حس الكلمة وبهذا تصبح اللغة عاملا أساسيا

لاغنى عنها للتفكير فى أعمق مراتبه ثم مرور الداخلى إلى أن يصل إلى الآخرين فى شكل حديث لفظى خارجى .

وقد بين فايجوتسكى أن خصائص اللغة المستخدمة تملى على التفكير خصائص معينة فقد ذهب بعض الدارسين إلى أقصى المدى فبين « وورف » أن اللغة تملى على من يتكلمها أسلوبا فى تصور الزمن وأسلوبا فى التصرف الاجتماعى وذلك عندما درس اللغات البدائية لبعض مجتمعات الهنود الحمر .

وهذا التأثير الذى تتركه اللغة على الفكر يؤدى إلى التأثير فى طريقة تفكير الشعوب ككل ، كما يقول دارسون آخرون . فقد تتسرب مميزات الفلسفة الألمانية إلى سلوك الشعب الألمانى على أساس الطبيعة الخاصة لبيئة اللغة الألمانية كما قالوا إن اللغة التى تتبع فيها الصفة الموصوف كاللغة العربية والفرنسية تشير إلى مجتمع تعود على التفكير الاستنتاجى Deduction بينما نجد اللغة التى تسبق فيها الصفة الاسم مثل اللغة الإنجليزية تشير إلى مجتمع يفكر أساسا بطريقة استقرائية Induction وأن لغة الهنود الحمر التى لا يميز تركيبها الصرفى والنحوى بين الحدث والفاعل والأشياء تؤمن بالقدر تجعل شعوبها أكثر من اللغات التى تتميز فيها هذه المكونات اللغوية كاللغة الانجليزية . كما أن المجتمع الذى لا يتوافر فى لغته مصطلحات محددة خاصة بالعمليات المنطقية يصبح مجتمعا لا يستطيع أن يقوم بالتفكير المنطقى أو التفكير العلمى .

وإذا ما بعدنا عن هذه الآراء المتطرقة - ولو أنها تنبنى أيضا على نتائج تجريبية ، فلا تستطيع أن تغض الطرف عن أثر الأهمية القصوى للغة الأم فى مساعدة الفرد على وضوح الفكر وتمكنه من التفكير السلس المنطلق ، ومن هنا يتضح لنا خطورة هجرة هذه اللغة فى تكوين الهيكل الفكرى لدارس العلوم أما اللغات الأجنبية فهى تكفى - إذا ما أتقنت - للاطلاع على ما يدور فى العالم وليس لبناء الفكر فى مراحله الأولى .

محمد عماد فضلى

الخبير بالمجمع

دور النحت فى تيسير الأداء العلمى بالعربية

للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

تعددت الكتابات والبحوث فى شأن وسائل الإفادة من الخصائص المختلفة للغة العربية ، من قابلية واسعة سمحة لتعريب الألفاظ الأجنبية ، إلى عالم واسع من صيغ شتى فى الاشتقاق ، إلى فيض غزير من المترادفات ، وحتى إلى إمكانية لاتهمل من إلصاق الزوائد كالسوابق واللواحق ... إلى آخر ذلك من خصائص . ولقد استحثت القرائح والمهارات بين المشتغلين بالعلم الطبيعى وصناعة المصطلح العلمى فى هذه البحوث للاجتهاد فى ذلك والتوسع فيه من أجل إغناء اللغة العربية العلمية وتيسير وضع المصطلح فيها وتمكينها من الأداء العلمى السلس الواضح . لكنَّ كثيرين من أهل العلم واللغة قد تحفظوا قليلا أو كثيرا فى شأن استعمال النحت فى هذا الصدد . فمن قائل إنه ليس من طبيعة لغة العرب[1] ، ومن قائل إنه لا تخرُج منه كلمات سهلة واضحة الأداء . ولعل فى هذه العُجالة إنصافا لهذه الخصيصة العربية الأصيلة ، وبيانا لعظِم الفائدة التى تُجنى من ورائها فى صناعة المصطلح العلمى .

وإذا كان الاشتقاق ، الذى تكاد تتفرَّد به العربية وأخواتها من الساميات ، هو إطالة لبنية الكلمات ، فإن النحت هو العملية العكسية للاشتقاق ، إذ هو اختزال واختصار فى الكلمات . وكلا الأمرين من وسائل إغناء متن اللغة وتيسير النسبة والإضافة والتثنية والجمع وغير ذلك فيها . وأول من شرح النحت وقعّد قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدى فى كتاب « العين » (القرن الثانى من الهجرة) ،

---

* ألقى البحث فى الجلسة السابعة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٢ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤م .

(١) جميل الملائكة ، فى مستلزمات المصطلح العلمى ، مجلة المجمع العلمى العراقي ، بغداد ١٩٧٤ ، مجلد ٢٤ ، ص ص ٩ - ١٨ .

وتابع ذلك ابن السِّكيت فى " إصلاح المنطق "، والجوهرى فى " الصحاح " ، والثعالبى فى " فقه اللغة " ، وغيرهم . وقد عدّ بعض الفقهاء النحت بابا من الاشتقاق وسموه " الإشتقاق الكُبار" وعلى أية حال فإن أيسر تعريف للنحت هو : أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر ، أو من حروف كلمتين فأكثر .

وقد نشأ النحت أصلا عند العرب القدماء دفعا للالتباس فى حالة النسبة إلى الأعلام المؤلفة من مضاف ومضاف إليه مثل عبد شمس ، وامرئ القيس ، وتيم الله ، وعبد الدار ، حتى لا يلتبسَ الأمر إذا نسبوا إلى المضاف وحده أو المضاف إليه وحده ، فقالوا : عبشميّ ومَرْقَسيّ إلخ . ومن شواهد هذا قول عبد يغوث الحارثى (جاهلى) :

وتضحك منى شيخَّة عبشميةٌ

كأن لم تر قبلى أسيراً يمانيا

وقد قيل إن العرب التزموا فى النحت بأساليب معينة كدمج صدر الكلمة الأولى فى صدر الثانية أو فى عجزها ، وكالإكمال بلام الثانية إذا اعتلت عين الأولى ، ولكن التدقيق يثبت أنهم لم يلتزموا . فقالوا مثلا فى النسبة إلى " دار البِطِّيخ " دربخياً ، وكان على حسب القاعدة يجب أن يقال دربطى وأن يقال سقزنى فى النسبة إلى سوق مازن ولكنهم قالوا : سقمزى . وقالوا أيضا " رسعنى " فى النسبة إلى رأس العين وعبدرى نسبة إلى عبد الدار .

كما أنهم لم يقْصروا النحت فى النسبة إلى المركب الإضافى بل استعملوه أيضا فى المركب المزجى فقالوا " حضرمى " ولم يجروه على قياس . بل إنهم زادوا فى ذلك فاستخرجوا من المنحوتات أفعالا فقالوا : تبعشم وتقعبس ، وكان القياس أن يقولوا تعبشم وتعبقس أى ارتبط بعبد شمس أو بعبد قيس بحلف أو جوار . وعلى مثل ذلك قال المحدثون " درعمى " نسبة إلى دار العلوم ، وتدرعم فِعلٌ منها .

وهل ثمة ريبة إذن فى أن يقول الكيميائى " مركب حديدوكى " مقابل 'ferroferic compound' نحتًا من حديدوز وحديديك ؟ أو أن يقولَ الجيولوجى " الغِلاف النِّيحدى للأرض " نسبة إلى النيكل والحديد ؟ أو يقول " تنيحدت الطبقة " أو

«تنيحد الراسب " ؟ أويصف معدنا ما بأنه " حَرمائى" (Hydrothermal) ، إشارةً إلى نشأته بفعل الحرارة والماء ، أو يعبر عن الحركات البانية للجبال بالمصطلح " بناجبلى " مقابل 'Orogenic' أو الحركات البانية للقارات بالمصطلح " بنَاقاريّة " مقابل 'epeirogenic' ؟ ولقد أطلق الجيولوجيون الإنجليز على الصخر الذى يتكون من الغرين (silt) والحريث (tillite) المصطلحَ (siltil) ، فماذا لو اصطُلح عليه عندنا باللفظة " غَريث" أو اللفظة « حَرين» وقس على ذلك الكثير . وهذا هو النوع الأول من النحت ويسمى أحيانا النحت المنسوب .

أما النوع الثانى من النحت ، فهو ضرب من الاختصار لأنه يتم بصياغة فِعل على وزن " فَعلَلَ " أو مصدرٍ على وزن فَعلَلَة وذلك من حرفى جملة مؤلفة من كلمتين أو أكثر للدلالة على التحدث بهذه الجملة . وقد سُمى هذا النحت بالنحت الفعللى. فقالوا فى باب ذلك : بَسمَل الرجل إذا قال " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وحوقل إذا قال " لا حول ولا قوة إلا بالله ، وحمدل إذا قال : " الحمد لله ، وهلم جرا مثل : سبحل وسحبل وسمعل ومشأل وحيعل ودمعز وطلبق .... إلخ ، وأنشد الخليل بن أحمد :

أقول لها ودمع العين جارِ

ألم تحزنكِ حيعَلَةُ المنادِى ؟

وقال الآخر :

لقد بَسملَتْ ليلى غداةَ لقيتُها "

فيا حبذا ذاك الحبيب المُبَسمِلُ

ويلاحظ فى هذا النوع من النحت أيضا أنهم لم يلتزموا فيه بقاعدة ، فلم يأخذوا من كل كلمة من المنحوت منه ، ولم يحافظوا ، على حركات الحروف وسكناتها ، ولكنهم التزموا فقط بشئ واحد وهو عدم أخذ الكلمة الأولى بتمامها ، وكان الضابط الوحيد بعد ذلك الذوق فى جرس الكلمة الجديدة .

ومن أمثلة ما جاء به المتأخرون فى هذا النوع من النحت " الفذلكة " فعند إجمالهم الحساب يقولون " فذلك هوكذا ... " ، وقالوا أيضا " الفنقلة " نحتا من قولهم " فإن قيل كذا " وهلم جرا . فلماذا لا يقاس على ذلك فى العلم الطبيعى قولنا " فَعصَبَ العيِّنةَ " ؟ أى

قام بتحليل الفضالة المستعصية على الذوبان فيها . وعليه يمكن أن يرمز لهذه العمليات في الجداول بكلمة " الفعصبة " . وكذلك في " تَحَمكَ تحمكةً " من حلّلَهُ تحليلا ميكانيكيا ، و " تَحْجَمَ تحجمةً " من حلله تحليلا حجميا . وأليسَ " الرَّمطَف " مصطلحاً مناسبا للصخر المكون من الرمل والطفل ؟ وإذا قام الجيولوجي بتقدير نسبة المُكوِّنين الأصليين فيه فهو يُرمطِف ويحدد النسبة الرمطفية .

والنوع الثالث من النحت يعزى أساسا إلى ابن فارس الذي يفسر به أصل كل ما زاد على ثلاثة أحرف على أنه منحوت : وقد ذكر في كتابه " مقاييس اللغة " نحو مئتين من الأمثلة زاد عليها المتأخرون مجموعة كبيرة ومنها على سبيل المثال : برقش من برش ورقش ، وجلمد من الجلد والجمد ، ونقرش من النقر والقرش ، وهمرج من هرج ومرج ، ودحرج من درج وحرج، وصلدم من الصلد والصدم، وجحفل من جحف وحفل ، وعلى أوزان أخرى مثل فرهد وجرهم وضبطر . إلخ .

وقد نقد ابنَ فارس بعضُ المحدثين ومنهم المرحوم الدكتور على عبد الواحد وافى ولجنة من مجمع القاهرة كان يرأسها المرحوم الشيخ حمروش واتهموه بالتعسف والشطط ، وأنصفه وأعجب به آخرون ومنهم الدكتور سليم النعيمى[1] من مجمع بغداد ، وقال فى نظريته إنها محاولة جادة وناجحة فى تفسير نشوء بعض الرباعى قد يقوم الكثير منها على الظن ولكنها جديرة بالنظر والدراسة . والرأى عند كاتب هذا البحث أن دراسة هذا النوع من النحت قد تنير الطريق لكثير من المشتغلين بالعلوم للاهتداء إلى مصطلحات مركبة تُنحت من أصول بسيطة تسهُل النسبة والإضافة إليها وتعين على دقة التعبير مع الإيجاز . ويمكن تسمية هذا النوع من النحت بالنحت التأصيلى .

والنوع الرابع من النحت هو تأليف كلمة من أوائل حروف كلمتين مستقلتين أو كلمات مستقلة لتفيدَ معنى جديدا مركبًا فى صورة ما من معانى هاتين الكلمتين أو تلك الكلمات . وقد سماه بعضهم **النحتَ الأوائلى** ، وهو ما

(١) سليم النعيمى ، النحت ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٧٣ ، مجلد ٢٣ ، ص ص ٨٩ - ٩٩ .

يسمى فى اللغات الأوروبية (acronymy) .

وقد عدَّ بعض الباحثين هذا من أبواب النحت ، وعدَّه بعضُهم نوعا من الاختصار أو الاختراع .

وقد شاع هذا التصرف حديثا فى اللغات الأوروبية ، وأمثلته :

يونسكو Unesco ، ويونو Uno ، وناتو Nato ، ناسا Nasa وشيب Shape وسالت Salt ، وستارت Start ، وفيديو Vidio ، ورادار Radar ، وليزر Laeser ودنا Dna ، ورنا Rna ، ويظنه بعض الناس مميزا لتلك اللغات ولايناسب اللغة العربية . ولكننى أرى أن هذه اللغات بزتنا فقط فى استعماله ، فهو لايعتمد على خصيصة معينة فيها ، بل لا أبالغ إذا قلت إننا نحن رُوَّادُه ولو أننا لم نتقدم فيه ، فعندنا نشأت من قديم كلمة " إلخ " (أى إلى آخره) و " نا " بمعنى (حدثنا) ، و " أ هـ " بمعنى (انتهى كلامه أو انتهى الكلام) ... إلخ .

وقد ذهب الخليل بن أحمد فى تأصيل هذا النوع من النحت إلى أن كثيرا من الكلمات العربية نشأ نشأة مشابهة : فلن منتزعة من " لا " و " أن " وتضمنت بعد تركيبها معنى لم يكن لأصليْها مجتمعيْن .

ويقول الفراء فى " هَلُمّ " إنها من " هل " (يعنى هل لك فى ؟ (و "أم " بمعنى (اقصد أو تعال) ، وفى " لكن " إنها من " لا " وك " الخطاب و " إن " . وأخرج الخليل والفراء أصل " ليس " من " لا " و " أيس " ، واللفظ " أيس " هو فعل الكينونة فى كثير من اللغات السامية وقد انقرض فى العربية .

وقد ذاع الاختصار والاختراع بالنحت فى اللغات الأوروبية (acronymy) واستفاد منه العلميون أيما فائدة . وقد بلغت ألفاظه كمًّا حدا ببعض اللغويين هناك إلى تأليف معاجمَ متخصصةٍ فيه[1] .

وسأضرب أمثلة من المصطلحات استحدثتُها فى علم الجيولوجيا مبنية على النحت الأوائلى ما أظن إلا أن لها نظائر فى العلوم الأخرى ، ومنها :

(1) Robert, C. et al , Ed. , “Acronyms and Initialism Dictionary”, Book Tower, Detroit, Michigan, 1965.

- سِيال مقابل Sial ، وهو الطبقة العليا من وشاح الأرض ، والكلمة منحوتة من طبيعة التركيب الغالب على هذه الطبقة وهو السليكون Silicon والألومنيوم Alu-minium فأخذوا Si من الأول و Al من الثانى وقالوا the sial ، وقلنا معهم طبقة السِّيال .

- سِيما مقابل Sima ، وهى الطبقة التى تحت السابقة ونُحت الاسم من تركيبها الغالب أيضا أى من السليكون Si والماغنسيومMa

- نَيْحَد مقابل Nife وهى الطبقة التى تحت السابقة ونُحتت فى الإنجليزية والفرنسية أوائليا من Ni رمز Nickel ومن Fe رمز الحديد ، وفى العربية من " نيـ" أول كلمة نيكل ومن " حد " أول كلمة حديد .

- ومنذ مدة قصيرة قرأت فى بحث عن النفط كلمة 'Gor' بالإنجليزية واطلعت على القاموس فلم أجدها ، ولكن ما لبثت ، مع القراءة فى البحث أن اكتشفت أنها نحت أوائلى من ثلاث كلمات فى شبه جملة هى "gas oil ratio" فنحتُّ لها بالعربية كلمة " نَزْغ" من شبه الجملة " نسبة الزيت إلى الغاز " وهى كلمة واحدة تسهُل النسبة والإضافة إليها ويناسب وضعها فى الجداول.

وبعد ، فإن مادفعنى إلى هذا البحث هو ما عجبت له من إعراضنا عن استغلال ميزة أصيلة فى لغتنا العربية تعين على تيسير الأداء العلمى بها فى الوقت الذى أرى فيه اللغات المتطورة فى أوربا لا تجد غضاضة فى أن تستغل ظواهر ليست من طبيعتها لسد الحاجة العلمية ولتحقيق المثالية فى المصطلح . وأهم عناصر هذه المثالية : الاختصار ، ودقة التعبير ، وإمكان النسبة والإضافة والجمع .. إلخ . فالإنجليزية مثلا لجأت إلى النحت ، وهو ليس من طبيعتها ، لا ستحداث ألفاظ جديدة دعت إليها الحياة العصرية ، فأهلها قد استحدثوا كلمة "brunch" منحوتة من كلمتى 'breakfast' و 'Lunch' للتعبير عن وجبة بين الإفطار والغداء ، واستحدثوا كلمة 'amerindian' منحوتة من كلمتى

'american' و 'indian' . وكــــــذلـك استـحـدثوا كلمـة 'contrail' من كلمـتى 'condensation trail' . وعـندهم كلمـة منحوتة قديمـة جدا دخلت معاجمـهم من زمن طويل حتى ليظن أكثرهم ، كما نظن نحن ، أنهـا من متن لغـتـهم المأثور ، وهى كلمـة 'smog' ، والحـقـيـقـة أنهـا منحـوتة من كلمـتى "smoke" أى دخـان و "fog" أى ضباب ، وهى تحتاج إلى كلمة عربية تناظرها . وقد صادفت أخيرا كلمة جديدة جدا ظهرت من بضع سنين فـقط ، وهى كلمـة 'chunnel' منحوتة من كلمتى 'channel' و 'tunnel' ؛ وهى اسم يطلق على النفق الذى تم حفره تحت القنال الإنجليزى الذى يربط بين فرنسا وإنجلترا . وقدلا يكون من نافلة القول أن أنبه إلى أن ما أوردت من أمثلة كلها نشأت بالنحت فعلا ، وعلى الطريقة العربية ، ولا يجوز أن نخلط بين هذا وبين مـا هودارج فى الإنجليـزية مما يسمى بالتركيب حيث يُحتفظ فى الكلمة المستحدثة بالكلمتين الأصليتين كاملتين كما فـى 'earthquake' و 'busimessman' و 'airraid' وغيرها .

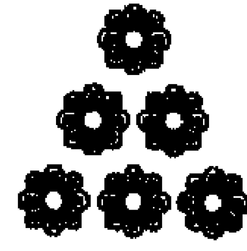
وأختتم البحث فى النحت باقتباس كلام للدكتور سليم النعيمى(١) يذكرنى بجرأة الأئمة القدماء فى تطوير اللغة مع الحرص على سلامتها ، إذ يقول : " والذى يهمنا من هذا الموضوع هو أن نبيح اللجوء إلى النحت فى وضع مصطلحات العلوم حين لا يمكن أن يدل على المصطلح إلا كلمتان أو أكثر تخفيفا بذلك على المتعلم ، فإن كلمة واحدة أيسر فى الحفظ من كلمتين أو عدة كلمات على ألا يؤدى بنا ذلك إلى الإغراب والتوعر " . وقد قرأت لحجة التعريب الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة[٢] ما أعدَّه قانونا فى منهجية صياغة المصطلحات العلمية ، وما يشجعنى على المضى فى الدعوة إلى الاستفادة بأقصى قدر ممكن من سبل النحت المختلفة لإغناء اللغة العربية العلمية وتمكينها من الأداء العلمى السلس . يقول

(١) سليم النعيمى ، النحت ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٧٣ ، مجلد ٢٣ ص ص ٨٩ - ٩٩ .
(٢) عبد الكريم خليفة ، اللغة العربية والتعريب فى العصر الحديث ، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردنى ، عمان ١٩٨٧ .

الدكتور خليفة : " إنه على الرغم من اختلاف آراء المعاصرين فى التوسع باستعمال النحت فى اللغة الحديثة إلا أنهم يجمعون على أن النحت السائغ يزيد العربيةَ الحديثة غنىً " ، وهو يستنكر قول البعض بعدم الحاجة إلى النحت بحجة أن علماء العصر العباسى لم ينحتوا كلماتٍ علمية ، أو لأنه ممارسة نادرة فى العربية . ويقول : " إننا فى بعض الأحوال نعبر عن بعض المعانى العلمية بتراكيب متنوعة، فإذا كانت هذه التراكيبُ قصيرةً وسهلة يمكننا أن نستمر فى استعمالها على حالها ، أما إذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم أن ننحِتها من أجل تسهيل استعمالها وانتشارها ... ولقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على جعل النحت قياسيا لكى يستعمل فى مصطلحات العلوم ... ولكن مع ذلك كله مازال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد فى قبول قياسيته، وماز الوا يرون الوقوف به عند حد السماع . ونحن لا نرى فى هذا التطبيق إلا إعاقة لمسيرة اللغة فى الوقت الذى تبحث فيه اللغة عن جميع إمكاناتها وخصائصها لكى تستوعب طوفان الحضارة الحديثة ... وربما كان من المفيد أن نفتح باب القياس فى النحت على مصراعيه، على أن يراعى فيه أوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تأليفها " ، ا هـ .

محمد يوسف حسن

عضو المجمع



تأليف المُتون الدراسية مُبرمَجةً بالعربية

للأستاذ الدكتور كمال دسوقى

١ - حركة تعريب المُصطلحات تُواكب مهمّة إصدار المؤلفات :

يُستشَف من قراءة عنوان هذا المقال بلفظَى الصدر والعَجز (التأليف بالعربية) أننا نشير لضرورة تجاوز أهداف مجامع اللغة العربية - خصوصا مجمع القاهرة الأم - غايات تعريب المصطلحات ، ونشر قوائمها ، واستكمال معاجم تعريف المصطلحات الخاصة بكل علم من العلوم ... التى قدرها الأستاذ الدكتور شوقى ضيف حتى ١٩٨٤ بستين ألف مصطلحا فى علوم : الطب (بجزئيه اللذَين ظهر ثانيهما سنة ١٩٩٠) بثمانية آلاف مصطلحاً ، والكيمياء والصيدلة (جـ١) بخمسة آلاف ، والأحياء والزراعة جـ١ (١٩٨٤) = خمسة آلاف (عدا الجزء الثانى الذى ظهر سنة ١٩٨٨) ، والفيزياء الحديثة (١٩٨٤) = ٤٥٠٠ مصطلحاً (عدا الجزء الثانى ١٩٨٦) ، والفيزياء النووية (١٩٨٤) = ١٢٠٠ مصطلحاً ... وهكذا فى علوم الرياضيات ، والهندسة ، والهيدرولوجيا ، والنفط والجيولوجيا ، والجغرافيا ، والقانون ، والاقتصاد ، والتاريخ ، و الفلسفة والعلوم الاجتماعية والتربية وعلم النفس ، والمعالجة الالكترونية للمعلومات ، وألفاظ الحضارة والفنون ... ثم - فى محاضرته القيمة " حول توحيد المصطلحات العلمية " بمؤتمر المجمع التاسع والخمسين (١٢ - ٢٦ نيسان /ابريل ١٩٩٣) أورد شيخ المعاجمة أحمد شفيق الخطيب ثبتاً بالمعاجم الموحدة فى مؤتمرات التعريب منذ ١٩٧٣ حتى ١٩٨٨ يصل بعدد المصطلحات الموحدة إلى ٤٧٣ ، ١٠٧ فى سبعة وثلاثين معجما فى مختلف العلوم

---

* ألقى البحث فى الجلسة السابعة للمؤتمر المنعقدة مساء يوم الأحد ٢٢ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

والفنون الأساسية الإنسانية والكونية ... كما أوردتها مجلة اللسان العربى بعددها الرابع والثلاثين - هى معاجم : الحيوان ، الفيزياء ، الكيمياء ، النبات ، الرياضيات ، الجيولوجيا ، الجغرافيا ، الفلك ، التاريخ ، الفلسفة والمنطق وعلم النفس ، الصحة وجسم الإنسان ، الرياضيات البحتة والتطبيقية ، الكهرباء ، هندسة البناء ، المحاسبة ، التجارة ، النجارة ، البترول ، الحاسبات ، الفيزياء النووية ، التربية ، الاجتماع والانثروبولوجيا ، اللغة واللسانيات ، الألعاب الرياضية ، الاقتصاد ، الموسيقى ، الآثار ، القانون ، السكك الحديدية ... سواء ماصدر منها بأعداد قليلة ومالم يطبع مُستقلا ويصدر الآن مدمجاً فى مجلدات أو معاجم أخرى أو تكفَّل بطبعه منظمة عربية أو اتحاد أو مركز عربى ..

إلى هذا الحد ازدادت توسعاً وتفصيلاً - مابين تقريرى شوقى ضيف (١٩٨٤) وشفيق الخطيب (١٩٩٣) - معاجم مصطلحات فروع وموضوعات مباحث العلوم والفنون التخصصية الدقيقة - بما لزم معه حصر هذه المعاجم كلها فى معجم خاص للتعريف بها . ففى أحدث إصدارات مكتبة لبنان (بيروت ١٩٩٣) رصد الأستاذ وجدى رزق غالى فى "معجم المعجمات العربية " - على سبيل الحصر ، مع الاقتصار على المطبوع دون المخطوط ، أو ما نشر بالدوريات أو ألحق بنهايات الكتب مؤلفة أو مترجمة ... جميع المعاجم العربية - أى التى لغتها كلها العربية ، أو التى لغتها أجنبية وتعتبر اللغة العربية جزءاً من تغطيتها - سواء العام منها (الذى يتناول ألفاظ لغة وشرحها باللغة نفسها) والمتخصص (أحادى اللغة أو ثنائى أو ثلاثى أو متعدد اللغات) الذى يتناول مفردات مصطلحات علم أو مجال معرفة متخصص فيشرحها بلغة أخرى أو أكثر - وبصرف النظر عن تاريخ أومكان النشر ابتداء من أول معجم عربى لبدرو دى ألكالا المطبوع عام ١٥٠٥ (إسبانى عربى مع مقدمة فى اللهجة العربية العامة بغرناطة ، ٢٢ ألف كلمة مرتبة هجائيا لكل حرف ثلاث مجموعات الأفعال والأسماء وأسماء الأفعال داخل كل مجموعة) ... حتى آخر ما طُبع عام ١٩٩٢ وأوائل ١٩٩٣ قبل أن يمثل معجم

المعاجم هذا للطبع ؛ فأحصى بالمعجمات المتخصصة بالقسم الثالث من مُعجَمِه هو ٨١٩ معجما (من رقم ٦٤٥ حتى ١٤٦٣ ، ص ص ١٢٠ - ٢٢٦) فى علوم وفنون : الآثار ، الاتصالات السلكية واللاسلكية ، الاثنولوجيا ،.(علم) الاجتماع ، الاحصاء ، الأحياء ، الاخلاق ، إدارة الأعمال .. الأزياء ، الإسعاف ، الأسماك والسماكة ، الأطعمة ، الإعلام ، الأفران ... الاقتصاد ، الآلات ، الألعاب ، الالكترونات ، ... البلاستيك ، البناء ... التبريد والتكييف ... التغذية ، التكنولوجيا ... الجمارك ، الجيولوجيا ، الحاسب الآلى ، الحج والعمرة ، الحديد والصلب، الحشرات ، الحيوان ، الخدمة الاجتماعية ... الراديو ... السفن ... السيارات ... السينما ، الشرطة ، الشهر العقارى ، الطاقة ، الطباعة ، الطرق ، الطيران ... العسكرية ، علم النفس ، العمارة العمل والعمال ، غريب القرآن ... الفضاء ، الفقه ، الفلسفة ، الفلك ، الفهرسة ... الفولكلور.. القرآن ، الكمبيوتر والمعلوماتية.. اللحام ، اللدائن ، المرأة ، المرافق العامة ، المركبات ، المساحة ، المسرح ، المسيحية ، المصارف والصيرَفَة ، المكتبات والوثائق ، الملابس ، المواصفات القياسية ، المؤتمرات ... المياهيات ... النسيج ، النفط ، النقل البحرى، الهيدرولوجيا ،. الوسائل السمعية والبصرية ... مائة وخمسة وأربعين تخصصاً مُعجمياً دقيقاً موزعة على مائة وسبع صفحات بِمَدَى من معجم واحد إلى بضعة عشر معجماً للتخصص الواحد ، وبتعريف بالمؤلف أو المؤلفين أو الهيئة القائمة بالتأليف ، وبمكان وسنة النشر ، وعدد الصفحات ، والاسم باللغة الأجنبية للغلاف ، وإجمالى عدد المصطلحات وطريقة عرض المحتوى ومايتميز به على سائر القواميس من نوعه ... ومن مجرد ذكر العنوان إلى شرح ذلك كله فى عدة أسطر .

ونتساءل بعد كل هذا الحشد الهائل من معاجم مفردات ألفاظ وتعاريف مصطلحات العلوم والفنون ؛ ما الذى يُعوز المشتغلين بالترجمة فالتأليف للتعليم والدرس فى المائة والخمسة والأربعين تخصصا دقيقا (غير ما يستجد من

معاجم) ، وقد تم تطويع وشحذ أداة العمل فى نقل العلم الغربى إلى الدارسين العرب ، وتحقّق منذ زمن مبكر وجود النص الدراسى المعتمد بكافة مستويات تدريس المادة بسنوات المعهد أو الكلية الجامعية ؟ لاشئ فيما نرى غير الشعور بالحاجة الملحة وفرض ضرورات الأمر الواقع ، وتقديم الأهم على المهم من أغراض إنشاء المجامع . فالمجمع العلمى العربى السورى الذى انبثق خلال عام واحد عن لجنة للتأليف والترجمة والنشر (١٩١٨ - ١٩١٩) قد اهتم بتقديم غرض " إيجاد الكتاب العلمى المؤلف أ و المترجم بلغة وإخراج جيد يقطع الطريق على التردد والتشكك فى تعريب العلوم لغرض التدريس الجامعى " . وفى هذا : " اختارت وزارة التعليم العالى بدمشق عدداً من المؤلفات العلمية الموثوقة لترجمتها بالتعاون مع الجامعيين ، وأصدرتها (ملحقا بكل منها قوائم بالمصطلحات العلمية المستعملة فى الترجمة) تسعة عشر كتاباً : فى الكيمياء العامة (جزءين) والكيمياء الفيزيقية (جزءين) والفيزياء النظرية (جزئين) والرياضيات العالية (خمسة أجزاء ، ١٣ قسما) ، الأتجاهات الجديدة فى تدريس الكيمياء - منشورات اليونسكو (فى جزئين) ، دليل مركب التدفئة (عن الفرنسية) ، دليل مهندس التدفئة (عن الألمانية) ، تصميم الجسور لطرق السيارات (عن الروسية) ، علم الطفيليات للأطباء البيطريين ، مقاومة المواد ، المدخل فى انتقال الحرارة والمادة ، تطبيقات مطيافية الامتصاص على المركبات العضوية ، محاضرات فاينمان فى الفيزياء - فى ثلاثة أقسام : (الميكانيك ، الضوء والإشعاع ، الاهتزازات ، الثرمودياميك) ؛ التعويض الكامل فى طب الأسنان ، الثيرموديناميك الهندسية وانتقال العمل والحرارة (عن الانجليزية فى قسمين) ، دروس فى الفيزياء - الثيرموديناميك والحرارة (عن الفرنسية فى قسمين أيضا) ، الرياضيات العامة (فى قسمين : الجبر والتحليل) ، الطرائق العدّدية للعلميين والمهندسين ، وأصول الهيدروليك الهندسى ، ... هذا فى مجال الكتب الدراسية العلمية وحدها - بالإضافة إلى ترجمات كتب

الدراسات الإنسانية التى لا تدخل تحت حصر .

ويتأكد هذا الاتجاه الدمشقى الذى يرمى إلى مواكبة تعريب مصطلحات العلوم فى ثنايا تراجم النصوص الدراسية عن الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الروسية لحركة تعريب التعليم الجامعى ، دون اقتصار على قوائم المصطلحات أو انتظار الفراغ من إعداد معاجم تعريب أو تعريف المفاهيم الكلية للماصدقات ... يتأكد هذا الاتجاه الدمشقى إلى العناية بالتأليف المترجم أول الأمر للكتب العلمية (معتمَدة فى جامعات البلاد التى ينقل عنها) فيما أصدره المجلس الأعلى للعلوم فى دمشق أيضًا - مثل المدخل لعلم الجيولوجيا ، الصخور الرسوبية ، الفيزياء العامة التجريبية (عن الفرنسية فى جزأين : الكهربية الراكدة ، التيارات المتواصلة المغناطيسية) ، الفيزياء العامة التجريبية : (عن الفرنسية أيضا فى جزأين : التيارات المتناوبة ، الامواج الهرتزية) ، الفيزياء العامة التجريبية : الأخيلة الضوئية (فى جزأين) ؛ الفيزياء العامة التجريبية : الضوء (فى جزأين) - وكلها مذيلة أيضا بقوائم المصطلحات المستعملة فى الترجمة (د. شكرى فيصل : المؤتمرات والندوات التى عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعى فى مجالات المصطلح العلمى والترجمة والتأليف ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد الثامن ، سبتمبر/ أيلول ١٩٨٠ ص ص ٥٤ - ٥٥ ، ٦٥ - ٦٦) .

كذلك كان الشأن فى مجمع اللغة العربية الأردنى بعد قيامه مجددا عام ١٩٧٦ برئاسة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة . " ففى نطاق حملة تعريب التعليم الجامعى العلمى ، وإعمالا للفقرة التاسعة من مهام مجلس المجمع التى تؤكد عل سياسته الرامية إلى تعريب التعليم العلمى الجامعى ودعم الجهود فى هذا المجال عن طريق الترجمة أو التأليف ؛ أصدر مجمع اللغة العربية الأردنى مابين ١٩٧٩ ، ١٩٨٧ ثمانية عشر (منشوراً) قام بترجمتها أو مراجعتها أو الإشراف على الترجمة أعضاء المجمع الأجلاء على النحو التالى : فى حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية - جزأين) ، البيولوجيا (فى جزأين) ، الجبر المجرد بطريقة التعلُّم الذاتى النشط ، الجيولوجيا العامة ، الكيمياء العامة ، الكيمياء

الحيوية للخلية وعلم وظائفها ، الكيمياء غير العضوية (فى جزأين) ، الفيزياء الكلاسيكية والحديثة (فى ثلاثة مجلدات) ، مبادئ المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها ، مبادئ التحليل الرياضى ، مقدمة للتكوين الجنينى ، مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة ، الكيمياء التحليلية (التقرير السنوى الخامس عشر حول منجزات مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٩١ ص ص ٤١ - ٤٣) .

وكان المجمع الاردنى قد أفرز فى وحدة حاسوبه ٢٩,٢٦٤ ألف مصطلح مما أقرته المؤسسات العلمية والتقنية على مستوى الوطن العربى منذ الثمانينيات فى خمسة عشر كتابا هى معاجم الفيزياء الحديثة (٢٣٨٦ مصطلحا) والكيمياء والصيدلة لمجمع اللغة بالقاهرة ١٩٨٣ (٢٩٤٣ مصطلحا) ، الموحَّد لمصطلحات النفط ، مكتب تنسيق التعريب ١٩٨١ فى ثلاثة أجزاء (٣٩٤٣ ، ٤٠٥١ ، ٢٠١٦ مصطلحا بكل منها على الترتيب) ، معجم الجيولوجيا لمجمع القاهرة (ط٢ ، ١٩٨٢ ، ٤٣٦٥ مصطلحا) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة بالقاهرة (الطبى منها فى علوم الصحة والأمراض والجراحة والباطنى والأسنان وأمراض النساء والتوليد والبكتريا والطب الشرعى والطب والتشريح والرمد ...) ، فألفاظ الحضارة الحديثة (للثياب وفنون التصوير والرقص والموسيقى والسينما ...) ، فمصطلحات التمريض ، وقص الشعر والتجميل ، ومصطلحات الحاسوب والطاقة النووية للمركز العربى للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (اكتاب ١٩٩١ فى ٣٨٥ مصطلحا) ، والصناعة والخراطة وعلم البيئة / تلوث الهواء (١٩٧٩ ، ٥٢٤ مصطلحا) .

٢ - التعريب بالترجمة توطئة للتأليف والتمتين فالإضافة والابتكار :

وسواء الاستغراق فى إعداد قوائم فمعاجم مصطلحات تعريب العلم الغربى ليستعين بها المترجمون والمؤلفون ، أم المبادرة بترجمة المراجع الاساسية الأجنبية فى كل علم من العلوم مما يدَّرس بالكليات الجامعية والمعاهد العليا بالخارج إلى العربية مع إلحاق قوائم المصطلحات بنهاية المرجع أو إيراد المفردات الاجنبية فى سياق النص العربى ؛ أو حتى بدون هذا الإلحاق أو الإيراد ؛ فمن الواضح أن الترجمة كتوطئة للتأليف من أجل التدريس كانت الطريقة المثلى لسد حاجة الدارسين العرب العاجلة

إلى المرجع العلمى المعتبر فى الخارج كمستوى تحصيل معترف به - مما له مزية البتّ نهائيا فى حسم قضية التعريب عندنا ؛ وعندهم وهم يعترفون بالشهادة الجامعية مؤهلا للابتعاث للدراسات العليا مادام المبعوث لاتنقصه إجادة القراءة والكتابة بلغتهم الأجنبية التى كثيراً ما تفوّق على أبنائهم هم فى استيعاب مراجعها وكتابة اطروحته بها .

وواضح أيضا أن تناول العلم العربى مترجما إلى العربية كان يتسم بالحماسة والنخوة القومية فى بلاد الاستعمار الفرنسى العربية شرقيها وغربيها أكثر منه فى بلاد الاستعمار البريطانى لما حاول المستعمر الفرنسى فرض طابعه الثقافى على حياة المغاربة قبل المشارقة وقد أدمجهم بالقوة فى الفرنكفونية وقطع صلة المتعلمين منهم بماضى وحاضر بلادهم الثقافى والتعليمى - وكأنه لن يغادر يوما البلاد التى استعمرها مهما انتهى عصر الاستعمار واستقلت وتحررت الشعوب ، أوقررت سوريا فى منتصف الأربعينيات والجزائر منتصف الستينيات ايقاف التعامل باللغة الفرنسية تعجيلا لحركة التعريب والتسيير الذاتى فى التخاطب والتراسل بالدواوين والمكاتب الحكومية فى البيت والمدرسة والجامعة والأماكن العامة .

بهذا عمدت الأقطار التى بادرت بنقل العلم الغربى إلى العربية إلى " أخذ الطريق المختصر إلى استنهاض الأمة للقيام بدورها فى تداول الحضارات» . فإن تكن البداية الصحيحة للحضارة العربية الاسلامية فى الماضى هى نقل تراث العالم القديم عن الاغريق والرومان والفرس والسريان ... لطب بقراط وجالينوس ، ومنطق أرسطو وفلسفة سقراط وافلاطون ، ورياضيات اقليدس وفيثاغورس ، وفلك بطليموس ، وطبيعيات أرشميدس ... تمهيدا للإضافة والابتكار فى الجومطريقا والاسترونوميا والميتافيزيقا والارثما طيقا والماتيماطيقا ... للتدريس فى المساجد الجامعة بشتى أنحاء الإمبراطورية الإسلامية : المنصور فى بغداد ، والأموى فى دمشق ، والأزهر بالقاهرة ، والقيروان بتونس ، والقرويين بالمغرب ، وقرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير فى صنعاء ... ثم كانت البداية الصحيحة للنهضة الأوربية الحديثة سلوك نفس طريق نقل التراث العربى العلمى إلى اللاتينية ومن هذه إلى اللغات الأوربية التى تفرعت عنها فى

الدول القومية الأوربية والانجلو سكسونية ، واعتماد مؤلفات العرب العلمية والفلسفية للتدريس بالجامعات الاوربية فى ترجمتها اللاتينية طوال قرون قبل التأليف على غرارها بإضافات مبتكرة وتجارب حديثة يسّرها تقدم طرق وأدوات وأجهزة البحث العلمى ووسائل طباعة ونشر المؤلفات والبحوث فى كل علم وفن ... " فليكن سلوك نفس الطريق هو سيلنا لاسترداد نهوضنا برسالتنا الحضارية التى يفرضها علينا دورنا فى عالم اليوم الذى نعيش فيه كأمة عربية موحدة لاتنقصها الثروات المادية والبشرية التى يخطب ودها ويتقرب إليها العالم الصناعى الغربى لدعم اقتصادياته وتبادل علومه وتكنولوجياته التى شارك فى النهوض بها علماء عرب هنا وهناك ويقود سياسة التعاون والاستفادة بها فى المحافل الدولية والاقليمية ساسة وزعماء العرب (عبد الحليم منتصر ، المؤتمرات والندوات التى عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعى فى مجالات المصطلح العلمى والترجمة والتأليف ، مجلة اتحاد الجامعات العربية عدد خاص ١٩٨٠ ص ص ١٩ - ٣٩) .

وإذا كانت المبادرات المبكرة بترجمة أمهات الكتب العلمية العالمية فى شتى فروع العلم والتكنولوجيا إلى العربية بدافع تخليص نظم التعليم من لغة المستعمر وتحرير العقل العربى من تغريب فكره وثقافته ... قد جاءت بجهود فردية مخلصة لأساتذة أجلاء جمعوا بين التبحر فى كنوز الفصحى وإجادة اللغة الاجنبية التى بها تعلموا وعنها ينقلون - خصوصا الفرنسية فى المغرب العربى ولبنان وسوريا ، والانجليزية فى الأردن والعراق ومصر ؛ فإن مواكبة ترجمات هذه النصوص الدراسية لجهود لجان التأليف والترجمة والنشر بالمجامع اللغوية العلمية (والمنظمات والهيئات التى سبقت الاشارة إليها) لتنسيق وتوحيد مصطلحات هذه العلوم وما تمخضت عنه لقاءاتها وندواتها ومؤتمراتها من ترسيخ لقواعد التعريب وتيسير لوسائل التقدم العلمى آخر الأمر ... كفيلة بالتغلب على مشكلات تضارب الاصطلاح الراجعة فى كثير من الأحيان إلى طبيعة

اللغتين الإنجليزية والفرنسية حين نعرب لفظا مختلف المعنى وإن اتحد المبنى بنفس اللفظ العربى فى الحالين بما لا يوافق سياق النص المترجم ، أو لشيوع لفظ عربى دارج فى هذا القطر العربى أو ذاك ترجمة حرفية للفظ أجنبى سائد ويفضل الأخذ به لسهولة الفهم ، أو للحماسة بدلا من ذلك لإزالة كل أثر للفظ الأجنبى المعرب مادام يمكن التنقيب فى التراث .عن بديل أو يمكن اشتقاق أو نحت لفظ عربى أصيل ... مما أفرز تباينات التعريب بين مختلف الأقطار العربية ولايزال . إن تجاوز الاجتهادات الفردية المخلصة الأمينة فى التأليف والتمتين بناء على هذه الترجمات بمعرفة اللجان الدائمة المتخصصة فى التأليف بمختلف العلوم والفنون باللغة العربية التى طالما نودى بالإكثار منها بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (عبد العزيز بن عبد الله : اللغة العربية وتحديات العصر ، اللسان العربى ، مجلد ١٣ ، ١٩٧٦ ص ص ١٣ - ١٤) من شأنه أن يزيل أية فروق ترجمة لغوية أو إقليمية محلية أو اجتهادية شخصية كى تتوحد نصوص المؤلفات العلمية كما توحدت المصطلحات . وفى اعتقادنا أن اللجان العلمية التى تحملت عبء صوغ المصطلحات واعداد قوائمها واصدار معاجمها وتبادل عرضها للموافقة عليها والالتزام بالأخذ بها فى سائر المجامع اللغوية العلمية واتحادها ... هى الأقدر على تأليف الكتاب العلمى الأساسى المتين الذى يعتمده اتحاد المجامع العربية مقرراً دراسياً لكل مادة مما يدرس فى جامعاتنا .

وطبيعى ، فإن نقل العلم الغربى مترجما إلى العربية ليس إلا بداية مؤقتة ونقطة انطلاق إلى التأليف فى موضوعات العلم ومادته الدراسية . فالاستاذ من كثرة ما يحاضر فى هذه الموضوعات سنة بعد أخرى يلزمه أحيانا التلخيص والإيجاز بالحذف والإضافة ، والشرح والتفسير والنقد والتعليق ... بما يمكنه بعد بضع سنوات من أن (يؤلف) مما توفر له من اطلاعات على مراجع أخرى فى الموضوع (عربية وأجنبية) نصاً دراسياً أسلس عبارة وأفصح فكراً وأشمل عرضا لمختلف وجهات النظر إلى العديد من الآراء والمذاهب والنظريات ... ليصبح آخر الأمر ماتنا (أى

صاحب متن) وليس مجرد (شارح) للنص المترجم - أى يستطيع تمتين أصول العلم تراكيب ومفردات ، ويُقـيم صلب المتن الدراسى بما يكسـوه من لحم وعصب فلا تلحقه أو الدارسين فى استيعابه مشقة ولا كلفة . ومتى ألِف الدارسون استظهار المتن الدراسى المتين هذا - أى القوى الشديد بلاعناء أو تكلف ، فما أيسر ما يستطيعون على السجية الاضافة إليه أو التعديل فيه بما يؤيده أويخالفه فى قراءات متون أخرى وحواشى وشروح تلك المتون التى يستهويهم التنقيب عنها فى مظانها ليدونوا مايثبت اطلاعهم عليها وتكوين آرائهم الخاصة فيما يتصل بصحتها أو بطلانها ... وفى كلمة واحدة يتسنى لهم الانتقال من التلقى والتحصيل إلى إعمال الفكر والتمحيص والبحث والاستقصاء وصولا إلا الحقيقة واليقين . فكذلك كانت الحال فى حلقات الدرس بالأزهر الشريف والمساجد الجامعة الأخرى فى كل أرجاء العالم العربى الناهض - حيث يعد طالبُ العلم نفسَه (مثل الاستاذ) لمناقشة شُروح وحواشى المتن فى (التعيين - as signment) الذى اتفق على تحضيره معا للقاء القادم استكمالا لحلقة النقاش السابقة ، وكانت هذه الطريقة الأزهرية الرائدة فى تدارس علوم اللغة والفقه والتوحيد والاصول والمنطق ... هى التى تحث على (الاجتهاد) الذى لايقفل بابه الا فى عصور الركود والانحطاط وإنما يتخرج فيه الائمة المصلحون بعلوم الدين والدنيا الأعلام ... لا كما يحدث الآن حيث يتوافد طلاب العلم إلى قاعة الدرس ليتلقوا العلم بالسماع عن المحاضر ربما فى شرود ذهن وخلو بال ، ثم قد لايعودون (لاستذكار) المقروء من المتن الاقبيل الامتحان بأسابيع وأيام وقد انمحت من ذاكرتهم تفاصيل الشروح والمناقشات وما يكونون قد دونوه لأنفسهم من نقاط تذكير برءوس موضوعات .

على قوة المتن الدراسى إذن فى عرضه لأصول وتفاصيل المادة العلمية على عقول الدارسين ومداركهم يتوقف انطلاق هؤلاء من الإلمام بها واستيعابها إلى البحث والاستقصاء والاجتهاد من التجديد والاستنباط ، كما على طريقة التدريس التى تجعل الطالب طرفا مشاركا فى التحضير لا مجرد مُتلقى قابل يكون الايغال فى الكسب والتحصيل المؤديين إلى الاضافة والابتكار - لا فى العلم الغربى المستفاد فحسب بل فى العلم العربى المكتسب

ذاته . فما دام المؤلَّف الدراسى العلمى معروضاً بعربية سليمة سهلة الفهم والاستيعاب ، مشفوعا بإيراد المصطلح الأجنبى فى سياق النص أو ملحقاً به مسرد عربى أجنبى لما ورد فى أثنائه من مصطلحات (كما سبق لنا اقتراح ضرورة أن يُسعف تعريبَ التعليم العالى تدريسُ معجم مصطلحات مادة التخصص الموحد فى بحث العام الماضى لمؤتمر المجمع) ؛ فإن طلاب الدراسات العليا الذين إنما يجىء تفوقهم على أقرانهم ثمرة استظهارهم للنص العربى مقترنا بلغته الأجنبية ؛ يمكنهم مداومة الاطلاع على مايصدر من بحوث ودراسات أجنبية حديثة تنشر بالمجلات العلمية أو تلقى بالندوات والمؤتمرات الدولية فى التخصص الدقيق ليتابعوا البحث ويلحقوا بالركب وينشروا بنفس المجلات ويلقوا بنفس المؤتمرات الأجنبية بحوثهم المبتكرة واكتشافاتهم العلمية فى كل فروع العلم ونظرياته وتطبيقاته ... التى أهلت الكثيرين من نوابغ الأطباء والرياضيين وعلماء الفضاء والذرة والجيولوجيا والفلك والبيئة ... العرب لأن يحتلوا ببحوثهم المعترف بتفوقها مراكز الصدارة فى أرقى بلاد أوربا وأمريكا وفى المنظمات الدولية ويتولوا رئاسة الجمعيات والهيئات العلمية العالمية والأمم المتحدة التى تصاغ بياناتها وتقاريرها وخطاباتها وإعلاناتها إلى شعوب العالم وحكوماته بكل اللغات الحية المعترف بها صياغة موحدة لاتخطئ ترجمة لفظة واحدة فيساء تفسيرها والعمل بمدلولها فى فهم أهل تلك اللغة كطرف فى منازعات دولية .

٣ - الكتاب الجامعى لاينهض بالتعليم العالى نُهوضَ الكتاب المدرسى بالتعليم العام :

لم يكن انصراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ البدء عن الاضطلاع بمهمة تعريب أمهات الكتب العلمية الأجنبية راجعا لاستهدافه فى المقام الاول تذليل لغة الكتابة العلمية للمؤلفين والمترجمين وتلبثه إلى حين تنسيق وتوحيد المصطلح العلمى على مستوى الوطن العربى كله ، لا ولا إلى إنشغاله نيفا وعشرين سنة منذ مرسوم انشائه (١٩٣٢) باستغراق لجان أصول اللغة ، واللهجات ، والألفاظ والأساليب ، والأدب ، وإحياء التراث

... بإعداد وإصدار معاجم اللغة الوسيط والوجيز والكبير ، وألفاظ القرآن الكريم ، ومجموعة القرارات العلمية فى أصول اللغة والألفاظ والأساليب ، ونشر كنوز التراث العربى : عجالة المبتدى وفضالة المنتهى ، والتكملة والذيل والصلة (ستة أجزاء) ، وديوان الأدب للفارابى (أربعة أجزاء) ، وكتاب الافعال (أربعة أجزاء) ، وكتاب الجيم (أربعة أجزاء) ، والتنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح (جزءان) ، وكتاب الإبدال ، وكتاب الشوارد ... بوصف أن مجمع القاهرة تطور كمجمع لغة لا مجمع تأليف وترجمة - مهما تكن بقية اللجان الخمس والعشرين قد تشكلت به وجدَّت فى إعداد معاجم المصطلحات العلمية منذ منتصف الخمسينات ... (إبراهيم الترزى ، التراث المجمعى فى خمسين عاما (١٩٣٤ - ١٩٨٤) ... فالراجح من الرأى أن مجمع القاهرة لم يواجه مشكلة تعريب المراجع العلمية الأساسية لغرض التدريس الجامعى لأن أساتذة الجامعة المصرية الآباء - فى استقلالها عن وزارة للتعليم العالى أو للبحث العلمى لم تكونا قد أنشئتا وتراوح وجود الواحدة أو الأخرى بعد أن تعددت الجامعات - كانوا يُعرِّبون من تلقاء أنفسهم المواد التى يحاضرون فيها بالسرعة الإملائية للإلقاء ويدونها الطلاب لينطلقوا بها إلى المكتبة للاستزادة والاطلاع فلا يتميز إلا الطالب الذى دعم مذكرات الأستاذ بقراءاته الخاصة فيما أحالهم إليه أو عثروا هم عليه من مراجع أجنبية .

وللحق أيضا فإنه حتى عهد قريب لم تكن الجامعات المصرية تعرف ما يسمى المتن أو المقرر - سواء فيما تم تعريبه من محاضرات الأساتذة ونشر فى كتاب وفيما كان لايزال يدرس باللغة الأجنبية ويعتمد الاستاذ فى تدريسه أحَدَ المؤلفات الاساسية (فى التشريح أو الفيزيولوجيا أو الكيمياء) ففى جميع الأحوال كان لاغنى عن رجوع الطالب إلى مصادر ينهل منها بنفسه ترجمة أو تأليفا ذاتيا لتكون له (مذكرته) الخاصة به ولإعداد بحث (أعمال السنة) فى المادة (كمال دسوقى ، مقومات تعريب التعليم الجامعى فى مجال العلوم

الإنسانية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية عدد ١٨ ، سبتمبر / أيلول ١٩٨٠ ص ص ٨٩ - ١١٢) .

غير أن هذه التقاليد الراسخة فى تعريب تدريس العلوم الحديثة بالجامعات قد عصفت بها مع الأسف سياسات التعليم منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ والتوسع الكبير فى قبول أعداد الطلاب الذين لا تتسع لاستيعابهم قاعات البحث بل مدرج المحاضرات - فضلا عن أن يستطيع الأستاذ المحاضر التعرف على أسمائهم لمتابعة استفادتهم إن هو استطاع أن يوصل إلى عقولهم واقلام كُتّاشاتهم صدى مكبرات الصوت فى آذانهم . وحيث لم يعد ممكنا أن يعلق على باب مكتبه قائمة بأسماء مراجع المادة التى سوف يستزيد منها الطلاب أو يطلعوا عليها لإعداد مايكلفهم به من أبحاث (لم تلبث أن استُغنِى عنها لعدم إمكان تصحيحها أو جدوى مقابلة الطالب لمناقشته فيها) ، ولما كان الأستاذ يكتشف فى أوراق إجابة الامتحان أخطاء سماع بعض عباراته أو تدوين مصطلحاته رغم محاولة الطلاب استعارة كراسات بعضهم البعض للمراجعة والتصحيح ؛ فقد نزل الأستاذ على إرادة الطلاب أن تجمع محاضراته فى كتاب يطبعونه على نفقتهم كمذكرات أو يعهد هو به إلى ناشر يوزعه ، فيستريح الاستاذ من بح صوته فى المحاضرة والطلاب من التدوين بسرعة ودون فهم مع الخطأ وترك فراغات قد لايتم ملؤها من كراسات أى من الزملاء . وبالتدريج أصبح (الكتاب المقرر) كل بُغية الطالب فهو يسعى لاقتنائه بأن ثمن (أو يشترك فيه كمّلازم) منذ بدء الدراسة ليُعفيه من الانتظام بالمحاضرات حين لايجد مقعدا ، وربما لايطالعه أو يطلع عليه إلا لإثبات (المقروء) منه . الذى ركز عليه الأستاذ فى محاضراته على أنه (سيجئ منه الامتحان) وما هو (مشطوب) أو محذوف لم يتسع وقت الأستاذ لتدريسه فأعفاهم منه . ومع الوقت أيضا أصبح عائد توزيع الكتاب المقرر على آلاف الدارسين على الاستاذ - ربما فى اكثر من كلية أو معهد - مصدر دخل يجزى عناء التأليف والتمحيص والتعديل والتنقيح سنة بعد أخرى ، وحرص الناشرون على أن لا يتبقى

من طبعة هذا العام ما لا يمكن توزيعه مع طبعة العام التالى المجددة ، والأستاذ على أن يقتنى طلاب كل دفعة طبعة عامهم الجديد ولوكانوا راسبين فى طبعة (مقرر) العام السابق ...

ولقد أضفَت الدولة مشروعية حق الأستاذ فى تأليف كتبه الدراسية تعويضا له عن عدم الوفاء برفع المرتبات والمكافآت إلى الحد الذى يرقى لمستوى المعيشة اللائق والمحافظة على المظهر المرموق ... إلى حد إعفاء الكتب من الضرائب ودعم الكتاب الجامعى بإنشاء مطابع جامعية تهبه حق التأليف وتوزع الكتب على الطلاب بثمن التكلفة مضافا إليها المصاريف الإدارية - حتى لايلجأ الأساتذة للخروج فى إعارات للخارج أو يعمد مساعدو التدريس لإعطاء الدروس الخصوصية (التى اعترفت بها وزارة التعليم ونظمتها كمجموعات تقوية وتتقاضى عنها ضرائب ... برضى الآباء أنفسهم لعدم استفادة أبنائهم من التعليم المدرسى) . ولما كانت مطابع كل جامعة لاتقوى على إصدار كل كتب أساتذتها - إن هم قنعوا بحق التأليف الرمزى ولم يستمروا فى الطبع الخارجى ، الأوفر عائدا بكثير ، وضعت قواعد تقدر ثمن بيع الكتاب بقدر عدد الملازم مضروبا فى فئة معينة لكل ملزمة (طبع عربى أو انجليزى) فى حدود عدد ساعات تدريس المادة أسبوعيا ... لكن تكاليف الطباعة واسعار الورق تتزايد عاماً بعد آخر ، ويتأخر تسليم (المذكرات) للطلاب إلى قبيل موعد الامتحان ... ولاتنقطع الشكوى من عدم استفادة الطلاب بالدعم أو بتوفير الوقت الكافى للاستذكار . وحتى عند هذا الحد لا يزال (المتن الدراسى) للاستاذ هو الذى يدرس بالفرق الاولى وعضو هيئة التدريس يحاضر للأعداد القليلة بدبلومات الدراسات العليا حتى تنقضى ثلاث سنوات على تعينيه مدرسا ويصبح له حق التأليف باسمه على غرار كتاب أستاذه الذى هو إنما يقوم بالتدريس (من باطنه) ، فحتى مع اقتصار تحصيل الطلاب على كتاب أستاذ الكرسى ولو على يد مساعديه لازال مستوى التحصيل يوفر الحد الأدنى من التكوين العقلى للطالب فى دراسته للحقوق أو المحاسبة أو الإدارة أو الاقتصاد أو

الاحصاء أو طرق البحث ... التى لاتزال تحتاج لتدريبات عملية أو تطبيقات تكفى للممارسة والاشتغال عقب التخرج .

وحين تتضخم الكثافة الطلابية بالجامعات المركزية إلى حد الانفجار وتنوء جامعة القاهرة بمائة وسبعين ألف طالب وعين شمس فالاسكندرية وأسيوط كل منها بمائة وأربعين ألفا تنشأ عند مطلع السبعينات الجامعات الإقليمية حتى تصل إلى اثنتى عشرة جامعة تتبع كل منها الجامعة الاقرب إليها لتمدها بهيئات التدريس المنتدبة فيما تهبه إياها المحافظات (المتهافتة على إنشاء جامعتها) بأبنية مجالس المديريات التعليمية القديمة ومدارس الزراعة المتوسطة ومستشفى وزارة الصحة لتكون مستشفى تعليميا إلى حين بناء مستشفى جامعى ، وتسارع كليات التربية والتجارة والطب والزراعة ... فالآداب والحقوق والهندسة ... إلى إلحاق شباب هيئات التدريس ببعثات داخلية أو إشراف مشترك لتكوين كوادر الهيئة العلمية الذين سيحملون العبء مع الأساتذة المنتدبين . غير أنهم ما إن يصبحوا مدرسين حتى ينسلخوا عن أساتذتهم ويَضيقوا بتدريس كتبهم التى تعلموا هم عليها (ولوترك لهم كل ما يعود منها ومكافآت تدريسها وامتحاناتها) وربما وزعوا من جانبهم مختصرات أو كراسات تمارين إضافية لحساب أنفسهم ويجئ منها الامتحان لكيلا يكتفى الطالب بكتاب الأستاذ . ويوم يستطيعون الاستقلال بالتأليف وهم ما تزودوا إلا بأبحاث رسائلهم التى حصلوا بها على الماجستير والدكتوراه فى موضوعات خاصة من دقائق التخصص ، فهم يأخذون عنها تلخيصات جزئية لاتعطى كل جوانب العلم ولكنها التى تحمل أسماء هم كمباحث تغطى ما عمدوا إليه من اقتطاف فصول باكملها من مؤلفات أساتذتهم دون إشارة لأصحابها أغلب الأحيان (حتى لايرجع الطلاب إليها ويستغنوا عن الكتاب الذى ألفّوه ويدرِّسونه) . وحين يقع صراع على الأحقية فى تدريس مادة (لأحد أعضاء القسم فيها مذكرة دون الآخرين أو هو قد سبق له الكسب من توزيعها وعليه أن يتركها لغيره) تظهر مذكرات مجهلة من أسماء المؤلفين تحمل خاتم مجلس القسم

مطبوعة على أرخص أنواع ورق الصحف وآلات النسخ ومليئة بالأخطاء المطبعية والإملائية فضلا عن العلمية زاخرة بالحشو والتفاصيل التى تخرج عن الموضوع لتضخيم حجم المذكرة وسعر بيعها وسيعفى الطالب من دراستها بعد شراء الكتاب (الذى ستوزع حصيلة بيعه بما يجاوز كثيراً الأسعار المحددة للدعم على أعضاء القسم العلمى بنسبة درجاتهم العلمية ٣ : ٢ : ١) دون مسؤلية على أحد بالذات عن مستوى التأليف أو طريقة التوزيع أو اعتبار لحق الطالب فى أن يتسلم لقاء مايدفعه فيه علما نافعا أو مرجعاً يحتفظ به للاستفادة منه لما بعد الامتحان .

ومن المفارقات التى أضرت بأطراف التعليم الجامعى الثلاثة : الكتاب والأستاذ والطالب ، أنه كلما زادت وفرة عدد الأساتذة القائمين بالتدريس والتأليف للأعداد المتزايدة من الطلاب ، زاد تشعيب الأقسام العلمية وتفريع التخصصات الدقيقة للعلم العام الذى يتسمى به القسم : كيمياء جغرافيا ، رياضيات .. على نحو يتعين معه أن يتزود كل قسم بهيئة تدريس كافية لكل تخصص ، وأن تقبل كل شعبة عدد الطلاب الذى يفى بحاجات كل شعبة إلى تغطية تكاليف الإنفاق على تجهيزات العملية التعليمية ومنها توفير الكتب والمراجع والمجلات ، وزيادة عدد ساعات التدريس الأسبوعية بما يحقق ضرورة أن يستوفى عضو هيئة التدريس (نصاب) ٤ ، ٦ ، ٨ ساعات للأستاذ (الذى ارتفع إلى ٨ ، ١٠ ، ١٢) كحد أدنى يمكنه بعده اقتضاء أجر إضافى عن ساعات مكتبية تستدعى حضوره للكلية يومين على الأقل للقاء الطلاب والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية والأعمال الإدارية فتنغلق الأقسام العلمية على نفسها ، وليكون " زيتها فى دقيقها " تحتفظ لأعضائها بكل ما يؤجر عليه ندبا من أقسام أو كليات أخرى لتدريس اللغات أو الاقتصاد أو الإحصاء أو طرق البحث ... فيدرسها ويؤلف فيها غير مختصين . ولأضرب لذلك مثلا بما أعرفه ، أكثر من غيره عن قسم الفلسفة بكلية آداب جامعة القاهرة الذى تخرجت فيه منتصف الأربعينات الذى درسنا فيه تاريخ الفلسفة

بكل عصورها (٤ مقررات) والاجتماع (٣ مقررات) وعلم النفس (٣ مقررات) ، فالمنطق (٣ مقررات) والأخلاق والميتافيزيقا وعلم الجمال ... بما لايزيد على أربع عشرة ساعة أسبوعيا (فكان لدينا كل أسبوع يوم تفرغ كامل وبعض أيام أخرى خلال فترة الدوام من التاسعة إلى الواحدة صباحا لارتياد المكتبة والاطلاع حتى تقفل أبوابها فى الخامسة مساء) ... غير أنه للرغبة فى إفراد أقسام يرأسها أساتذتها الذين جاهدوا لفصل الدراسات الاجتماعية عن الفلسفة ، فعلم النفس عن الاجتماع ... نشأ قسم الاجتماع فى أواخر الأربعينات بالقاهرة ، واستقل علم النفس عن الفلسفة فى عين شمس وعن قسم الدراسات الاجتماعية بالقاهرة ، وأخيرا استقل قسم الانثروبولوجيا عن الاجتماع بالإسكندرية ، وإمعانا فى استقلال العلوم الاجتماعية التى لايستغنى الدارسون عن التزود بها جميعاً . حرصت لوائح إنشاء التفريعات الجديدة - توفيرا لسَنَد إثبات وجودها وتقرير قيامها بذاتها - على تفصيل مباحث (الاجتماع) و (علم النفس) ... إلى بضعة عشر فرعا لكل منها لايكاد يزيد مقرر الواحد منها عن أحد فصول العلم العام الذى يتسمى به القسم الناشئ وتتداخل من غير شك معالجة الموضوع الواحد المشترك دراسته فيهما كالاجتماع الصناعى وعلم النفس الصناعى ، الاجتماع التربوى وعلم النفس التربوى ، سيكولوجية وسوسيولوجية الشخصية والثقافة ... (كمال دسوقى ، دينامية الجماعة فى الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى ، الانجلو المصرية ١٩٦٩) - كل ذلك على حساب حرمان طالب كل قسم من دراسة مواد أساسية كالمنطق والفلسفة ومناهج العلوم أو تدريس الإحصاء والتشريعات والصحة النفسية والاجتماعية ... بندب أساتذة التجارة والحقوق والطب ...

ويزداد الأمر تفاقماً ، وطالبَ الليسانس أو البكالوريوس فى المرحلة الجامعية الأولى يجلس للامتحان فى بضع عشرة مادة (غير مايمتحن فيه شفويا) اعتماداً على مذكرات شوهاء فى تأليفها وإخراجها وانتظام بالمحاضرات ٣٤ ساعة لاتفى بها ستة أيام

الأسبوع ست ساعات يومياً ... حين تعمد وزارة التعليم العالى من حين لآخر الى جعل الدراسة والامتحان على فصلين - أملا فى صرف الطلاب عن الاشتغال بالسياسة ودفعاً لهم إلى الاهتمام منذ بدء العام بالتفرغ للاستعداد للامتحان الفصلى الذى سيجلسون إليه فيما لايجاوز أحد عشر أسبوعاً فى أحسن ظروف التحصيل واستيعاب المقررات (إن هم تسلموا المذكرات) ... بكل مافى ذلك من تجزئة المواد (المجزأة أصلا كموضوعات) ، واسبقية توزيع المواد على القائمين بالتدريس بأى من الفصلين بما يلائم ازدحام جداولهم أو فراغهم الكامل ومدى الانتهاء من إعداد مذكراتهم للتوزيع ، وبما فى ذلك من ضياع شهرين كل فصل فى أعمال امتحانات كاملة يستمر تصحيحها مع حلول الفصل الثانى وانتظام التدريس به وقد لاتعلن نتائجها قبل انتصافه أو يتأجل إعلان بعضها أو تسوية حالات الطلاب إلى نهاية العام ... مهما كوفئ الأساتذة بجعل كنترولات الامتحان مستمرة طوال ٥٥٠ يوما ، أو رفعت رواتبهم بنسبة ١٥٠ ٪ ليتفرغوا للتدريس والامتحان ويكتفوا ذاتياً فى كل قسم دون حاجة لتبادل الانتدابات خارجه ... بل إنشاء صناديق أنشطة وخدمات بكل كلية لزيادة دخل الأساتذة ... مما تعج به الصحف يومياً كحث للأساتذة على قبول وتأييد نظام الفصلين وطمأنة الطلاب على أن كل إصلاح لنظام التعليم ودخول الامتحانات فإنما هو لصالحهم وللتيسير عليهم . وبينما فى كلمته أمام المؤتمر الدولى لربط الجامعة بالصناعة (٢٢ مارس ١٩٩٤) يعرب وزير التعليم عن شعوره بالمرارة من اعتماد نظام الدراسة بالجامعات على الكتب والمذكرات الجامعية والابتعاد عن البحث فى المراجع وأمهات الكتب ويصف الوضع القائم بالتدنى لاعتماده على الحفظ والصم والتلقين والتخلف عن اللحاق بركب التطور الجامعى ... فهو يبشر بأن النظام الجديد - نظام " الاحتراف " بالجامعات بدل نظام " الهواة " المتبع حالياً - يقضى بتفرغ أعضاء التدريس للعمل داخل الجامعة فى التدريس والبحث طوال اليوم لتزيد مرتباتهم

فى ظل الاحتراف إلى ثلاثة أضعاف ، عن طريق تدبير مصادر جديدة لتمويل الجامعات بإنشاء مكاتب بالكليات لتسويق الخدمات وتقديم الاستشارات العلمية والفنية للمحتاجين إليها من أصحاب الشركات والمصانع والمستثمرين مقابل أجر يخصص لأعضاء التدريس ، وتطبيق الاحتراف على صغار أعضاء التدريس الجدد لتمكينهم من تدبير الامكانات التى تساعدهم على حياة كريمة بدلا من السعى وراء مصادر أخرى ؛ باعتبار أن الاستمرار فى تطبيق نظام الهواة سيؤدى إلى تخلف مصر عن المنافسة العالمية فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد !!!

٤ - المستقبل للتعلُّم الذاتى المستمر ببرمجيات الوسائل التعليمية وتكنولوجيا المعلومات :

من هذا يتبين أن صيرورة التعليم العالى بالكليات والمعاهد - فى الإعداد للدرجة الجامعية الأولى بأحد تخصصات الحياة العملية - إلى تحصيل المعرفة النظرية فضلا عن المهارة التطبيقية فى ممارسة المهنة - بالاعتماد على الكتب والمذكرات المؤلفة لغرض التدريس ... قد هبط بمستوى التخريج فى الكليات والمعاهد بحيث يصحُ ما يقال أحيانا كثيرة من أن التعليم العالى تحوَّل إلى مدارس ثانوية ومعامل تفريخ - المهم فيها الحصول على شهادة سوف لاتؤهل للاشتغال بالمهنة والنجاح فيها ؛ بل أن التعليم المدرسى الذى تشرف فيه وزارة التعليم بجد على تأليف الكتب المقررة لمختلف المواد وانتظام طرق التدريس ونظام الامتحان على مستوى مدارس القطر كله بما يمكن مكتب تنسيق القبول بالجامعات من أن يوزع بعدالة يرضى عنها الجميع خريجى الشهادة الثانوية على الكليات فى الجامعات والمعاهد المركزية والإقليمية ... هو أكثر فعالية من اعتماد التعليم العالى على الكتب والمؤلفات التى يُصدرها كل قسم علمى جامعى (أو أحد أعضائه) بمعزل عن الأقسام المماثلة بالكليات الأخرى ، وبنتائج امتحان تتفاوت فى تقييم تحصيل الطلاب بنفس القدر من الموضوعية والعدالة ... الامر الذى كثيراً ما أثار مشاكل تعيين أوائل خريجى كلية ما معيدين فى كلية أخرى ، أو أوائل خريجى

الحقوق أعضاء بالنيابة العامة لقلة عدد الذين يحصلون على تقدير جيد جداً في كلية عنه في أخرى ... وكثيراً ما أثار أيضا ضرورة توحيد امتحانات الليسانس أو البكالوريوس بالكليات المتناظرة - أو على الأقل تشكيل لجنة ممتحنين لكل مادة بكل قسم علمى على مستوى هذه الكليات يكون من اختصاصها تقريب إن لم يكن توحيد مستويات وضع الأسئلة ومراجعة تصحيح أوراق الإجابة ... وهيهات أن يجدى ذلك كله شيئا إن لم يصبح عبئا على مسار العمل الجامعى الذى (اتسع فيه الخرق على الراقع) ، فحتى فى اشتراط الممتحن الخارجى بلجنة الحكم على رسائل الماجستير والدكتوراه ، وفى اختيار مقررى ترقية المدرسين والأساتذة المساعدين باللجان الدائمة المشكلة من المجلس الأعلى للجامعات ، لايجدى تشدد البعض حفاظاً على المستوى برفض الترقية مرة ومرات لمزيد من الإنتاج ، ولا التشجيع على التقدم بعدم تعقيد عضو هيئة التدريس بكراهيته لأساتذته واتهامهم والافتراء عليهم - اقتناعاً من الجميع آخر الأمر بأن هذا هو واقع الحال .

فإن يكن الكتاب الدراسى الجامعى كقوام لعملية التعليم العالى قد ارتد آخر الأمر إلى أن يصبح مشكلة اقتصادية أكثر منه وسيلة تربوية - سواء بالنسبة للطالب الذى لا يقدر على اقتنائه لتكوين مكتبة خاصة يرجع إليهابعد تخرجه إن هو استطاع أن يكتفى به فى دراسته لمواجهة مستقبله ، وللأستاذ فى أقصى حالات تجرده من الاتجار به إزاء ارتفاع تكاليف إخراجه الباهظة ، ولصناديق دعم الكتاب وجهات التمويل الأخرى التى تساهم بتخفيف العبء على الأساتذة والطلاب - إلى حد البحث عن مصادر أخرى كالتى راينا قد تعوض الأستاذ ماديا وإن كانت تبعُد به عن التفرغ للعمل التربوى والتعليمى ... فإن فى استفادة التعليم قبل الجامعى بتكنولوجيات التعليم الحديثة إلى جانب الكتاب المدرسى أسوة للتعليم العالى فى اعتماد تكنولوجيا المعلومات وسيلة للتدريس والبحث بأقل عدد من الأساتذة لأكبر عدد من الطلاب ، واستعادة الجامعات مكانتها الأولى بعدول الطلاب عن التلقين والحفظ إلى التعلم الذاتى بالكتب

وأجهزة التعليم المبرمج . فقد أدى تطور الوسائل التعليمية منذ عشرينات هذا القرن إلى تكنولوجيا تربوية بسيطة تركز فى المقام الأول على المعينات السمعية البصرية التى زودت بها معامل ومختبرات مناهج وطرق تدريس اللغات والعلوم والرياضيات - من أجهزة تسجيل وسماع أشرطه صوتيات وعرض مصورات أفلام التعليم بالتلفزيون والدائرة المغلقة وشرائح العارضات الأفقية والرأسية ... مما له فى معاهد وكليات ومراكز البحوث التربوية ببعض البلاد العربية (استديوهات) إنتاج هذه التكنولوجيا بمعرفة الأساتذة والطلاب . كما أدى تطور " آلات التعليم " منذ ابتكر بريسى (١٩٥٦) جهاز تصحيح الاختبارات الموضوعية التى تحصى فيها الآلة عدد الاجابات الخاطئة فى سلسلة (اختيارات من متعدد) تعرض بإطار (شاشة أو نافذة) الجهاز عقب عرض السؤال ليؤشر الطالب بالضغط على أحد الأزرار بما يراه الإجابة الصحيحة ... حتى محاولات عالم النفس الأمريكى اسكنر (١٩٥٤ - ١٩٥٨) تطوير آلات " التعلمً الذاتى " التى تعرض معلومة تلو أخرى بنافذة الآلة ، ليتعلم الدارس الموضوع قطعة فقطعة ويُجيب عقب كل قطعة عن السؤال الذى يظهر فى الإطار لتُفيدَه الآلة بصحة الإجابة أو خطئها ، وربما تشرح له سبب خطئه أو تحيله على رقم قطعة (معلومة) سابق ليرجع إليه فيصحح خطأه .

ولقد كان اسكنر نفسه هو أول من قام بتأليف كتاب مبرمج فى علم النفس - تطبيقاً لنظرياته فى التعلُّم الذاتى وبرمجة التعليم - فقسم موضوعات فصوله إلى فقرات صغيرة تعرض كل منها على الدارس بما يكفى لقراءتها ، ثم يطلب إليه على الفور تكملة جملة أو ملء فراغ كلمة ناقصة أو تصويب عبارة خاطئة ... والإجابات الصحيحة مدونة مقلوبة بالصفحة المقابلة أو بآخر الكتاب حتى لايطلع عليها الطالب إلا بعد أن يجيب - سواء بالبرمجة الطولية والبرمجة التفريعية التى إما أن يتقدم فيها الدارس على طول الخط كلما كانت إجاباته صحيحة أو يتوقف لينتحى جانباً ويرجع إلى إطار فرعى سابق لتصحيح

إجابته ثم يلحق بزملائه . فجوهر هذا " التعلم الذاتى " للدارس بالتعليم المبرمج أنه حين يتلقى المردود الفورى على صحة إجابته يتدعم تعلمه بالانتقال من جزء إلى الذى يليه حتى نهاية الموضوع (كمال دسوقى ، التعليم والتعلم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ط٣ وكالة الأهرام للتوزيع ١٩٨٩ ص ٢٣٤ - ٢٦٢)، لقد بهرنى ما يؤدى إليه التعليم المبرمج هكذا من تعلم ذاتى تقسم فيه المادة الدراسية إلى أجزاء تعرض على الدارس لقراءتها والإجابة على سؤال عنها ثم الانتقال إلى التى تليها إذا صحت إجابته (أو الرجوع إلى معلومة سابقة لتصحيح خطئه) فى معرفة فورية بنتائج تقدمه حتى الانتهاء من الدرس ؛ فحاولت برمجة تأليف كتاب لى عن " الاجتماع ودراسة المجتمع " بما أسميته " تكنولوجيا العلوم الاجتماعية " (١٩٧٠) حيث جاء التأليف لكل فصل من فصول المادة الاثنين والعشرين بأشهر عشر كتب تدرس فى الجامعات الأمريكية يعرض الموضوع بتركيز مسلسل لفكرة كل فقرة ، وتبدأ التدريبات بالإحالة لأرقام صفحات الفصل بكل من المراجع الأجنبية العشرة ، فقائمة مصطلحات إنجليزية على صفحتين أو ثلاثا تورد ترجمة المصطلح بترتيب سياق النص العربى كما لو أن الطالب قد قراه بالإنجليزية ، يلى ذلك ثمانية أنواع تطبيقات العلم على العمل - الذى هو مفهوم التكنولوجيا - وهى : اختبر معلوماتك (بالتأشير على عشر عبارات بعلامة صح أو غلط) ، فمزاوجات (مصطلحات وتعريفات ١٣/١٤ : ١٠) ، ومطابقات ، واختيارات (من متعدد) ، ثم تكملات (فراغات نقط بكلمات) ، أسئلة وقضايا للمناقشة ، مشاكل ومشروعات للبحث ، وأخيراً تجربة معمل (يُدَوِن فيها الطالب بالفراغات المتروكة له خطوات : الغرض من التجربة ، المنهج أو طريقة البحث ، العينة ، الاجراء ، الملاحظات ، النتائج ... والإجابات الصحيحة مدونة بآخر الكتاب بملحق ٣ : مفاتيح التصحيح ، ص ص ٦٨٦ - ٧١٦ .

وليست برمجة الكتاب الدراسى كتكنولوجيا تربوية تُهيء للتعلم الذاتى المستمر غير خطوة متواضعة على طريق

الاستفادة بتكنولوجيا المعلومات التى هى جوهر الثورة الصناعية الثالثة التى استخدمت الطاقة الكامنة فى التكوين الذرى للمادة (من نواة والكترونات سابحة حولها) فى اطلاق ذبذبات عالية السرعة هى عبارة عن نبضات الكترونية (لا تُقارن بها فى شئ الذبذباتُ الميكانيكية الكهربائية أو الموجات الكهرومغناطيسية التى كانت تُشغِّل بها آلات وأجهزة التعليم حتى ذلك الحين) من خلال ترددها فى مستحدثات تجهيزات علم وتكنولوجيا المعلومات تعبر عن إشارات تمثل البيانات بطريقة معينة ويمكن التعامل معها إرسالا واستقبالا عبر المسافات القريبة والبعيدة معا بالحاسبات الآلية التى تطورت أجيالها سريعاً فى أحجامها ونظم تشغيلها ونقل بياناتها من وحدات إدخال وإخراج المعلومات وفى قدرات تخزين واسترجاع البيانات - من الحاسبات الصغرى (مينى كمبيوتر) التى تحمّل فى الجيب المرتبطة بمعالج بيانات صغير (ميكرو بروسيسور) إلى (الميكروكمبيوتر) الذى قوامه وحدات تشغيل مركزية من قطعة أو عدة قطع إلى محطة التشغيل الرئيسية ذات الأداء المرتفع ... التى يمكن المرء بواسطتها أن يحصل على ما يشاء من معلومات من مكتبة الكونجرس بأيسر وأسرع من اتصال هاتفى أو مكالمة تليفونية - حيث يقدر الباحثون فى مجالات المعرفة والإعلام أن عدد المعلومات المجمعة فى مكتبات العالم الكبرى يصل إلى مليون مليار إشارة مرجعية أمكن للحاسبات المركزية الرئيسية اختزانها ويتسير الإمداد بها فى الحال لكل من يطلبها عن طريق شبكة الحاسبات الفردية المرتبطة بها وهى تجيب عدة مئات من المتصلين بها فى آن واحد على مختلف الأسئلة التى يطلبون إجابات عنها ، وفيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات للبحث والدراسة بالكتب والمؤلفات يقرر الباحثون أن استخدام أشعة الليزر فى الحاسبات الاكترونية قد مكَّن من تسجيل ما تحتويه مكتبة كاملة تضم عشرين ألف مجلد على صفحة صغيرة من النيكل طولها ٢٥ سم وعرضها ٢٠ سم .

ومما يبشر أيضاً بإمكان الاستفادة بتكنولوجيا المعلومات فى تنمية التعلم الذاتى

المستمر منذ الدراسة الجامعية وطوال الحياة تطوُّر لغات هذه الحاسبات من اللغات الرمزية اللازمة لنقل وتسجيل واسترجاع المعلومات بغير اللفظ الكلامى غير الدقيق أو المحدد المعنى المتسم بالذاتية فى لغة الإنسان ... إلى لغات رفيعة المستوى والدلالة تصلح لأى غرض وأية حاسبة - بحيث توصلت (ثورة) اللوغو كلغة برمجة تمكنٍّ الصغار من استخدام الكمبيوتر بصورة فعالة مفيدة ومشوقة تلبى حاجات المتعلمين لتنمية مهاراتهم الذهنية الابتكارية وترقية خيالهم العلمى الإبداعى . فبفلسفة عالم النفس الفرنسى (جان بياجيه) التى تدعو إلى التعليم بالتجريب والاكتشاف بدل التلقين والحفظ والاستذكار ، ونتائج دراسات عالم الرياضيات الحائز على جائزة ماركونى للابتكار (سيمون بابرت) ، أمكن شركة لوغو لنظم الكمبيوتر بالتعاون مع الشركة العالمية للبرامج تطوير لغة صخر الثنائية عربى / إنجليزى كلغة مبرمجة فورية تحاورية يسهل ترجمتها ، كما يمكن استخدامها مع جميع الحاسبات الشخصية ... للأغراض التعليمية فى البلاد العربية (حتى لايتخلف أطفالها عن أقرانهم بالبلاد المتقدمة فى التعلم بالحاسبات وهم يستمتعون بما فى هذه اللغة من تراكيب هيكلية للوحدات الصغيرة يرسمون بها الأشكال فى صورة سلحف يطيع أوامر تحريك الأشكال فور إصدار الأوامر برفع القلم أو إنزاله والتحرك للأمام أو الخلف أو اليمين أو اليسار ... وما تحفل به من برامج شبحية يلعبون بتصادمها وتنويع تحركاتها وتعديل مسارها ... وها هو فى أيدى الطلاب حاسوب الترجمة الالكترونية الدقيقة (عربى /إنجليزى) لأكثر من ٣٠ ألف كلمة الذى يُحمَل فى الجيب ويشتغل ٧٠ ساعة ببطاريات ليثيوم (المسمى ترجمان ٢٠٠٠) الذى هو فى نفس الوقت آلة حاسبة متعددة العمليات الحسابية ، ودليل تليفونات عربى إنجليزى ... الذى تُنتجه وتُسوِّقه شركتا شارب واتريد بارتنرز ... عدا ما لم نستطع الحصول عليه بعد من حاسبات الكترونية ناطقة بالصوت بدلا من الظهور على الشاشة بالتفتيح أو التقتيم المطلوبين للقراءة مع وجود صوت موسيقى أثناء التشغيل .

فـإذا لـم نسـتطع دخـول القـرن الحـادى والعشرين بإدخال الحاسبات الالكترونية فى النظام التربوى لعدم استطاعة الدارسين الحصول على حاسبة شخصية تيسر لهم الاتصال بمراكز المعلومات من جهة ، ولأن استحداث التعليم بالحاسبات - مهما تكن فائدته فى التدريس لمئات الطلاب فى آن واحد بجامعات الأعداد الكبيرة فضلا عن تيسير التعلم الذاتى للمتعلم كما رأينا - يلزمه من جهة أخرى تدريب المتعلمين على استخدامها للحصول على المعلومات ، ودراسة المعلمين علوم الحاسبات لا ليصبحوا مبرمجى مواد تدريسهم ويكونوا كوادر وطنية تستغنى عن مهندسى البرمجيات الذين صحبوا توريد هذه الآلات ليدربوهم عليها ؛ بل لمجرد تشغيل هذه الآلات عن ثقة واقتناع - بعد ان تفرغ مهندسو البرمجيات المتخصصون فى إنتاج وتسويق صناعة البرامج الجاهزة التى نهضت بها منشآت متخصصة تحولت من تطوير تصنيع الأجهزة المادية لإنتاج البرامج التعليمية وتخزينها بأحدث الطرق وترويجها تجاريا ، وإذا لم نستطع توفير المراجع والأدلة وكتب المنهجة أو البرمجة التى تعلم الطلاب والمعلمين تراكيب الحاسبات ونظم المعلومات والخوارزميات اللازمة لحل المشاكل وتخطيط وتنفيذ المشروعات - دون تخوف من أن صناعة البرمجيات تحتاج لاستثمارات مالية عالية - حيث ثبت أن ٨٠٪ من تكلفتها رواتب وأجور عاملين ، وأن تكلفة استيراد المعدات والتجهيزات التى لا تقاس إلى فوائدها التربوية الجمة يمكن أن يغطيها ما ينفق هياء على دعم الكتب الجامعية التى أفسدت التعليم ... إذا لم نستطع هذا أو ذاك، ولم ينشأ عندنا الوعى الاجتماعى والاقتصادى الرسمى والشعبى بتكنولوجيا المعلومات وحاجتنا إليها فى التربية اليوم قبل الغد ، فلا أقل من أن نحرص على أن تتولى المجامع اللغوية العلمية التى أنجزت معاجم مصطلحات العلوم تأليف المتون الدراسية المبرمجة النصوص والتدريبات العملية التطبيقة على النحو الذى عرضنا أمثلة منه فى هذا المقال .

كمال دسوقى

عضو المجمع

اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان *
العربية والـمُعرَّبة

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف

معروف أن اللغة العربية لغة اشتقاقية تنمو مادتها وتتضاعف عن طريق الاشتقاق ، ومكَّنتها هذه الظاهرة قديما من استيعاب مصطلحات العقيدة الإسلامية وشريعتها فى القرآن الكريم والحديث النبوى ، وأخذت تتسع بها بحيث استوعبت مصطلحات العلوم الإسلامية فقها وغير فقه وعلوم اللغة العربية نحوا وغير نحو ، ولم تلبث أن استوعبت علوم الأوائل طبا وغير طب ، بحيث أصبحت العربية تقود العالم علميا وحضاريا سبعة قرون أو تزيد .

وتوضح هذه السعة فى اشتقاقاتها موادها اللغوية فى المعاجم الكبرى إذ نجد المادة تفتح فى معجم مثل لسان العرب وتتوالى بها اشتقاقات الأفعال والأسماء فى صحف متعاقبة ، فمادة مثل " علا " تتوالى اشتقاقاتها فى سبع صفحات كبيرة وبكل صفحة ثلاثة أعمدة ، بحيث لو طبعت فى كتاب من قطع ٧٠٪ لشغلت منه نحو عشرين صفحة ، وتشغل اشتقاقات مادة " رأى " فى اللسان ثمانى صفحات ، أما مادة عَرَضَ واشتقاقاتها فتشغل فيه ثلاث عشرة صفحة بل تزيد ، أى أنها لو طبعت مستقلة لشغلت كتيِّبا صغيرا فى نحو خمسين صفحة .

وتنبه ابن جنى إلى جمع مواد معجمية فى معنى واحد عن طريق ما سماه الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل

---

* ألقى البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤م .

الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد " .

ويطبق ذلك على مادة " كلم " وتقاليبها : كمل، ومكل ، وملك ، ولكم ، ولمك ؛ فإنّ تقاليبها الستة تدل على معنى واحد هو القوة والشدة ، كما يطبق ذلك على مادة " قول " وتقاليبها : قَلو ، ووقَل ، وولَق ، ولَقو ، ولَوق ، فإن هذه التقاليب الستة تدل على معنى واحد هو الإسراع والخفة . وطبق ابن جنى ذلك على كلمات أخرى دالا بها على سعة الاشتقاق فى العربية ، إذ لا تقف عند الاشتقاق الأصغر المألوف لنا فى كتب النحو ، وهو أخذ كلمة من كلمة مع تناسب فى المعنى واللفظ وترتيب حروفه ، وعرض لصور كثيرة تدل على سعة هذا الاشتقاق بدوره إذ تشتقه العربية فى الأفعال من الحروف مثل لولا ولا وسوف ، فيقال : سألتك حاجة فلوليتَ لى أى قلت لى: لولا متعللا ، وسألتك حاجة فلاليت لى أى قلتَ لى : لا ، وقالوا سوَّفتَ الرجل أى أخَّرته ومطلته ؛ من سوف التى تخصص المضارع للاستقبال .

ويذكر ابن جنى من ذلك أيضا حرف الجواب " نعم " إذ اشتقوا منه " نَعَّمْتُ الرجل أى قلت له نعم " ويردُّ كلمات النِّعْمة والنَّعمة والنعيم والتنعيم ونعمت به بالا وتنعَّم القوم والنُّعْمى والنَّعماء وأنعمتَ به ، كل ذلك يردُّه إلى معنى نعم وأنها تسر النفس . وكتب الأسلاف كتبا كثيرة عن الاشتقاق ذكرها المرحوم الأستاذ عبد الله أمين فى كتابه الرائع عن الاشتقاق ، وقد خص الاشتقاق فيه من أسماء الأعيان بنحو مائة صفحة انتفعت بها فى هذه الكلمة القصيرة .

وكلنا نعرف أن العربية ثرية ثراء واسعا فى الأفعال ومشتقاتها وأن الجذر فى الماضى الثلاثى وهو صيغة فعل تشتق منه **ثلاثة أفعال بزيادة حرف ، هى** : أفعل - فعَّل - فاعل ، **وخمسة أفعال بزيادة حرفين هى** : افتعل - تفعَّل - تفاعل - انْفَعل - افعلَّ ، **وثلاثة أفعال بزيادة ثلاثة أحرف هى** استفعل - افْعَوْعَلَ - افعالَّ .

وللماضى الرباعى جذر هو : فعلل ، ويشتق منه فعل بزيادة حرف هو : تَفَعْلَل ، **وفعلان بزيادة حرفين هما** : افعللَّ - افْعَنْلَل . ويستقصى النحاة فى كل صيغة من هذه الصيغ معانيها واستعمالاتها .

ويشتق من صيغ الفعل : اسم الفاعل وله صيغتان قياسيتان ، **وأسماء المبالغة** ولها ثلاث صيغ قياسية **واسم المفعول:** وله صيغتان، **والصفة المشبهة** وأكثر صيغها سماعية ، **واسم التفضيل** وله صيغة واحدة هى أفعل ، **وفعل التعجب وله صيغتان :** ما أفعله -أفْعِلْ به ، **واسم الآلة وله** خمس صيغ قياسية هى : - مِفْعل - مِفْعلة - مِفعال - فاعلة - فعَّالة . وهذه الصيغ بدورها هى ومعانيها واستعمالاتها مفصلة فى كتب النحو واللغة .

وكل ذلك كتبته مقدمة للنظر فى اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان ، أو بعبارة أخرى من الأسماء الجامدة العربية والمعربة ، ورجعت إلى قرار للمجمع فى اشتقاق الأفعال من الاسم الجامد المعرب فوجدته على الصورة التالية :

فى الاسم الجامد المعرب :

يشتق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي على وزن " فعَّل " بالتشديد . **متعديا ولازمه " تفعَّل "**

يشتق الفعل من الاسم الجامد المعرب غير الثلاثى على وزن " فَعْلَلَ " ولازمه " تَفَعْلَلَ " .

وفى جميع المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية ، ويعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه ، بذلك تكون الأفعال التى أجاز المجمع اشتقاقها من الأسماء الجامدة المعربة أربعة ، هى فعَّل - تفعَّل - فَعْلل - تَفَعْلَل . ورأيت أن أعرض صيغة الماضى الثلاثى على طائفة من أسماء الأعيان العربية والمعربة قديما ، وبدأت برأس الإنسان ووجهه ، فاتضح لى اشتقاق الماضى الثلاثى منهما على هذا النمط :

الرأس : منه رَأَسه : أصاب رأسه - ورَأَس القوم يرأسهم رئاسة .

الشَّعر : منه : شَعِرَ : طال شعره - شَعَر الشئَ : بطنه بالشعر .

الوجه : منه : جاه فلانا يجوهه : استقبله - **تجه إليه** : اتجه - وجه : صار ذا قدر .

الجبهة : منها : جبهه : رده عن حاجته - جبهه : واجهه .

العين : منها : عين : اتسعت عينه - عانه : حسده .

الأنف : منه : أنف : وجعه أنفه - وأنف الشئ : تنزه عنه .

الفم : منه : فاه بالقول : نطق به - فوه : اتسع فمه ومنه الأفوه : الفصيح .

السن : منه : سننته : عضضته .

الخيشوم : منه خَشِم : مرض خيشومه ويسمى المرض خُشاما والمريض أخشم .

الأذن : منه : أذنه : آلم أذنه - أذن الأذان : نادى به .

وبقية أعضاء الإنسان على هذا النحو تشتق منها أفعال ماضية ثلاثية وأتركها إلى اشتقاق الماضى الثلاثى من أسماء الحيوانات الوحشية والمستأنسة والطير والحشرات المجنحة :

الأسد : اشتق العرب منه أسد : تجرأ مثل الأسد .

الذئب : اشتقوا منه ذئب الرجل وذؤب : صار كالذئب خبثا .

النمر : منه : نمر الرجل : ساء خلقه كالنمر .

الإبل : منها : أبلت الإبل بالمكان : أقامت - أبل الرجل : أحسن رعاية إبله وكثرت .

الثور : منه : ثار ثورا وثورانا : هاج .

الفرس : منه : فرس فراسة وفروسة وفروسية : حذق ركوب الخيل - الفارس : الماهر فى ركوبها .

الغنم : منه : غنم الشىء حربا أو سلما : فاز به . والمغنم والغنيمة : ما يؤخذ فى الحرب قهرا .

الكلب : منه : كلب : ضوى - كلب : أصابه داء الكلب - كلب شخصا : عضه .

النسر : منه نسر اللحم : قطعه - النسيرة : القطعة من اللحم المنسر : منقاره .

القطا (شبه اليمام) منه : قطا : صوت - وقطا : ثقل مشيه ، واقطوطت القطاة : صاحت .

البازى (من الصقور) منه : بزا يبزو : غلب وقهر وبطش .

النحل (عسل النحل) منه : نحله مالا : أعطاه - نحله شعرا : أضافه إليه ومنه النحل والنحلة : الهبة .

وأسماء أعيان كثيرة رباعية وخماسية وسداسية ردها العرب إلى ثلاثة أحرف واشتقوا منها الماضى الثلاثى ، نذكر منها :

العقاب (من الجوارح) : عقب صيده : تتبعه .

الطحال : منه : طحل : عظم طحاله أو مرض به .

الحصان : منه : حصن المكان فهو حصين ، ويقال خيل العرب حصونها .

الجراد : منه : جردت الجراد النبات : أكلته .

الهراوة : منها : هراه بالعصا يهويه : ضربه ضربا مؤلما .

الناصية : منها : نصاه : قبض على ناصيته .

الحصباء : منها : حصبه بالحصباء رماه بالحصا .

الدقعاء (التراب) : ومنه : دقع الرجل لصق به - دقع : افتقر .

النافقاء (حجر اليربوع) : يقال نفق اليربوع : دخل فى نافقائه أى حجره .

ويجانب اشتقاق الأفعال الماضية الثلاثية من أسماء أعيان ثلاثية وغير ثلاثية نذكر اشتقاقها من أسماء أعيان أعجمية ، وبعبارة أخرى من أسماء جامدة معرَّبة ونكتفى بما يلى :

إبزيم : وهو "عروة معدنية" بأحد طرفيها لسان يشد به حزام ، ومنه بزم على الأمر : عض عليه بأسنانه .

أقحوان : زهر أبيض أو أصفر ورقه مسنن . منه قحا الدواء جعل فيه الأقحوان فهو مقحو بحذف الهمزة والألف والنون .

البرج : الحصن وواحد من بروج الفلك ، ومنه برج الشىء أو البناء : ارتفع .

البلاط : ومنه بلط الأرض : فرشها بالبلاط .

الديباج : قماش حريرى . ومنه دبج المطر النبات : لونه ألوانا - دبج الشئ : نقشه وزينه بحذف الياء والألف .

البريد : فرسخان وتسمى به الرسل على الدواب . ومنه برد بريدا أى أرسل رسولا .

الزبور : كتاب داود والمكتوب مطلقا ، ومنه زبر الكتاب : كتبه وزبره : قرأه .

الصنج : آلة موسيقية ، ومنه صنج ضرب بالصنج .

القسيس : ومنه قس : صار قسيسا بحذف الياء وإحدى السينين .

لجام الفرس : منه لجمه : وضع اللجام فى فمه .

المنجنيق : من آلات الحرب القديمة كانت تقذف بحجارته الأسوار ، ومنه جنق : رمى بحجارة المنجنيق الثقيلة بحذف الميم والنون الأولى والياء .

الناقوس : مضراب النصارى للصلاة ، ومنه نقس الناقوس: صوت - نقس شخص الناقوس: قرعه .

وواضح مما ذكرت أن الماضى الثلاثى كان يشتق بكثرة لازما ومتعديا من أسماء الأعيان أو الأسماء الجامدة العربية والمعربة وفى رأيى أن صيغة الماضى أفعل بزيادة الهمزة فى أولها لاتقل عن صيغة فعل صلاحية لاشتقاقها من أسماء الأعيان أو الأسماء الجامدة العربية لدلالتها كثيرا على الصيرورة ، وأذكر من ذلك الاشتقاقات التالية :

الزهر : أزهر النبات صار مزهرا أو ذا زهر .

الثمر : أثمرت الشجرة صارت ذات ثمر أو مثمرة .

العشب : أعشبت الأرض صارت معشبة .

ثلاثة : أثلث صاحبيه صار ثالثهم .

الذئب : أذأبت الأرض : صارت ذات ذئاب .

القمر : أقمر الهلال : صار قمرا .

الورق : أورق الشجر : صار مورقا .

أبرق السحاب : صار ذا برق .

أرعد السحاب : صار ذا رعد .

أصبح الرجل : صار فى الصباح .

أمسى الرجل : صارفى المساء .

أضحى الرجل : صار فى وقت الضحى .

أسحر الرجل : صار فى وقت السحر .

الدلو : أدلى الدلو : صيرها متدلية فى البئر .

السنبلة : أسبل القمح : صار ذا سبل أو مسبلا .

الرطب : أرطبت النخلة : صار بلحها رطبا .

الظلمة : أظلم الليل : صار مظلما .

أتهم : صار فى تهامة على ساحل البحر الأحمر .

أنجد : صار فى نجد داخل الجزيرة العربية .

الأفعوان : أفعى الرجل صار ذا شر مثل الأفعوان ، وردَّت الكلمة إلى أربعة أحرف ومثل ذلك فى صيغة أفعل كثير . ونراها تشتق أيضا من الاسم الجامد المعرَّب مثل :

الأقحوان : يقال أقحت الأرض مثل قحا السالفة : إذا أنبتت الاقحوان .

البريد : يقال أبرد رسالة أى أرسلها مثل برد .

البلاط : يقال أبلط الأرض بالبلاط مثل بلطها .

القفل : يقال أقفل الباب إذا صار مقفلا .

اللجام : يقال ألجم الفرس أي صيرها ملجمة مثل لجمها .

ولعل في ذلك ما يكفي لاشتراك صيغة أفعل مع الصيغ المجمعية في الاشتقاق من الأسماء الجامدة المعربة . ومما يأتي على شاكلتها من الأفعال متضمنا معنى الصيرورة صيغة استفعل ، ومن أمثلتها :

الأسد : ومنه : استأسد مثل الأسد في الجرأة .

العرب : ومنه : استعرب : دخل في العرب وعد نفسه منهم .

الغلة : ومنها : استغل عمل الشخص : صير غلته وكده لنفسه .

الهدف : ومنه : استهدف الشئ : جعله هدفا له .

الفيل : ومنه : استفيل الجمل : صار مثل الفيل في الضخامة .

الناقة : ومنها : استنوق الجمل : صار مثل الناقة في الهوان .

الأنس : منه : استأنس الفيل : صار أنيسا .

البحر : منه : استبحر في العلم : صار بحرا فيه .

البصيرة : منها : استبصر في الأمر : صار ذا بصيرة فيه .

الجِدّة : منها : استجد الشيء : صار جديدا .

الجمع : منه : استجمع الماء من كل صوب : صار مجتمعا .

الروض : منه : استروضت الأرض : صارت روضا .

السر : منه : استسر الأمر : صار سرا خافيا .

الكبر : منه : استكبر : صار متكبرا .

العصيان : منه : استعصى : صار عاصيا .

العظمة : منها : استعظم : صار متعاظما .

العلو : منه : استعلى : صار عاليا .

الغلظ : منه : استغلظ النبات : صارغليظا .

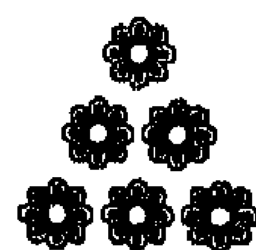
الكلأ : منه : استكلأت الأرض : صارت كلأ وعشبا .

المجد : منه : استجد : صار ماجدا .

ووراء هذه الأمثلة فى المعاجم أمثلة كثيرة لاشتقاق صيغة استفعل التى بمعنى الصيرورة من الأسماء الجامدة فى العربية مما يؤذن باستخدامها مثل الماضى الثلاثى والمزيد بهمزة فى الاشتقاق من الأسماء الجامدة والمعربة . واستخدام هذه الأفعال الثلاثة فى الاشتقاق من تلك الأسماء يتيح شيئا من السعة فى تعريب المصطلحات الأجنبية ، وهى سعة يتطلبها - فى رأيى - تكاثر تلك المصطلحات العلمية المجمعية المعربة فى السنوات الأخيرة ، والمأمول أن تستكمل تعريبها بما يهيأ لها من الرسوخ فى الأفعال والأسماء المشتقة المتفرعة عنها فى العربية .

شوقى ضيف

نائب رئيس المجمع



شخصيات مجمعية

أولا - الاستقبال :

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١٨ من رجب سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٩٤ م عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة أعضاء جدد هم :

١ - الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى

٢ - الأستاذ الدكتور على محمد الحديدى

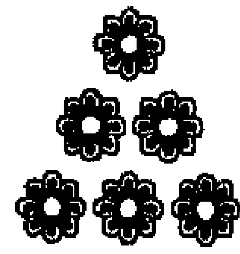
٣ - الأستاذ الدكتور محمد الأمين بسيونى

وبعد أن افتتح الدكتور الرئيس الجلسة ألقى الأستاذ الدكتور محمود حافظ كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى ، وأعقبه الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضوا بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور بدوى أحمد طبانة كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور على الحديدى ، وأعقبه الأستاذ الدكتور على الحديدى فألقى كلمةً بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور محمد الأمين بسيونى ، وأعقبه الأستاذ الدكتور محمد الأمين بسيونى فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع .

وفيما يلى نص هذه الكلمات .



كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد

الدكتور أحمد مستجير مصطفى

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

سيدى العالم الجليل الأستاذ الدكتور شوقى ضيف - نائب رئيس المجمع .

سادتى العلماء الأجلاء، سيداتى وسادتى .

منذ سنين عددا كان يشغل مقعد العلوم الزراعية بالمجمع عالم من جيل العمالقة هو المغفور له الأستاذ الدكتور / محمود توفيق حفناوى ، ومنذ رحيله ظلت لجنة الأحياء والزراعة تتحينُ الفرصَ لشغل هذا المقعد بمن هو به جدُّ جدير .

وعندما حان موعدُ الترشيح لعضوية المجمع هذا العام لمع فى ذهنى اسم عالم من صفوة علمائنا برز فى مجال العلوم الزراعية وسطع نجمه فى السنوات الأخيرة من كثرة ما ألف وترجم فى علوم الوراثة وفروعها المستحدثة وكذلك فى الأدب والشعرهو العالم الموسوعى الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى عميد كلية الزراعة بجامعة القاهرة الذى نستقبله اليوم عضوا بمجمع الخالدين .

وإنى على يقين أيها الزميلُ العزيز أنك سعيدٌ حقا بهذه الثقة الغالية التى منحك إياها زملاء لك هم صفوةٌ من جهابذة الفكر والعلم واللغة يقدرون علمك وخبرتك ومكانتك - هذه الثقة هى التى أفسحت لك مكانا عزيزا فى هذا المجمع العظيم كعبة العربية وحصنها الحصين الذى حمل لواءها أكثر من ستين عاما عاليا خفاقا نحو السماكين ورفع علمها شامخا سامقا فى الخافقين .

ولست فى حاجة إلى ترداد القول إن المكانةَ التى تتبوؤها اليوم وأنت بها جدير لمكانةٌ رفيعة حقا طالما اشرأبت إليها أعناق وتطاولت رؤوس وكثيرا ما هفت إليها قلوب وتطلعت إليها آمال - فأهنئك تهنئة خالصة عضوا بين سدنة اللغة وحماتِها فى مجمع الخالدين .

سادتى العلماء .

ولد زميلنا فى الأول من ديسمبر عام ١٩٣٤ فى قرية الصلاحات التابعة لمركز دكرنس بمحافظة الدقهلية نشأ فى بيت من

بيوت العلم والأدب وكان والده مدرسا للغة العربية وبالبيت مكتبة غنية بالكتب الأدبية والدينية أقبل عليها مع إخوته السبعة وهم فى مرحلة الطفولة والشباب الباكر بشغف ملحوظ بالقراءة وقد رسخت هذه الرغبة فى القراءة والاستزادة من المعرفة فى ذهنه ووجدانه فى مراحل حياته بعد ذلك .

وقد قضى الدكتور مستجير طفولته بهذه القرية بين مروجها الخضراء وظلالها الوارفة وعطرها وأريجها وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وعشقها وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه أيضا فى صباه وشبابه جنبا إلى جنب مع عشقه للقراءة - وما أن أتم دراسته الابتدائية بمدرسة المطرية ودراسته الثانوية بتفوق بمدرسة الملك الكامل الثانوية بالمنصورة حتى التحق بكلية الزراعة بجامعة القاهرة وكأنه بدراسته فى هذه الكلية قد استجاب تلقائيا لما كان قد احتشد فى خلفيته الأولى واختزنه فى وجدانه من حب لتلك البيئة النباتية فى قريته التى نشأ فيها وأحبها وعاش بين ظلالها ومروجها .

وبعد تخرجه فى كلية الزراعة عام ١٩٥٤ وكان ترتيبه الخامس على الدفعة عمل خبيرا زراعيا بوزارة العدل ثم حصل على منحة بالمركز القومى للبحوث لحصوله على تقدير جيد جداً فى درجة البكالوريوس وقد تابع دراسته العالية بالمركز لدرجة الماجستير فى تربية الحيوان وبعد حصوله على هذه الدرجة سافر عام ١٩٦٠ إلى بريطانيا ليلتحق بمعهد الوراثة بجامعة إدنبره باسكتلندا وقد حصل أولا على دبلوم وراثة الحيوان عام ١٩٦١ بدرجة الامتياز لأول مرة فى تاريخ المعهد ثم حصل على درجة دكتوراه الفلسفة عام ١٩٦٣ - وبعد عودته إلى الوطن عُين مدرسا ثم أستاذا مساعدا ثم أستاذا لعلم الوراثة وتربية الحيوان عام ١٩٧٤ بكلية الزراعة بجامعة القاهرة وبعد ذلك انتخب عميدا للكلية عام ١٩٨٦ ولايزال يشغل هذا المنصبَ حتى الآن بعد إعادة انتخابه للمرة الثالثة .

وقد حفلت حياته العلمية التى امتدت أربعين عاما بنشاط كبير وإنجازات رائدة فقد أنشأ مدرسة علمية يعتد بها فى مجال علوم

الوراثة وتربية الحيوان ونشر أكثر من أربعين بحثا بالمجلات المصرية والعالمية تناولت دراسة وراثة الصفات المرتبطة بالجنس والانتخاب العائلي والتحسين الوراثي في الحيوان ، وأهمية التلقيح الاصطناعي وقيمته في رفع إنتاج اللبن واللحم في مصر وإمكان استخدام الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية في مجال الإنتاج النباتي والحيواني في مصر وغير ذلك من البحوث العلمية والتطبيقية التي تخدم الاقتصاد القومي .

وقد حصل الدكتور مستجير بهذا الإنتاج العلمي المرموق على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الزراعية عام ١٩٧٤ وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى كما حصل على جائزة أفضل كتاب علمي مترجم عام ١٩٩٣ .

بالإضافة إلى بحوثه العلمية في مجال تخصصه فقد لفت الدكتور مستجير إليه الأنظار لثقافته العلمية والأدبية وجهوده الفائقة في التأليف والترجمة ونقله إلى اللغة العربية كتبا هامةً في العلم والأدب والفلسفة

– وقد بلغت جملة كتبه المؤلفة والمترجمة واحداً – وثلاثين (٣١) كتابًا منها أربعةٍ كتبٍ مؤلفة في التحسين الوراثي للحيوان ، وعشرون (٢٠) كتابا مترجما في العلوم والفلسفة ، (٧) سبعةُ كتب في الأدب منها خمسة كتب مؤلفة واثنان مترجمان .

ويقول الدكتور مستجير إنه شغف بالترجمة إلى العربية منذ تخرجه في الجامعة وأول كتاب نقله إلى العربية لمؤلفه سوليفان كان عن فلسفة العلم وقد تأثر بما جاء فيه إلى حد كبير – ومن بين كتبه الأخرى المترجمة قصة الكم المثيرة (١٩٦٩) ، المشاكلُ الفلسفية للعلوم النووية (١٩٧١) ، صراعُ العلم والمجتمع (١٩٧٤)، الربيع الصامت (١٩٧٤) ، صناعة الحياة (١٩٨٥) ، التطور الحضاري للإنسان (١٩٨٧) ، طبيعة الحياة (١٩٨٨) ، هندسة الحياة (١٩٩٠) ، الهندسةُ الوراثية للجميع (١٩٩٠) ، ثقبُ الأوزون (١٩٩١) ، البيئة وقضاياها (١٩٩١)، الانقراض الكبير (١٩٩٢) ، الفيزياء والفلسفة (١٩٩٣) ، التاريخ العاصف لعلم وراثة الإنسان (١٩٩٣) ،

الهندسة الوراثية وأمراض الإنسان (١٩٩٤) ، ومن بين الكتب التى ألفها الدكتور مستجير فى الأدب : فى بحور الشعر - الأدلة الرقمية لبحور الشعرالعربى (١٩٨٠) ، مدخل رياضى فى عروض الشعر العربى (١٩٨٧) ، عزف ناي قديم (١٩٨٠) ، أحاديث الاثنين (١٩٩٠) - هذا عدا المقالات العديدة التى نشرت فى مجلتى " إبداع " ، " الشعر " عن الصياغة الرياضية لعروض الشعرالعربى - ومن يقرأ هذه الكتب المتنوعة يلحظ فيها عمق الفكر وسلاسة اللغة ووضوح المعنى ورصانة الأسلوب .

ويقول الدكتور مستجير أيضا إنه كان يكتب الزجل ويحفظ الكثير منه وهو بعد تلميذ فى المدرسة الابتدائية ثم بدأ يكتب الشعر إبان دراسته الجامعية وظل يكتب لمجرد الترويح عن الانفعالات حتى سن الخامسة والثلاثين ونشر بعض ماكتب من الشعر فى ديوانين صغيرين هما "عزف ناى قديم " ، "هل ترجع أسراب البط " ثم استطرد يقول : قبل أن أنشر الديوان الأول - وكنت قد أصبحت عضوا فى اتحاد الكتاب - رأيت أن أعرف إن كانت ثمة أخطاءُ عروضيةٌ فقمت بدراسةٌ العروض فلم أجد فيما كتبته أية أخطاء عروضية وبذلك قمت بنشر الديوان - ثم يقول " كنت أقوم بتدريس البرمجة للكمبيوتر لطلبة الدراسات العليا بالكلية - وفى محاضرة كنت ألقيها قلت إن الكمبيوتر لاشك يستطيع أن يعرف إن كان البيت مكسورا أم لا وبدأت حينئذ دراسةً حاولت فيها إخضاع البحور للأرقام وكللت الدراسة بالنجاح ونشرت كتيبا فى الموضوع عنوانه " فى بحور الشعر : الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربى " - بعد أن عرضُت هذا الكتيب على المرحوم الأستاذ الكبير على النجدى ناصف عضو هذا المجمع الموقر أصر على أن يكتب له مقدمة - وبعد ذلك قمت بتطوير الفكرة لتظهر فى كتاب (١٦٦صفحة) عام ١٩٨٨ عنوانه " مدخلٌ رياضى إلى عروض الشعر العربى " .

وللدكتور مستجير أيضا نشاط ملحوظ فى عدة جمعيات ولجان علمية وأدبية منها عضويته بالجمعية المصرية لعلوم الإنتاج

الحيوانى ، الجمعية المصرية لعلوم الوراثة ، الجمعية المصرية للنقد الأدبى ، اتحاد الكتاب ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، لجنة المعجم العربى الزراعى (الإنتاج الحيوانى) ، لجنة الكتب والموسوعات بأكاديمية البحث العلمى ، لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة .

سيدى الرئيس . سادتى الزملاء .

هذه لمحة عن حياة علمية وثقافية بالغة الثراء لعالم موسوعى جليل هو الأستاذ الدكتور أحمد مستجير عميدُ كلية الزراعة بجامعة القاهرة ورائد من رواد علوم الوراثة فى مصر الذى نستقبله اليوم عضوا بمجمع الخالدين والذى يبدأ عامه الحادى والستين بعد بضعة أيام .

وإنى على يقين أنه بعلمه وخبرته ومكانته سيكون خير عون للمجمع ليمضى بقيادته الرشيدة وعلمائه الأعلام فى مسيرته الرائدة نحو إعلاء شأن اللغة العربية ودفعها إلى آفاق رحبة من التطور لتواكب الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى ثورة المعلومات وفى تقدم العلم والمعرفة - وقبل أن أختم كلمتى يطيب لى أن أبعث بتحية خالصة إلى أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع راجيا الله أن يتم عليه نعمة الصحة والعافية وأن يكلأه بعنايته ورعايته .

وشكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود حافظ

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْمَدُكَ اللهمَّ سبحانكَ ، ونصلى ونسلمُ على أنبيائك ورُسُلِك ، وعلى خاتمهم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

سيدى الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية

سادتى الأجلاء أعضاء المجمع

أيها السيدات والسادة

سلامُ الله عليكم ورحمتهُ وبركاتهُ .

يعلم اللهُ مدى السعادةِ التى غمرتنى عندما علمتُ بنبأ انتخابى عضواً بمجمعكم هذا الموقر .

إنه تكريمٌ لم أكنْ فى الحق أتوقعه . لم يخطر ببالى أبداً أنْ سأحظى يوماً بهذا الشرف الجليل .

كيف أشكركُم ؟ كيف أعبرُ عن امتنانى لكم ؟ ثم كيف أشكرُ أستاذى الفاضل الدكتور محمود حافظ إبراهيم على كلمتهِ الطيبةِ التى تفضل بها ؟ وكيف أشكرُ أخى الكبير الأستاذ مصطفى حجازى على ما وجهه نحوى من تقدير وثقة أعتزُّ بها ؟ لا أدرى ، لقد عاد إلى ذاكرتى على الفور عندما وصلنى نبأُ انتخابى عضوا بهذا المجمع الموقر بيتان قالهما حافظ إبراهيم فى المجمع العلمى العربى بدمشق عندما استُقبل فيه ، ووُضعا بِخَطِّهِ فى مستهلِّ ديوانهِ :

شكرتُ جميلَ صنعكمُ بدمعى
ودمعُ العين مقياسُ الشعور
لأول مرة قد ذاق جفنى
على ما ذاقه دمعَ السرور

إن الانضمامَ إلى مجلسكم الموقرِ يعنى عندى الكثير . إنه يتيحُ لى فرصةَ التعلمِ على أياديكم الكريمة ، وفرصةَ الإسهامِ بجهدىَ المتواضعِ فى سبيل رفعةِ لغتنِا العظيمةِ ، لغةِ القرآنِ الكريم .

لقد سحرتنى يا أساتذتى الكرام اللغةُ العربية ، سحرتنى عبقريتُها ، سحرنى ذكاؤها ، مثلما سحرتنى شاعريتُها . ولأننى شرقىٌّ

مثلُكم ، فإن للماضى عندى تقديسَه ومعناه . واللغةُ عندى تعنى الزمن . الكلمةُ تحمل فى جوفها زمناً ، تاريخاً . إننى رجلٌ أعمل فى حقلِ علم الوراثة ، واللغةُ كالمادةِ الوراثيةِ ، تُوَرَّث ، تحفظُ السلالة . هى كالمادةِ الوراثيةِ تَحْفَظُ الزمنَ – التجربةَ فلا يضيع . هى كالمادةِ الوراثية تكثِّفُ الزمنَ وتشفِّره وتحفظُ الحضارةَ. كلُّ لفظٍ ، كلُّ جينٍ ، مشقلٌ بزمانٍ وتجربة . كلُّ جيلٍ بَشرىٍّ يستوعب ماضيه فى لغته وفى وراثتِه ، ويضيفُ إليه تجاربه لينقلَها لمن يلى . كلُّ فردٍ منا يحملُ داخلَه كتابَ وراثته المادىِّ واللُّغوى : كتابُ الوراثةِ المادىُّ هو ما يجعلنا بشرا ، وكتابُ الوراثة اللُّغوىُّ هو ما يجعلنا عربا ، ومثلما تتحورُ جيناتُنا القديمةُ وتتكيفُ وتعيدُ تنظيمَ نفْسها ، وتُبْطِلُ فعلَ البعض منها وتحيلُه إلى سَقَطٍ لتخدمَ متطلباتِ الحياةِ إذا ما تغيرت البيئة ، كذا تطفرُ الكلماتُ وتتحورُ وتتخذُ معانىَ جديدة إذا هى واجَهتْ عصراً جديدا يلزم استيعابُه . ونحن ندخلُ إلى عالمٍ جديد ، إلى بيئةٍ جديدةٍ طغى فيها العلم . وإرثُنا الذهبىُّ ، لغتُنا ، والحمدُ لله ، لغةٌ طيعةٌ مرنة ، بها من الثراءِ والسعةِ وإمكاناتِ التحويرِ والتأقلم ما لايوجدُ بغيرها . إنها بلاشك قادرةٌ على استيعاب لغةِ العصر العلمية.

عندما يكتسبُ الإنسانُ لغةَ أسلافِه ، فإنه يضيف إلى زمانِهِ زمان أسلافه ، إنه يَكْسبُ زمنا مضى ، زمناً يحملُ خبرةَ أسلافِهِ وحَضَارتَهم . والهندسةُ الوراثيةُ – واعذرونى إن أنا استخدمتُ مصطلحاً من مصطلحات علم الوراثة الحديث – هى نقلُ جيناتٍ من كائنٍ إلى آخَرَ لا يَمُتُّ إليه إلا بِصِلَةِ الحياة . هى إضافةُ زمانِ كائنٍ حىٍّ إلى زمانِ آخرَ غريبٍ عنه . هى إضافةُ الخبرةِ التى جمَّعها كائنٌ فى مادته الوراثية على طول حياته وحياةِ أسلافِه ، إلى كائنٍ آخرَ غريبٍ عنه تماماً ، يمكنه استغلالُها والتمتعُ بها .

إن هذا شئٌ مذهل ، وما يذهلنا فى الحق هو مزجُ الزمن ، نقلُه فى صورةِ مادةٍ من كائنٍ إلى آخر . على أن الكائنَ المُطَعَّمَ يبقى كلاًّ كما هو محتفظا بكيانِهِ الأصلى . أترانى أقولُ إننا فى جوفِ عصرٍ يتطلَّبُ منا بعضاً من التطعيم اللُّغوى ؟ أن نُطَعِّمَ لُغَتَنا بمصطلحاتٍ جديدةٍ غريبةٍ عليها ، تجلبُ معها تاريخهاً ؟ لكنكم تقومون بهذا بالفعل ، بل ولقد قام به العربُ

من زمانٍ طويل . وفى طيَّاتِ كلِّ تلك المعاجم الرائعةِ التى خرجت عن هذا المجمعِ الموقرِ مايشهدُ بذلك . ثمةَ فى الغرب مَنْ ينادى الآنَ بالتوقفِ وإعادةِ النظرِ فى أمرِ هذا التطعيمِ الجينىِّ خشيةَ إنتاج كائناتٍ مشوَّهة لا تُعرف لها هُويَّة . وهكذا على ما أرى يكونُ الأمرُ مع التطعيمِ اللُّغَوى – حتى لاننتهى بِلُغَةٍ بلا جُذورٍ ولا هُوية ، نفقد معها تراثَنَا – حضارَتَنا .

ياسادتى الكرام .

مزجتُ اللغةَ بالوراثةِ غصبًا عنى ، فعلمُ الوراثةِ كما ذكرتُ هو مجالُ تخصصى ، واللغةُ العربيةُ هى معشوقتى . وعلمُ الوراثة الحديثُ هو أهمُّ علومِ العصرِ الجديدةِ وأخطرُها . سيغيرُ هذا العلمُ وجهَ الحياةِ فى القرن القادم ، وأنا أعنى هذا حرفيا .

لقد بدأتْ آثارُه تَبِينُ بالمجتمعات الغربية ، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعقائديا وفلسفيا ، وستمتد آثارُه لتغمرَ كلَّ ركن من أركان حياتنا وحياةِ كلِّ كائنٍ حيٍّ على هذه الأرض .

وهو يمضى بعجلةٍ متسارعةٍ ، مولِّداً مصطلحاتِه الجديدة . إن المعارفَ البيولوجية كما يقولون تتضاعف كلَّ خمسِ سنوات ، أما المعارفُ فى علمِ الوراثة فتتضاعفُ كلَّ أربعةٍ وعشرين شهرا . وهذا المجمعُ الخالدُ قادرٌ لاشك على أن يلاحق هذا التطورَ ، وأن يضيفَ إلى معاجمِه – التى يحقُّ له أن يفخرَ بها – أولَ معجمٍ عربىٍّ فى علوم الوراثة . لقد أصبح مثلُ هذا المعجمِ الآن ضرورة . إن لى اجتهاداتى الكثيرةَ فى هذا المجال ، وها قد أتَحْتُم لى الفرصَةَ كى أعرضَها عليكم إن رأيتم أن نشرعَ فى هذا العمل .

وإسمحوا لى أيضا ، إنْ أذنتُم ، أن أقولَ إن علم البيئةِ يطلبُ هو الآخرُ بعضا من اهتمامكم . كلُّنا لاشك يدرك مايعنيه هذا العلمُ فى عصرٍ نُهَدِّدُ فيه بيئَتَنا ، وتهددنا . ومصطلحاتُ هذا العلمِ هى الأخرى تتزايدُ وتتراكمُ ، ولغتنا تطلبُ منكم معجمًا عربيا ، قبل أن تتباينَ الاجتهاداتُ ويصعب توحيدُها .

ياسادتى الكرام

من بين التقاليدِ الراسخةِ الجليلةِ والجميلةِ التى تميزُ هذا المجمعَ الخالدَ أن يقومَ كلُّ عضوٍ جديد بالتعريفِ بمن سبقه . ولقد كان سلفى الأستاذُ الدكتور محمد الطيب النجار رحمه

الله رجلاً عظيما بكل مافى هذه الكلمةِ من معنى . لم ألقاه حقا وجها لوجه ، ولكنى قرأتُ عنه وله الكثير . كتب عنه الدكتور السيد الطويل يقول " ما رأيت بين الشيوخ قلبا نابضا بالحب ، مُفْعما بالصفاءِ والنقاءِ ، كقلبِ هذا الرجل ... لقد كان بين جنبيْ هذا الرجلِ قلبُ طفل ، ينبض حبا فطريا يبذله بسخاء عظيم»، وكتب عنه الدكتور محمد إبراهيم الفيومى يقول " كان جمَّ التواضع ، منَ الذين يألفونَ ويُؤلَفُون ، شديدَ الحب لتلاميذه ، ودوداً فى علاقاته ، مبتسما دائما حين تلقاه " . إن الرجلَ الذى يُقالُ فيه مثلُ هذا الكلام لابد أنْ كان رجلا عظيما ، له فى قلوب مَنْ حَولَهُ منازلُ ، ولابد أنْ قد ترك بينكم فراغًا هائلاً ، أنَّى لى أن أملأه .

ولد الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رحمه الله فى عزبة النجار مركز أبوحماد شرقية فى ٢٥ يونيو سنة ١٩١٦ ، عن أب من علماء الأزهر ومن شيوخ معاهده . حَفِظَ القرآن الكريم فى كُتَّاب القرية وبالمسجد الأحمدى بطنطا قبل أن يلتحقَ بمعهدِ الزقازيق الدينى عام ١٩٢٦ لينالَ الثانوية الأزهريةَ عام ١٩٣٥ فيلتحق بكلية أصول الدين بالقاهرة ، ويحصلَ على الشهادة العالية سنة ١٩٣٩ ، ثم الدكتوراه عام ١٩٤٦ فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ويتدرج فى السُّلَّم العلمى حتى يصبحَ أستاذاً فرئيساً لقسم التاريخ والحضارة بالكلية عام ١٩٧١ . اختير بعد ذلك وكيلا للأزهر الشريف وعضواً بمَجْمَع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٩ . ثم عُين رئيساً لجامعة الأزهر الشريف عام ١٩٨٠ ، ليستمر فى هذا المنصب حتى آخر أغسطس ١٩٨٣ . ولقد شَرُفَ هذا المجمع الموقر بعضويته عام ١٩٨٣ ، واستمر به حتى وفاتهِ رحمه الله عام ١٩٩١ . عمل عضوا دائما بالمجالس القومية المتخصصة ورئيسا للمركز الدولى للسيرة النبوية بوزارة الأوقاف ، ومقرراً للجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . كان رحمهُ الله هو المرجعَ الصحيحَ فى التاريخ الإسلامى وهو الرائدَ فى منهج التحقيق لقضاياه . كرمته الدولة فَحَصَلَ على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى ووسامَ العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، كما نال شهادة

تقديرٍ وشرف من ولاية تكساس بأمريكا إثْرَ زيارتِهِ لها . له من المؤلفات القيمة الكثير :

- النبأ الصادق فى تفسير سورتى الأنفال والقتال .
- تفسير جزء تبارك وسورة النور وجزء قد سمع .
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم (مع آخرين) .
- تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .
- تدوين السنة النبوية .
- العدل المبين فى سيرة سيد المرسلين . (وقد نال هذا الكتاب الجائزة العالمية الكبرى لأحسن كتاب فى السيرة النبوية فى المؤتمر العالمى للسيرة الذى عقد بباكستان فى نوفمبر ١٩٨٥)
- المَوَالى فى العصر الأموى .
- نظرات فى عصر الخلفاء الراشدين
- الدولة الأموية فى الشرق « بين عوامل البقاء وعوامل الفناء » .
- من وحى البلد الأمين .
- الصليبيون وصلاح الدين
- مشاهير الأئمة فى الفقه والحديث .
- القبس الوضاء فى سيرة خاتم الأنبياء
- دراسات فى السيرة النبوية .
- محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامى .

ولقد حضر رحمه الله الكثير من المؤتمرات الإسلامية واشترك فيها ببحوث : فى الهند والباكستان وسرى لانكار والولايات المتحدة والكويت وتونس والجزائر والمغرب وغينيا والسنغال وساحل العاج .

هذا موجز سريع لحياة وأعمال فقيدنا الكريم رحمه الله . كان يتخلق بخلق المسلمِ الصحيح ، أدبا وسماحةً وتواضعاً . كان ذاعلم واسع غزير أفاض منه على تلاميذه وعلى جموع المسلمين . كان يحمل النفسَ الصافية الراضية . تغمده الله برحمته ، وأكثر من أمثاله ، وأجزل له الثواب جزاء ما قدم للإسلام والعربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أحمد مستجير مصطفى

عضو المجمع

كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد

الدكتور على محمد الحديدى

للأستاذ الدكتور بدوى أحمد طبانة

سيدى الرئيس الجليل .

سادتى وإخوتى أعضاء مجمع اللغة العربية .

أيها الأصدقاء .

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وأوليائه هداة الأنام ، ومصابيح الظلام وبعد ،

فإننى باسم هذا المجمع الموقر أحييكم وأرحب بزميل جديد وأخ كريم ينضم اليوم إلى هذه الأسرة التى تنتظم الصفوة المختارة من أولى الفضل وأقطاب المعرفة من سدنة الفصحى ، والقوامين على لسان العرب ، والحفظة على لغة القرآن المجيد .

وزميلنا الجديد الدكتور على الحديدى واحد من أولئك الرجال الذين أمضوا ماسلف من حياتهم المباركة فى أحضان هذه اللغة العربية طالبًا لها ، ومتخصصا فى أدبها ، ومعلما لطلابها فى مصر قبل أن يزمّ رحاله إلى أوربا ليمتاح من علمها ، وليحصل على الدكتوراه من جامعة لندن فى الأدب العربى ويعود إلى رحاب الوطن لينتظم فى سلك هيئة التدريس الجامعى ، فيعين مدرسا للغة العربية وآدابها فى كلية البنات بجامعة عين شمس ، ويرقى إلى درجة الأستاذ المساعد ، ثم إلى درجة الأستاذية ، حتى يختار رئيسا لقسم اللغة العربية فى تلك الكلية ، ثم يختار وكيلا لها ، حتى يبلغ سنّ التقاعد ، فيعين أستاذاً متفرغا بها .

تلك بإيجاز شديد لمحات من حياة خصبة قضاها على الحديدى فى وجوه من الطلب وإعداد النفس لمزاولة أشرف مهنة ، وأكرم صناعة من الصناعات التى يزاولها الإنسان ، وهى صناعة التعليم أمل العلماء الذين هم

ورثة الأنبياء ، وقد أبلى فيها أحسن البلاء ، واحتل منزلة مرموقة بين الأنداد والنظراء .

ذلك أنه بعد حصوله على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم سنة ١٩٤٩ م لحق بكلية التربية ليحصل على دبلومها العام فى التربية وعلم النفس بعد سنة واحدة ، عمل بعدها مدرسًا بوزارة التربية والتعليم خمس سنوات ثم رحل إلى إنجلترا ليحصل منها على درجة الدكتوراه ، ويكون الموضوع الذى تخيره لأطروحته سيرة علم من أعلام الوطنية والجهاد ، وفارس من فرسان الكتابة والخطابة هو السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية .

وفى رأيى أن عبد الله النديم فوق ما يمثله من صور الوطنية والجهاد بفكره ومشاعره ، وبقلمه ولسانه ، كان يمثل مرحلة من أهم المراحل فى تاريخنا الأدبى ، وتاريخ لساننا العربى .

ذلك أن الفترة التى شهدت كفاح النديم شهدت كذلك صحوة فى الأدب المصرى ، أو الأدب الشعبى الذى اتخذ العامية لغة له ، ونشأت طبقة من شعراء العامية أبدعوا فى صناعة الزجل ، واتسعت أزجالهم لوصف حياتهم والتعبير عن مشاعرهم وأمانيهم ، وسائر خواطرهم ، وبرزت فى أعمالهم الروح المصرية كما بدا فيها آثار حضور البديهة ، والقدرة الفائقة على الارتجال ولم ينقصهم الإتقان فى معانى الزجل ، أو إجادة التصوير ، أو الإبداع فى التخييل ، ولم يقعد به عن اللحاق بركب الأدب الرفيع إلا أنه اتخذ من اللغة العامية أداة للمحاكاة الشعرية. وكذلك شهدت تلك الفترة حركة بعث الشعر العربى الفصيح بعدما أصابه من التخلف والركود فى أعقاب الفترة المظلمة فى تاريخ الأمة العربية، وفارس هذه الحلبة ، وحامل لواء النهضة هو محمود سامى البارودى ربّ السيف والقلم .

وفى اعتقادى أن إعجاب الدكتور على الحديدى بشخصية النديم ومواقفه الوطنية وأدبه المطبوع هو الذى أغراه بدراسته ، وهو الذى أغراه أيضاً بتلك الدراسة الخصبة المنهجية لشخصية البارودى وشاعريته ، فكلا الرجلين بطل من أبطال الوطنيةِ والجهاد والتضحية

فى سبيل الوطن ، وفارس من فرسان ثورة مصر التى قادها الزعيم أحمد عرابى لمقاومة الاحتلال والطغيان وإن فرّق بين البطلين براعة النديم فى الشعر الشعبى ، وتفوّقه فيه، وحفاظ البارودى على عمود الشعر العربى ، وتفوّقه فيه بالرجوع إلى نماذجه العليا فى العصور الذهبية للأمة العربية وأدبها وبيانها.

عاش النديم والبارودى فى فترة استحكم فيها الشعر العامى واستجاد وأخذ شعر الفصحى فى نفض ما غشيه من غبار السنين ، ليستأنف مسيرته الجادة نحو النضج والاكتمال فى مضموناته ، وفى أُطُره وقوالبه الخليلية ، كما رأينا فى شعر البارودى حامل اللواء ، وفى أشعار إسماعيل صبرى وأحمد شوقى وحافظ إبراهيم وأحمد محرّم ومحمد عبد المطلب وعلى الجارم ورضا الشبيبى ومعروف الرصافى وأضرابهم من المجيدين على اختلاف فى منازعهم واتجاهاتهم .

ولاشك أن تلك الفترة التى عاش فيها البارودى والنديم تحتاج إلى تجلية ، وإلى دراسة واعية ينهض بها المختصون من علماء اللغة ونقاد الأدب ، يبحثون بحثا عميقا فى الظروف الاجتماعية ، والعوامل الفنية ، والدوافع النفسية ، وآثار الزمان والمكان فى اجتماع هاتين الظاهرتين اللتين أشرنا إليهما فى بيئة واحدة وفى زمان واحد .

وأعتقد أن زميلنا الجديد ، وصديقنا القديم الدكتور على الحديدى أجدر الناس بهذا العبء ، وأقدرهم على حمله ، فقد راد الطريق ، وخاض فى هذا المعترك فى كتابته الجديرة بالتقدير عن عبد الله النديم ومحمود سامى البارودى .

وأنت إذ تجلس إلى على الحديدى تروعك دماثة خلقه وهدوء طبعه ، وسكينة نفسه ، ولكنك ستعرف أنك تجلس إلى رجل يحمل بين جنبيه فؤادًا ذكيا ، وقلبا نابضا بالحياة ، وستراه محبًا للحركة ولوعا بالأسفار ومزايلة الديار ، تدفعه روحه الوثابة ، وهمته العالية إلى النقلة والنزوح من شرق إلى غرب ، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، حتى لكأنه نضو أسفار ، وجوّاب آفاق ، ولكنه لايجرى وراء عرض من أعراض الدنيا ، فقد كفاه الله

مـئـونتـهـا ولكنه باحث عن المعـرفـة ، وطالب للحكمـة التي هي ضـالـة المؤمن ينشـدها أنّى توقعها . وكأنه عضو في مملكة النحل يجوب الرياض ، ويتنقل بين الرياحين والأزهار ، يمتصّ رحيقـها ، ويختزن سلافها ، ليخرجه شرابا سائغا، بل علما نافعا فيه شفاء لما في الصدور ، وريّ للنفوس الظماء إلى المعرفة النافعة التي تنمي العقول وتشحذ الألباب .

سافر إلى إنجلترا كما أسلفنا ، والتحق بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن وحصل منها على درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٩ م ، وعاد إلى مصر ليعين مدرسًا بكلية البنات بجامعة عين شمس سنة ١٩٦٠ م ، وما لبث أن سافر إلى استراليا ليعمل أستاذاً للعربية وآدابها والدراسات الاسلاميه في جامعة ملبورن سنة ١٩٦٣ ويمضي فيها عامين متتابعين ليعلم أبناء تلك البلاد اللغة العربية ويوقفهم على مبادئ الإسلام .

وأعتقد أن تلك الفترة التي قضاها الدكتور علي الحديدي هناك على قصرها كانت من أخصب فترات حياته العلمية ، وأحفلها بالإفادة والعطاء ، فقد كتب فيها كثيرا من المقالات والبحوث ، بلغته العربية الأصيلة ، وباللغة الإنجليزية التي حذقها ، وكانت غايته توقيف القارئ العربي على جوانب مهمة من أحوال تلك البلاد في الاجتماع وفي الفكر والثقافة التي لم يكن يُعرف منها إلا أقل القليل ومن تلك البحوث التي كتبها ونشرها :

١ - مستقبل الدراسات العربية والإسلامية في جامعات استراليا .

٢ - الإسلام في استراليا .

٣ - الحركة الأدبية والثقافية في استراليا .

٤ - المسلمون في استراليا .

٥ - المسرحية الاسترالية : أصولها ومنابعها .

٦ - تطور المسرحية في استراليا ، ومدارسها الأدبية .

٧ - الحركة الأدبية في استراليا .

٨ - الهجرة الإسلامية إلي استراليا .

٩ - ترجمة مسرحية البرج الاسْترالية إلى اللغة العربية .

ولاشك أن هذه الكتابات تصور عمق التفاعل بينه وبين البيئات التى عاش فيها ، كما تصور وجوه النشاط التى وعاها بنفسه ، وأدرك عن كثب أبعادها .

أما اللغة العربية فقد اتصلت عنايته بها وغيرته عليها ودفاعه عنها ، ومن الموضوعات التى عالجها فى هذا المجال :

* اللغة العربية تواجه التحديات العالمية .
* الارتقاء بأسلوب الكتابة بين الموظفين .
* تعليم اللغة العربية لغير العرب وكتب فى هذا الموضوع كتاب

« مشكلة تعليم العربية لغير العرب » كان من حصاد سفْرَتيه إلي انجلترا وأستراليا فى تعليم العربية لغير أهلها ، مزج فيه النظرية بالتطبيق العملى مع خبرته فى تعلم الإنجليزية، ووضع منهجاً لمتعلمى العربية . وطريقة لمدرسيها ؛ ومن ثم خرج الكتاب حجة فى بابه، ومرجعا فريداً بين أيدي الباحثين والمدرسين حين صدر عام ١٩٦٧ ، فكان من أول ماكُتب فى هذا المجال باللغة العربية .

وعمل فى ألمانيا ، وفى سرايفو التابعة لدولة يوجوسلافيا آنذاك وعمل فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة زمنًا طويلا ولم تعدم البلاد العربية حظها العظيم من عناية الدكتور على الحديدى وإفادة جامعاتها من علمه الغزير وتجاربه الطويلة ، وخبرته الواسعة بأصول لغة العرب وعلومها وآدابها ، فيعار للجامعة الليبية فى طرابلس أربع سنوات ، والجامعة الكويت أربع سنوات ، ويعمل أستاذاً زائراً فى جامعة قطر وفى جامعة الرياض .

وفى هذه السنين التى قضاها الدكتور على الحديدى بالجامعات قام بتدريس الأدب العربي الحديث وناقش وأشرف على العديد من الرسائل العلمية ، فخرج على يديه أجيال من الباحثين والدارسين لدرجتى الماجستير والدكتوراه .

ومما يذكر للدكتور على الحديدى أنه واحد من الأفذاذ الذين عنوا بأدب الطفل منذ زمن بعيد ، فألف فيه كتابا قيما كان من أول ماكتب في هذا الأدب باللغة العربية ويعد مرجعا أصيلا وشاملا للمدرسين والباحثين فى هذا الجنس الأدبى الذى بدأ الاهتمام بالبحث فيه من أمد قريب ، هذا بالإضافة إلى البحوث

الضافية التى كتبها ، والمحاضرات التى ألقاها .

- ولعل ما كتبه الدكتور على الحديدى من مقالات ، وما ألقى من محاضرات ، وما ألف من كتب تناولت المسئولية فى تربية الأطفال بين المدرسة والأسرة ، وإشراك الآباء مع المعلمين فى هذه التربية والدعوة إلى قراءة الأطفال خارج فصول الدراسة هو الذى نبه المسئولين في السنوات الأخيرة إلى ضرورة العناية بتربية الأبناء وتشكيل مجالس الآباء والمعلمين ، وتشجيع الأطفال على القراءة الحرة، وإنشاء المكتبات الثابتة والمتنقلة لتيسر لهم متابعة القراءة والاطلاع لتنمو مواهبهم ، وتشحذ ملكاتهم ، وتلك وسيلة من أهم الوسائل فى بناء الإنسان ، وإعداد ناشئة اليوم ليكونوا بحق رجال الغد ، ومعقد الأمل فى المستقبل .

أيها الأصدقاء ......

إن ما ذكرت لكم فى هذه الكلمات لا يمثل غير سطور قليلة من ذلك السفر الضخم الحافل الذى خطه زميلنا الدكتور على الحديدى بما آتاه الله من فضله ، وبما وهبه من قدرات على العمل الجاد والعطاء الموصول .

ويجىء إلينا اليوم محملاً بهذه الطاقات الهائلة لتثرى به أعمالنا فى هذا المجمع العتيد، فمرحبا به ومرحبا .

والسلام عليكم ورحمة الله

بدوى طبانة

عضو المجمع

كلمة الدكتور على محمد الحديدى
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية .

السيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية

السيد الأستاذ الكبير الأمين العام لمجمع اللغة العربية .

الزملاء الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية

أيها السادة :

فى حياة كل إنسان لحظة تستحق أحداثها أن تكتب بحروف من نور ، وكانت فى حياتى هى تلك اللحظة التى نبئت فيها خبر تشريفى بعضوية مجمع اللغة العربية . ذلك الصرح الشامخ الذى ترنو إليه عيون الصفوة من المفكرين الحكماء .

والحق - أيها الزملاء - أن نبأ انتخابى عضوا بمجمعكم الكريم كان مفاجأة لى ، وما أسعدها من مفاجأة ، فلم يكن لى سابق عمل مع المجمع ولجانه من قبل ، وإن كنت أتابع مؤتمراته وما يلقيه الأعضاء فيها من بحوث لغوية أصيلة ، وأفيد كثيرا مما تنشره مجلته من مقالات قيمة . ومن هنا ، كان الانتساب إلى مجمعكم الموقر أملا يراود النفس وإن كان بعيد المطلب ، وطموحا يهفو إليه القلب وإن كان صعب المرتقى . والفرق كبير بين الأمانى ومثولها حقيقة ملموسة .

ومن أجل ذلك كله ، كان فضلا غامرا منكم أن ترونى جديرا بثقتكم الكريمة ، هذه الثقة ، كان وقعها على نفسى جارفا آخذا بجمّاع قلبى، كما أغرقتنى فى فيض من الانفعال الصادق النبيل ، وبعثت فى نفسى سعادة غامرة واعتزازا وفخرا صادقين . وكان مبعث هذه السعادة وذلك الاعتزاز والفخر ، هو أن الأمل الأكبر فى حياتى قد تحقق ، وأصبحت زميلا لهؤلاء الصفوة من سدنة اللغة وحراسها

، وشرفت بأن أصبحت عضوا بمجمعكم رفيع العماد الذى تهفو إليه أفئدة الذين أوتوا البصيرة من العلماء .

ومهما حاولت أن أقابل هذه المكرمة التى أسديتموها إلىّ ، ومشاعر الصدق التى غمرتمونى بها ، وحسن الظن الذى توسمتموه فىّ ، فما أرانى إلا قد بلغت مرحلة القصور فى التعبير عما فى نفسى من إحساس بالفضل ، وشعور بالجميل . ولن أجد لذلك كلّه كِفاء من شكر ، ولا وفاء من عرفان . والله وحده أسأل أن يجزيكم عنى الجزاء الأوفى .

بيد أن هذه الثقة التى طوقتم بها عنقى أمانة لها تبعات جسام ، تشق على كثيرين من صفوة العلماء ، ويشفق من حملها خيرة المفكرين ، فكيف لى وجهدى أمام جهودكم أراه قليلا قليلا ، والخشية من العجز والتقصير فى مواجهة الثقة وحسن الظن أراها كبيرة . ولكنى أعاهدكم أن أبذل كل طاقاتى وقصارى جهدى لكى أصبح على مقربة منكم ، وأكون جديرا بزمالتكم ، خليقا بالمكان الذى شرفتمونى بأن أشغله ، وأهلا لشرف الانتساب إلى مجمعكم العظيم .

أما أخى وصديقى الأعز ، العالم الأديب ، والنطاسى الأريب الأستاذ الدكتور بدوى طبانة ، فلا أدرى كيف أوفيه حقه من الشكر والتقدير على حسن استقباله ، وصادق مودته وكريم وفائه ، بعد أن خلع علىّ جميل صفاته ، وعكس نبل شمائله ، والطيب لا يُنبت إلا طيبا . وهو اليوم بموقفه الكريم هذا ، يثير فى نفسى ذكريات لأيام طيبة قضيناها سويا ونحن نعمل أستاذين زائرين بجامعة طرابلس الغرب بليبيا ، إذ أراه اليوم كما رأيته بالأمس ، هو هو صاحب فضل على كل من يعرفه ، وهو دائما أصدق الزملاء وخير الأصدقاء فى الحل والاغتراب .

أيها السادة :

من سنن المجمع النبيلة الدالة على صدق الوفاء أن يتذكر السابقين من أعضائه ، أولئك الذين رحلوا عنه ، وأن يحيى ذكرى الأسلاف الذين أسهموا فى أداء رسالته ، وحملوا راية اللغة حتى أتاهم اليقين . فاللاحقون الجدد

يذكرون سابقيهم بما قدَّمت أيديهم للغة العربية ، والعضو الجديد يتحدث عن سلفه ممن شغل الكرسى الذى اختير له .

وإذا كنت اليوم أنال شرف استقبالى عضوا فى مجمع اللغة العربية ، فإنى أشرف كذلك ، بأن أكون خلفا لعلم من أعلام اللغة والأدب والفن ، عظيم الخلق ، كريم السجايا ، طيب العنصر والمحتد . عرف فيه التواضع الجم ، والإنسانية النبيلة ، والسماحة الحميدة ، هو الأستاذ الدكتور يوسف مجدى مراد وهبة ، والذى شغل المكان من عام (١٩٧٩) تسعة وسبعين وتسعمائة وألف إلى وفاته عام (١٩٩١) واحد وتسعين وتسعمائة وألف .

وإذا كنت لم أشرف بالاتصال المباشر بسلفى الكريم فإن سمعته العلمية ، وشخصيته الاجتماعية المحببة إلى الناس ، وخلقه الكريم جعله ملء السمع والبصر فى مصر والعالم العربى ، وفى المحافل الأدبية والفنية خارج البلاد العربية .

ومن هنا أحسست بثقل العبء الذى ألقى على كاهلى ، فالدكتور مجدى وهبة هو من هو علما ولسانا تخطى بهما آفاق وطنه إلى العالم الخارجى ، ونشاطا دائبا فى المجالات الأدبية والثقافية والفنية : المحلية منها والدولية . فأين أنا من ذلك كله ؟ أسأل الله أن يمنحنى عونه لأملأ جزءا من الفراغ الذى تركه سلفى العظيم .

والأستاذ الدكتور مجدى وهبة ولد عام (١٩٢٥) خمسة وعشرين وتسعمائة وألف بمدينة الإسكندرية ، لكنه تلقى تعليم ما قبل الجامعة بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة ، ثم التحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وتخرج فيها عام (١٩٤٦) ستة وأربعين وتسعمائة وألف ، ثم سافر إلى فرنسا مبتعثا ليواصل دراسته العالية فى القانون بجامعة باريس ، تلبية لرغبة أهله . ودراسة القانون فى ذلك الزمان كانت مفتاحا للمناصب الرفيعة فى الدولة . ولم يخيب الشاب مجدى وهبة الرجاء المعقود عليه ، فنال درجة الدبلوم العالى فى القانون الدولى عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٧) .

لكن الباحث مجدى وهبة وإن أرضى أهله بدراسة القانون فى باريس ، إلا أن نفسه لم

تكن مع هذا الطريق ، إذ كان هواه مع الأدباء ، وهوايته دراسة الأدب . وشتان مابين المجالين مجال القانون الذى يتوخى العقل ويتأصل بالتفكير . والأدب النابع من العاطفة والوجدان فتسكن إليه النفس العاشقة للحرية ، الهائمة فى أودية الجمال والخير والمحبة . وهى نفس صاحبنا مجدى وهبة التى سكنت إلى الأدب ، ووجدت حقيقتها فيه .

ولم يتردد بعد أن عرف طريقه ، بل عقد العزم على أن يسير فيه ، ويرضى نفسه كما أرضى أهله ، فشد الرحال إلى بريطانيا ، والتحق بكلية إكستر بجامعة أكسفورد الشهيرة ، وحصل منها على الليسانس بمرتبة الشرف فى الأدب الإنجليزى عام (١٩٤٩) تسعة وأربعين وتسعمائة وألف ، وتأهل بذلك لدراسة الماجستير ، ثم حصل من نفس الجامعة على درجة B.Litt وهى شهادة الليسانس فى الآداب تعادل الماجستير فى جامعاتنا المصرية فى قيمتها العلمية ونظامها الدراسى . وفى عام (١٩٥٧) سبعة وخمسين وتسعمائة وألف حصل على درجة الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى من جامعة أكسفورد ، وبذلك جمع بين الدبلوم العالى فى القانون من جامعة باريس وأرفع الدرجات فى الأدب الإنجليزى من أعرق جامعات بريطانيا . وفى العام نفسه عاد إلى الوطن ، وفى صحبته زوجته الإنجليزية ، التى تخرجت فى نفس الجامعة من قسم الرياضيات Mathematics .

وفتحت جامعة القاهرة ذراعيها لتستقبل هذا النابغة المحب لوطنه العائد إليه ، لتفيد من إمكاناته اللغوية والأدبية . فعمل أولا مدرسا للغة الإنجليزية بكلية التجارة ، ثم نقل إلى مكانه الطبيعى مدرسا بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب . وفى عام (١٩٦٥) خمسة وستين وتسعمائة وألف رقى أستاذاً مساعداً .

وبعد عام واحد (١٩٦٦) هيأته سمعته الأدبية واللغوية ، والاجتماعية التى ترددت فى المحافل الأكاديمية ، وطافت بالآفاق الأدبية والثقافية ، كى ينتدبه وزير الثقافة آنذاك وكيلا للوزارة لشئون العلاقات الثقافية الخارجية أوّل نشأتها ، وقد أحيل إليها

اختصاصات وزارة العلاقات الثقافية بكاملها بعد إلغائها . وقد قال عنه السيد الدكتور ثروت عكاشة الوزير الذى عمل معه : إنه لم يجد من هو أقدر من الدكتور مجدى وهبة ليتولى هذا المنصب . ففى مدى السنوات الأربع التى قضاها وكيلا للوزارة قام بدور بارز فى ميدان العلاقات الثقافية الأجنبية ، ووضعها على الطريق السليم ، وذلك بصلاته الحميمة بالأوساط الأدبية ، والفنية ، والعلمية الأجنبية . وتحمّل شخصيا - كما يقول السيد وزير الثقافة آنذاك - عبء المهام التنظيمية " لمهرجان ألفية القاهرة " الذى استمر عاما كاملا ، واتصل بدول العالم لتشترك فى هذا المهرجان بإقامة المعارض ، والمتاحف ، وبالفرق المسرحية والأوبرالية ، والموسيقية ، وغيرها من الفرق الفنية . كما أنه أشرف إشرافا كاملا ، تحريرا وتنظيما ، على إصدار عدد من المجلات الثقافية والفنية باللغتين الإنجليزية والفرنسية ، لتقدم للعالم حضارتنا الفرعونية والمصرية . وكان بذلك خير من تولى هذا المنصب فى تاريخ وزارة الثقافة .

عاد د. مجدى وهبة إلى الجامعة عام (١٩٧٠) سبعين وتسعمائة وألف ، وبعد عامين رقى أستاذاً (١٩٧٢) . وفى عام (١٩٧٩) تسعة وسبعين وتسعمائة وألف اختاره مجمع اللغة العربية عضوا خلفا للعالم الكبير الأستاذ عبد الحميد حسن ، وفى عام (١٩٨٥) خمسة وثمانين وتسعمائة وألف قرر أن يحدَّ من نشاطه فى الجامعة ، فطلب أن يعين أستاذا غير متفرغ ، ليجد من الوقت متسعا لقراءاته ، وليقضى ما بقى له من عمر ، وقد أصابه المرض ، فى هدوء وتأمل . وبهذا القرار أضاف إلى هيبة الأستاذ قيمة المثقف وقدرته على أن يحقق لنفسه ذلك التوازن الضرورى كى يعايش مرضه فى سكينة وسلام وبنفس مطمئنة بما قدم من أعمال لصالح أمته ولغته العربية . ثم افتقده المجمع ، والجامعة ، والمحافل الأدبية ، والهيئات الثقافية والفنية عام (١٩٩١) واحد وتسعين وتسعمائة وألف . ذهب الدكتور مجدى وهبة وبقيت ذكراه فى آثاره العلمية وسمعته الطيبة " والذكر للإنسان عمر ثان " .

النتاج العلمى للدكتور مجدى وهبة :

أما آثاره العلمية فهى واسعة الأفق ، ممتدة على أنواع من المعرفة متعددة الاتجاهات ، وقد ساعده على تنوع أنشطته العلمية إتقانه كثيرا من اللغات ، فهو إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، كان يتقن الانجلوساكسونية ، مع أن عارفيها قليلون حتى فى بريطانيا نفسها ، ويتقن كذلك اللاتينية واليونانية والإيطالية ، ويعرف الروسية ، ومن ثمَّ تعدد نشاطه ما بين ترجمات إلى اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية وترجمات منها ، وتصنيف لمعاجم لغوية فى مجالات منوعة ، وتأليف وإبداع ، وإشراف على إخراج كتب فى مجالات مختلفة .

النشاط العلمى فى الترجمة :

وتتجلى مقدرة الدكتور مجدى وهبة فى مجال الترجمة ، تصديه لنصوص من أعمال قمم فى النقد والأدب فى عصور مختلفة ، فترجم لجفرى تشوسر ، وصموئيل جونسون ، وترجم ملحمة بيولف وهى باللغة الأنجلوساكسونية . كما ترجم لجان جيرودو ، ولجون درايدن ، وجان آنوى ، ولطه حسين ، وإبراهيم المازنى .

ومن ترجماته إلى اللغة العربية :

١ - " رسائل إلى ميلينا " ، لفرانز كافكا (بالاشتراك مع أحمد أبوزيد) عام ١٩٥٤ .

٢ - " وقصة راسيلاس أمير الحبشة " : للدكتور صموئيل جونسون (بالاشتراك مع الأستاذ كامل المهندس) عام ١٩٥٩

٣ - ومسرحية فرنسية لجان جيرودو بعنوان " لن تحدث حرب طروادة " . (منشورة كملحق لمجلة المسرح) عام ١٩٦٤

٤ - ومقال فى الشعر المسرحى : لجون درايدن (بالاشتراك مع الدكتور محمد عنانى) ١٩٦٤

٥ - ومقال " قدماء الإنجليز وملحمة بيولف " عن الأنجلوساكسونية عام ١٩٦٤

٦ - ومسرحية فرنسية لجان آنوى بعنوان " آرديل " (منشورة كملحق لمجلة المسرح) عام ١٩٦٥

٧ - وحكايات كنتربرى لجفرى تشوسر . (بالاشتراك مع عبد الحميد يونس) عام ١٩٨٤

ومن ترجماته إلى اللغة الإنجليزية :

١ - ثلاث محاضرات فى الفن . لرينيه هج ، عن الفرنسية ، تحت عنوان : Three Lectures on Art عام ١٩٦٥

٢ - و " أحلام شهرزاد " لطه حسين تحت عنوان The Dreams of Scherazade عام ١٩٧٤

٣ - وقصة " إبراهيم الكاتب " لإبراهيم المازنى تحت عنوان : عام ١٩٧٦ ، (Ibrahim The Writer)

النشاط المعجمى :

وقد صنف الدكتور مجدى وهبة من المعاجم مجموعة منوعة أفاد ويفيد منها الكثيرون ومنها :

١ - An Arabic phrase Book For Use in The U. A. R. عام ١٩٦٤ .

٢ - ومعجم مصطلحات الحضارة العلمية والتقنية والثقافية . عام ١٩٦٨

٣ - والمساعد فى دراسة اللغة العربية للنقد الأدبى (بالاشتراك مع شارلز فيال) عام ١٩٧٠

٤ - ومعجم الفن السينيمائى باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية . (بالاشتراك مع الأستاذ أحمد كامل مرسى) عام ١٩٧٣

٥ - ومعجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب باللغتين العربية والإنجليزية (بالاشتراك مع الأستاذ كامل المهندس) عام ١٩٨٤

٦ - ومعجم مصطلحات الأدب باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية عام ١٩٨٥

٧ - ومعجم العبارات السياسية الحديثة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية (بالاشتراك مع الاستاذ وجدى رزق غالى وملحق به فهارس المصطلحات الفرنسية والعربية) عام ١٩٨٦

وأخيرا

٨ - المختار . وهو معجم مختصر بالإنجليزية والعربية عام ١٩٨٩

والذى يدعو للدهشة والإعجاب معا أن العالم اللغوى الحاذق ، قد يقضى أكثر عمره فى تصنيف معجم واحد ، ولكن د. مجدى وهبة صنف واشترك فى ثمانية معاجم لغوية

قضى فيها خمسة وعشرين عاما من عمره .

وذلك يدل على مقدرته اللغوية الفذة ، وعقليته المنظمة ، وجهوده العلمية المتواصلة ، وكفاءته النادرة .

وأما أعماله المؤلفة فمنها :

١ - مطالعات فى الأدب والسياسة عام ١٩٦٠.

٢ - والسياسة الثقافية فى مصر (بالإنجليزية) نشرها اليونسكو بباريس عام ١٩٧٢

٣ - ومجموعة كبيرة من المقالات والبحوث فى الدوريات المصرية والعربية والإنجليزية والفرنسية باللغات الثلاث .

ومن الأعمال التى أشرف على إخراجها :

١ - دراسات القاهرة (بالإنجليزية) ١٩٥٤ - ١٩٦٦

٢ - لمحات عن كافكا عام ١٩٥٩

٣ - ومقالات عن قصة راسيلاس (بمناسبة مرور مائتى سنة على تأليفها) عام ١٩٥٩

٤ - والشعر الإنجليزى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر عام ١٩٥٨ . والطبعة الثالثة عام ١٩٧١

٥ - ودراسات صموئيل جونسون عام ١٩٦٢

٦ - ودراسات عن جورج إليوت (بمناسبة مرور مائة سنة على وفاتها) عام ١٩٨١

النشاط المجمعى والثقافى :

والدكتور مجدى وهبة ، بالإضافة إلى ذلك كله ، كان شديد الحرص على العمل فى الهيئات والجمعيات والمؤسسات التى اشترك فيها ، ملتزما بمواعيدها ، لا يتخلف عن موعد وعده ، فهو فى مجمعكم الجليل كان مشتركا فى ثلاث لجان : لجنة الأدب ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون .

وكان نائبا لرئيس جمعية الآثار القبطية .

ونائبا لرئيس لجنة الفلسفة وعلم الاجتماع باليونسكو .

كما كان عضوا بالمجلس القومى للثقافة والإعلام والفنون المنبثق من المجالس القومية المتخصصة .

وعضوا بالمجلس الأعلى للثقافة ومقرر لجنة الترجمة به وأمينا عاما للمجمع العلمى المصرى .

وعضوا فى اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة فى اللغة الإنجليزية وآدابها فى الجامعات المصرية .

وعضوا بمجلس الشورى من عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٦

النشاط الاجتماعى :

هذه الشخصية العظيمة فوق ماعرف عنها من العلم الغزير ، والخلق الرفيع ، كانت تتجلى فيها واضحة ثلاث خصال إنسانية رفيعة : التواضع الجم ، والوفاء النادر ، والسماحة الدينية .

وحسبى فى مجال " تواضعه " - وهو تواضع العلماء - أنه فى يوم استقباله عضوا بمجمعكم الموقر ، قال لزملائه الأعضاء : اعتبرونى طالبا وسط أساتذة أجلاء .

وفى مجال " وفائه " النبيل ، أنه فى نفس يوم استقباله ذكر بالفضل والتقدير كل من له يد عليه فى مسيرته العلمية أو العملية من أعضاء المجمع ، وكان فى مقدمتهم الدكتور مهدى علام ، والأستاذ الكبير محمد خلف الله أحمد إذ كانا من المدافعين عن نتاجه العلمى فى جميع ترقياته فى سلك الجامعة ، كما ذكر الدكتور طه حسين ، لأنه أول من أثار فى نفسه الولع باللغة العربية ، وعلّمه دائما أن الانتماء لهذه اللغة يستوى فيه المسلم والقبطى ، وذكر الأستاذ مصطفى مرعى والدكتور أحمد عز الدين عبد الله بما غرساه فى نفسه من احترام للقانون ، وحببا إليه تلك المسالك الفكرية والمنطقية التى قامت عليها التشريعات الإنسانية ، كما قال : لن أنس ما جيبت المعلم القدير ، والمفكر البارع ، فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، فقد كان أول من ألهمنى روح الشريعة الإسلامية ووقفت عن طريقه على منطقها السليم ، وروحها الإنسانية الحكيمة .

وفى مجال " سماحته الدينية " كان يقدر للأزهر الشريف نضاله السياسى ، ورسالته العلمية ، وكان على علاقة صادقة بكوكبة من علمائه ، وفى مقدمتهم : أصحاب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز عيسى ، والشيخ عبد المنعم النمر ، والشيخ الطيب النجار ، كما كان على صداقة ومودة فى أيامه الأخيرة بالأستاذ الكبير اللغوى الشهير العالم المحقق محمود شاكر عضو المجمع أطال الله عمره ونفع الناس والمجمع بعلمه .

هذه لمحة أرجو أن تكون قد ألقت بعض الضوء على حياة سلفى أ . د. مجدى وهبة ، وأن تكون قد ذكّرت ببعض آثاره العلمية وأنشطته السياسية والاجتماعية . وهى دون شك تدل على أن ذلك العالم الجليل قد ترك فراغا كبيرا فى عالمنا الثقافى والأدبى ، وكذلك فى محيطنا الخاص فى مجمع اللغة العربية . فطوبى له بعد أن طويت صحيفته ورقد فى قبره على رجاء الدار الآخرة .

سيدى الرئيس :

قبل أن اختتم كلمتى أرجو أن أشيد بالجهود المثمرة الصادقة لهيئة المجمع فقد قطعت شوطا بعيدا فى المعجم الكبير ، فضلا عن إخراجها مجلدات عديدة فى مصطلحات العلوم والفنون ، هذا بالإضافة إلى البحوث اللغوية القيمة التى ألقيت فى مؤتمرات المجمع أو نشرت فى مجلته .

وأملى كبير فى أن يمدَّ المجمع نشاطه اللغوى إلى مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها ، فيصنِّف معجما يضم الكلمات الأساسية فى اللغة العربية حديثا وفهما - كما فعل المهتمون باللغتين الإنجليزية والفرنسية - فيساعد الهيئات المعنية بهذا السبيل ، فتسهل مهمتها ، ويمد العون للراغبين فى تعلم لغتنا المقدسة .

وكم أتمنى أن يضع المجمع فى مخططه التصدى لتلك الهجمة الشرسة التى انتشرت فى مجتمعنا هذه الأيام وهى التسميات الأجنبية التى ملأت الشارع المصرى ، وما شاع فى أحاديث المثقفين وكتابات المجلات والصحف والإذاعة المسموعة والمرئية من كلمات وعبارات أجنبية .

كذلك أرجو أن يكون للمجمع دور كبير فى مناهج اللغة العربية التى تدرَّس فى التعليم العام وفى الجامعات ، ووزارة التعليم والجامعات الآن بصدد إعادة النظر فى المناهج وتطويرها وتخطيطها على أسس حديثة . واشتراك المجمع فى هذا التطوير وبخاصة فى مناهج اللغة العربية أو تدريس المواد الأخرى باللغة العربية بدلا من العامية ، يجعله مؤثرا فى السياسة التعليمية المستقبلية والتى سينشأ عليها أجيال عديدة مقبلة .

كما اقترح أن يكون للمجمع رداء خاص به مميز له ، ذو لون وشارة يتفقان مع مقام المجمع ، ويصمم الرداء متكاملا فنان كبير ، وذلك ليرتديه الأعضاء فى المؤتمرات وجلسات استقبال الأعضاء الجدد وفى المناسبات الرسمية ، كما هو الحال فى الأكاديميات العالمية ، والجامعات الشهيرة والهيئات العلمية الدولية .

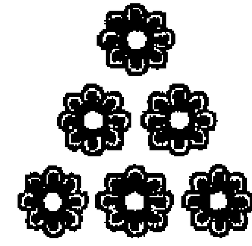
وأخيرا أسأل الله جلت قدرته أن يعيننى على أداء رسالتى المجمعية وأن أكون جديرا بشرف عضويتى لمجمع الخالدين .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله

على الحديدى

عضو المجمع



كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد
الدكتور محمد الأمين بسيونى
للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

الأستاذ الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس مجمع الخالدين ورئيس الجلسة

السادة الخالدون أعضاء المجمع

أيها السيدات والسادة ضيوفنا الكرام

هذا الصَّرح العتيد ؛ مجمع الخالدين فى اللغة والعلوم على مر الأجيال ، يفتح أبوابه مرة واحدة كل عام أمام زُمَرِ الحالمين الآملين فى الدخول ؛ ينتقى منهم ويدقق ويختار من بين العديد من المرشحِّين والمزكِّيْن ، فلا يفوز بجواز الدخول منهم إلا القلةُ القليلةُ من الصفوة البارزين المبدعين فى اللغة والأدب ، أو فى تخصصاتهم العلمية مع اهتمام مرموق باللغة العربية ، على الأقل فيما يتعلق بالنهوض بها لغةً للعلم .

واليومَ يومُ الاحتفال الرسمى بهؤلاء الصفوة الفائزين هذا العام ، الذين حازوا جواز الدخول ، نُكرِّمهم ليحتلوا مقاعدهم بين الخالدين ومن بين المكرَّمين اليوم علَمٌ بارز من أعلام الجيولوجيا المصرية ، بل العالميةِ ، هو الزميل الأستاذ الدكتور محمد الأمين بسيونى ، الأستاذ المتفرغ بقسم الجيولوجيا ، كلية العلوم ، جامعة عين شمس ، والعميدُ السابق للكلية ، والرئيسُ السابق للقسم .

ومحمد الأمين بسيونى صاحب فكرٍ وتقانةٍ فى علم الطبقات وعلم الحفريات الدقيقة فريدين فى العالم العربى ، ومفيدين ناجعين فى حل مشاكل التأريخ الجيولوجى ، ومضاهاةِ الطبقات ، واستجلاء البيئات القديمة للترسيب. ولم يكن حظ هذا الفكر وحظ هذه التِّقانةِ الهامة قبل بحوثه العالميةِ فيهما شيئًا مذكورا فى بلادنا . كان رائداً فى إدخال هذه التقانة وتطويرها فى مصر والعالم العربى وكذلك تطبيقها فى أقاليمَ عديدةٍ أخرى من العالم . هذه التقانة تعتمد على الدراسة التصنيفية

الدقيقة لحفريات الأستراكودا ، وهى طائفة مجهرية من القشريات ؛ وتعتمد أيضا على استخدامها فى تعيين الأعمار النسبية للصخور الرسوبية ، وفى كشف طبيعات البيئات القديمة من مُناخ وتوزيع للمياه واليابسة وغير ذلك . وقد انتشرت هذه التقانة على يدى الدكتور بسيونى فى مصر والعالم العربى بفضل دأبه ومثابرته ورعايته ، فله اليوم فى هذه البلاد تلاميذُ نجباءُ فى هذا التخصص من شباب الأساتذة ومساعديهم يفخر الوسط العلمى فى هذه الأمة بهم . وإن أميز ما يميز دراسات الدكتور بسيونى فى هذا المجال مكابدتُه فى تحويل هذه الدراسة من الصورة الكيفية إلى الصورة الكَمية ؛ وإنَّ وراء ذلك ما وراءه من سهر وكد ، ومن معاناة فى التدريب والتعليم . وبقدر مكابدته فى ترسيخ هذا الأسلوب كان رفضه أية معالجات «عائمة» - كما يقول النقاد العلميون - فى مجال تخصصه مهما استطال فيها الوصف ، ومهما دقَّ وتدعَّمَ بالصور ، يُفضِّل عليها الدراسةَ المقداريةَ الكمية ، ويدعو لها بكل حماس ، بل إنه لمن رواد هذه المعالجة المقدارية فى الجيولوجيا المصرية عموما وفى الجانب البيولوجى منها على وجه الخصوص . وله أسلوب برع فيه استفاد منه وأفاد ؛ ذلك هو ربط الدراسة الاستراتجرافية الحيوية بالصورة التركيبية البنائية فى الحقل . وإن كان هذا التخصص الأخير ليس وثيق الصلة بتخصصه ، إلا أنه كان شديد الحماس له ويسعى جُهدَه إلى القيام بتدريسه للطلاب ما واتته الفرصة .

كان مولد الدكتور محمد الأمين بسيونى فى مطلع العَقد الثالث من هذا القرن بمدينة القاهرة . وقد أتم دراسته الثانوية فى عام ١٩٤٩ . وهو يذكر عن طفولته ومراهقته أن والده - رحمه الله - كان رجلا مثقفا ، وكان له أصدقاءُ من المثقفين . كما يذكرُ عنه أيضا أنه كان وطنيا متحمسا ، وكان له نشاط إيجابى فى ثورة ١٩١٩ ؛ يذكر ذلك جيدا من قُصاصات الصحف التى كانت تصدر إبان هذه الثورة ، وكانت الأسرة تحتفظ بهذه القُصاصات وتعتز بها . ويَذكر عن والده أيضا أنه كان يعتقد بعمق أن التعليم الصحيح يقوم على

إتقان اللغات ، لذلك كانت أولُ مدرسة يُلحق بها ولدَه هى مدرسةَ الراعى الصالح بشبرا حيث تعلم مبادئ اللغة الإنجليزية مع العربية وبعضِ الأصول . ثم لما بلغ النجل سنَّ دخول المدرسة الابتدائية قرر الوالد أن يدخله المدارس الحكومية فقد كان لها فى ذلك الوقت شأنٌ أرفع من شأن المدارس الخاصة . وكان محمدٌ فى هذه المدرسة وفى المدرسة الثانوية من المتفوقين دائما وحصل على عدد من جوائز التفوق يذكر أن معظمها كان كتبًا ، وكان فرحه بها كبيراً . وكانت الثانويةُ التى التحق بها مدرسة ناشئة فلم يكن بها فى السنة النهائية (أو التوجيهية كما كانت تسمى إذاك) إلا فصلٌ واحد فى التخصص العلمى ، فالتحق به ، ولو أنه فى ذلك الوقت كان يتمنى أن يدخل تخصص " رياضيات" وذلك لميله الشديد إليها. وواضح أن هذا الهوى القديم للرياضيات مازال يراوده ويتحكم فى اتجاهات بحوثه العلمية وتفكيره حتى الآن .

يذكر من أسماء معلميه الذين أثرّوا فيه فى مرحلة ماقبل الجامعة أستاذين فاضلين للغة العربية كان يجلهما كثيرا هما : عبد العال كشك وعبد الفتاح الخَضرى ، يذكرهما جيدا فى حين أنه نسى أوكاد ينسى من عداهما . وإن نسِىَ فلن ينسى شخصًا مشقفًا كان يزور والده فى تلك السنين ، وكان يتبادل معه بعض الحديث . لاينسى حديثه ذات يوم عن علم الجيولوجيا وطبقات الأرض ؛ بهره الحديث أيما إبهار فأحرزه فى ذاكرته . وعندما دخل الجامعة بحث عن شعبة الجيولوجيا والتحق بها .

وعند التخرج فى عام ١٩٥٣ كان الأول على دفعته . وكانت درجة الماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٥٧ عن موضوع صخور عصرى الميوسين والبليوسين فى إحدى مناطق سيناء وفى منطقة كوم الشلول قرب أهرام الجيزة . وبالرغم من أن مصر كانت خلوا فى ذلك الوقت من متخصصين فى الأستراكودا إلا أن رسالته تضمنت جزءا عنها ، فكان بذلك أولَّ مصرىٍّ يعمل فى هذا المجال . وكان أحدُ ممتحنيه فى الماجستير الأستاذ وِتنجتون الأمريكى من جامعة هارفارد ، وقد أثنى على عمله فى تقريره بقوله إن الرسالة تحتوى على

أكثر مما يتطلبه الحصولُ عليها في هارفارد ، وإنه يسعده أن يستقبل بسيوني بجامعته ليتم دراساته العليا هناك . لكن بسيوني كان يعرف في تلك السن المبكرة من حياته البحثية أن أعظم أساتذة الأستراكودا في العالم ألماني وهو الأستاذ هِلترمان ، وأنه ليس من أحد من ذلك الجيل إلا وتلمذ له في الأستراكودا حتى الأمريكان أنفسهم ؛ فشد الرحال إلى رحابه . وكانت هذه أثبتُ خُطوةٍ خطاها نحو مجده العلمي .

وهناك في أكاديمية التعدين بمدينة كلاوستال زِلرفلد حصل على الدكتوراه في الأستراكودا الميوسينية بشمال غربي ألمانيا ، عام ١٩٦١ . وقد شرَّفه أحد ممتحنيه في تقريره عن الرسالة بأنها أفضلُ من نظيراتها في أوروبا وأمريكا وروسيا ، وفيها ريادةٌ نحو جعل هذا التخصص مقداريًا وكميًا إلى جانب كلاسيكيته الوصفية . وقد نشرت الأكاديمية الرسالة كاملة في عدد مستقل بمَجلتها . وهو منذ ذلك الحين يدُعى إلى ألمانيا كلَّ صيف بصفة منتظمة لإجراء البحوث والمشاركةِ في الإشراف على مدارس هذا التخصص هناك .

ثلاثةٌ وثلاثون عاما لم ينقطع بعد حصوله على الدكتوراه عن قضاء شهرين في ألمانيا في هذا الوسط العلمي الممتاز . لقد جعلته هذه السَّفرة السنوية يجيد الألمانية كأحد أبنائها من زملائه العلماء . هذا بالإضافة إلى إجادته للغة الإنجليزية ، فهو إذن صاحب ثلاثِ لغات متقنةٍ لديه : العربيةِ والألمانيةِ والإنجليزية . وقد حصل في هذه المدة أيضا على تقديرات علمية فائقة منها دبلوم الأبحاث من الحكومة الألمانية في عام ١٩٦٩ . ومنها أن كثيرا من حفريات الأستراكودا سميت باسمه في النشرات العلمية في العديد من بلاد العالم كألمانيا واستراليا وأمريكا وهولاندة والعراق والأردن ومصر . كما أن أبحاثه امتدت لتشغل نحو ثلثي العمود الجيولوجي في بلاد كثيرة نذكر منها مصر والعراق والأردن والصومال وشمال غرب أوروبا من بولندا شرقا حتى خليج بِسكاي غربا ، وفي إيطاليا والدنمارك وألمانيا وتركيا وغيرها .

ومما لا يفوتني ذكره مما نال من تشريف أنه في تقرير ترقيته إلى وظيفة أستاذ في عام

١٩٧٤ ، حددت اللجنة بحثا واحدا بعينه من بين أبحاثه المتقدم بها وقالت إن المرشّح يمكن أن يرقى إلى هذه الوظيفة بهذا البحث وحدَه ؛ وكان عدد بحوثه المتقدم بها نيّفًا وعشرين .

ولو أننى استطردت فى الكلام عن علم الدكتور بسيونى فإننى سآخذ من الوقت أكثر مما ينبغى لى ، لكن لابد من الإشادة بتميزه وعلُوه الخلقى الذى لايقل سُموقا عن تميزه وعلو كعبه فى العلم ، وسأذكر من ذلك لمحاتٍ فقط فليس الإحاطة به شيئا ممكنا فى عجالة كهذه . **محمد الأمين بسيونى** إنسان محب للخير سبّاق إلى فعله ، محرِّض على ذلك ، غاية فى دماثة الخلق ولين الجانب وحُسن العشرة ، ولستُ مغاليًا أن أقول إنه بلا أعداء ، وحتى إذا وجد بعض هؤلاء فالعداوة من جانبهم هم وليس من جانبه . الحق والحقيقة والقيمة أغلى شئ لديه يدافع عنها باقتناع وإقناع شديدين سديدين ، ولكن بلاعنف أو مغالاة ، فى الالتزام والانتماء بكل معانيهما هو نموذج عالٍ . وسأسوق على ذلك مثالا واحدا فقط . فبالرغم من ارتباطٍ طويل مستمر بل أسَرىٍّ بألمانيا منذ عام ١٩٦١ وبالرغم من تشبُّعٍ بعلمها وثقافتها وفنها ، وبالرغم مما عنده من المقومات التى يطمع الألمان فى أن تنسب مثلها إليهم ، إلا أنك ترى الرجل يعَضُّ على قوميته ودينه ولغته بالنواجذ ، وإنه ليذهب إلى ألمانيا كل صيف لمدة شهرين على الأقل منذ أكثر من ثلاثين عاما يُنتج ويَنهل ، ثم يعود إلى مصر يُفرغ وفاضه فى رحابها علما ومعارف يبثُّها بين زملائه وتلاميذه .

وإنه لمما يستحق الذكر أن ولده الوحيد – وأعرفه معرفة شخصية – وهو طبيب قضى كل مراحل تعليمه فى ألمانيا ويقيم إقامة دائمة فيها ، لكنه شاب متمسك هناك بإسلامه ، بل إن زوجته الألمانية أسلمت وأوغلت فى تعلم أصول دينها المختار . ومن طريف ما يحضرنى من دلائل انتماء الأمين بسيونى أنه وبخاصةٍ فى مراحل عمر ولده المبكرة ، كان كلما حضر الفتى إلى مصر لإقامة محدودة يستخرج له الأب كتب قواعد اللغة العربية يراجعانها معا ، فكان ذلك بمثابة تميمةٍ يُقلدها ولده قبل السفر لتحفظ عليه حبَّه لوطنه الأول .

وأحب فى هذا المقـام أن أذكـر نبـذة عـن اهتمـام الدكتور بسيونى بلغتـه العربيـة فى مجال العلم ، فهـو عـاشق للجمـل البسـيطة المختصرة المعبرة فى الوقت نفسه عن المعنى المراد بدقة وشمول ، وبُعد عن الزخرف . كما أن له اجتهادات اصطلاحيةً سديدة ليس فيها إغـراب ، استرعت نظرى منذ وقت طويل ، وأهَّلتْهُ ليكون خبيرا بالمجمع منذ عام ١٩٨٧ ، وقـد أسـهم فى تلك المدة إسهامات ملحوظةً مشكورةً فى هذا المجال .

أيها السادة الأجلاء ،

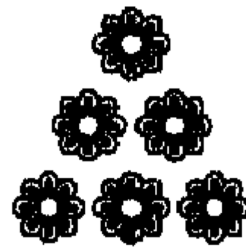
لقـد حظيت بشـرف أن أكـون أولَ من يمثل علم الجيولوجيا فى هذا المجمع العتيد . كان ذلك منذ عشرين عاما على وجه التحديد . ولا أكتمكم أيها الزملاء الأعزاء أننى بالرغم من الفرح الغامر بهذا التشريف الكبير ؛ كنت قلقا طوال تلك السنين ، وكـان مصـدرُ قلقى هو التفكير فيمن سيخلفنى فى هذا الموقع . وأنا أعرف تماما أن محمدا الأمين بسيونى يتمنى لى طولَ البقاء المقرونَ بالصحة ، لكن صدقونى أننى لا أبالى اليوم متى سيكون الرحيل ، فأنا مطمئن الآن إلى الشخص الذى سيحمل هذه المسئولية معى ومن بعدى . وأنا أتمنى له أيضا طول البـقـاء مع موفور الصحـة ، وأتمنى له سنوات طويلةً مباركـةً فى هذا المجمع حافلةً بجلائل الأعمال فى خدمة لغتنا العزيزة فى هذا المجال .

وفى ختام كلمتى أتوجه بالدعوات الحارة إلى الله الكريم العظيم أن يمن بالشفـاء على رئيسنا وشيخنا الكبير الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد يوسف حسن

عضو المجمع



كلمة الدكتور محمد الأمين بسيونى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الموقر الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور

رئيس مجمع اللغة العربية

السادة الأجلاء أعضاء المجمع

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتشرف بأن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن لكريم تقديمه لى ، ولما نعتنى به من حميد الصفات التى أنشدها ولا أمتلكها . وأشكر للخالدين الأفاضل ثقتهم الغالية التى منحونى إياها لأجلس ندا بينهم ، لكننى سأجلس منهم أيضا مجلس التلميذ من أساتذته ينهل من علومهم الغزيرة ويفيد من خبراتهم الثمينة . وأدعو الله الذى أراد لى أن أنضم إلى زمرة الخالدين ، أن يمنحنى القوة والرشاد لأقتفى آثارهم وأكون عند حسن ظنهم ومحلا لثقتهم .

لقد كرمتمونى أيها الخالدون فوضعتمونى فى موقف يتهيبه أقدر العلماء وأجرؤهم ، ويحسب له ألف حساب ، فما بالكم بمن كان يترسم خطاكم ويسترشد بغزير علمكم فى لجانكم ودوراتكم ومؤتمراتكم . أجل إنه لموقف صعب أدعو الله أن يعيننى على تحمل مسؤولياته ، وأن يسدد خطاى فى دروب أعماله . لقد كان لى عظيم الشرف فى هذا الموقف أن أشغل مقعد العالم العلامة واللغوى المقتدر وأبى علم الاجتماع المعاصر ، الأستاذ الجليل المرحوم الدكتور على عبد الواحد وافى ، ولكن دون مقارنة أو موازنة ، بل فقط باسترشاد واستلهام . لقد كان عالمنا الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور وافى خير خلف لخير سلف هو المرحوم الأستاذ محمد زكى عبد القادر وفى ذلك مافيه من دلالة على جسامة العبء الذى يجب أن أتحمله وخطورة الموقع الذى سأشغله .

كان المرحوم الأستاذ الدكتور وافى ، كما وصفه المرحوم الأستاذ الدكتورأحمد السعيد سليمان عند تقديمه للمجمع ، أستاذا أكاديميا عملاقا فى علم الاجتماع ، وفى الوقت نفسه عالما بحرا من علماء الإسلام متربصا دائما بأصحاب الغارات والافتراءات عليه ، يدفعهم عنه ويدافعهم بأغاليطهم فيه . كما رأس المرحوم الدكتور وافى مدرسة لغوية متميزة . ولاغرو فهو الذى نشأ وتربى فى بيت علم ودين ، لقد كان مولده فى الثالث من مارس عام واحد وتسعمئة وألف ابنا نجيبا للشيخ عبد الواحد وافى أستاذ اللغة العربية والشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف . وقد تنقل علىٌّ فى مسيرته التعليمية بين المدارس الابتدائية والأزهرية ثم التحق بالأزهر الشريف ، ثم بكلية دار العلوم التى تخرج فيها عام خمس وعشرين وتسعمئة وألف . وكان أول فرقته . ثم غرّبه طلب العلم بباريس نحو ست سنوات حصل فى أثنائها على درجة الليسانس فى الفلسفة وعلم الاجتماع ، ثم قيد لدرجة دكتوراه الدولة ، وحصل عليها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى فى شهر مايو عام واحد وثلاثين وتسعمئة وألف . وعاد المرحوم الأستاذ الدكتور وافى إلى مصر فى العام نفسه ليعين مدرسا لعلم الاجتماع بكلية دار العلوم ثم مدرسا بكلية الآداب فى تخصصه . وقد ظل يجاهد لرفع شأن هذا العلم وتدعيم قواعده والبحث عن جذوره العربية والإسلامية حتى وفق إلى إنشاء أول قسم لعلم الاجتماع بالجامعات المصرية سنة سبع وأربعين وتسعمئة وألف . وقد كان هذا القسم نموذجا لما أنشأه بعد ذلك من أقسام لعلم الاجتماع فى السودان والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية . وتعزيزا لمجهوداته فى خدمة علم الاجتماع أنشأ الجمعية المصرية لعلم الإجتماع ، والجمعية الفلسفية المصرية . وأصدر المؤلفات الهامة فى هذين المجالين . وقد خلّد عالمنا الجليل ذكره من خلال أبحاث باقية ما بقى الزمان تربو على خمسة وأربعين مؤلفا بعضها باللغة الفرنسية ، ونحو خمسين بحثا ومئات من المقالات فى الصحف والمجلات العلمية ، نعدد منها على سبيل المثال لا الحصر : الأسرة والمجتمع ،

المسؤولية والجزاء ، علم الاجتماع ، مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين ، غرائب النظم والتقاليد والعادات ، الهنود الحمر ، الطوطمية ، الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى ، ابن خلدون منشئ علم الاجتماع ، المدينة الفاضلة للفارابى ، الاقتصاد السياسى وتحقيق نظرياته فى ضوء علم الاجتماع ، المساواة فى الإسلام ، الحرية فى الإسلام والشرائع السابقة ، اليهود واليهودية ، بين الشيعة والسنة ،

كما حقق مقدمة ابن خلدون وأثبت الفصول والفقرات التى سقطت من طبعاتها المتداولة والتى عثر عليها فى مخطوطات نادرة تمثل إضافات ابن خلدون إلى مقدمته إبان إقامته فى مصر . وكما كان المرحوم الأستاذ الدكتور وافى مؤسسا لعلم الاجتماع فى مصر فقد كان أيضا نحويا وعالما لغويا متميزا ، ويظهر ذلك من مؤلفاته التى منها :

اللغة والمجتمع ، وفقه اللغة ، وفى هذين المؤلفين أقام عالمنا الجليل علم فقه اللغة على أسس متينة .

وكان المرحوم الدكتور وافى عضوا فى المجمع الدولى لعلم الاجتماع ، ومثَّل مصر فى عدد من المؤتمرات الدولية أهمها مؤتمر حقوق الإنسان الذى عقده اليونسكو بمدينة أكسفورد ، وقدم المرحوم الأستاذ الدكتور وافى فيه بحثا بعنوان « حقوق الإنسان فى الإسلام » .

و تحدث فى حفل استقباله بالمجمع عن مشكلة الازدواج اللغوى فى البلاد العربية ، ورأى أن التمسك بالفصحى لغة كتابة يوحد صفوف الأمة العربية ، ويجمع العرب حول ثقافتهم وحضارتهم الضاربة فى أعماق التاريخ وبالرغم من أن عالمنا الجليل قد انضم إلى مجمع الخالدين عام أربعة وثمانين وتسعمئة وألف وقد بلغ من العمر ثمانين عاما ، فقد كان إذاك فى أوج نشاطه العلمى ، لم تنل السنون من عزمه ولا فكره ولا قلمه حتى عام ودع المجمع والحياة. وقد سبقت صلتُه العلمية بالمجمع تاريخَ انضامه إلى عضويته بزمن طويل ، ذلك بما حرر وراجع من مصطلحات وألفاظ ، وما نشر من مقالات فى مطبوعات المجمع ، وما شارك به فى أنشطة المجمع المختلفة ولجانه من لجنة

الاجتماع ولجنة الفلسفة ولجنة اللهجات وغيرها . كانت هذه الصلة قديمة قدم المجمع نفسه .

أسبغ الله واسع رحمته على عالمنا الجليل الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى ، وأنزله منازل الصديقين والأبرار .

ولا يفوتنى بعد هذا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن ، والأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد ، على ماكرمانى به من تقدير عظيم بترشيحهما لى لعضوية هذا المجمع العتيد ، فقد هيّئا لى بذلك أن أصطف بين الخالدين من صفوة العلماء أترسم خطاهم وأنهج مناهجهم المرموقة فى خدمة العلم واللغة العربية .

وإنى فى هذا المقام لأشعر بسعادة بالغة أن أرد الفضل فيما شرفت به إلى أصحاب الفضل فيه من الأساتذة الأساطين أعضاء المجمع فى لجنة الجيولوجيا ، هؤلاء الذين كان لى شرف مجالستهم على مدى سبع سنوات خبيرا باللجنة ، وهم السادة الأفاضل : المغفور لهما الأستاذان : الدكتور عبد الحليم منتصر ، والدكتور الشيخ محمد الطيب النجار ، والأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن ، أطال الله بقاءه .

أما المرحوم الأستاذ الجليل عبد الحليم منتصر فقد كان حقا «موسوعة تمشى على قدمين» كما نعتته بذلك إذاعة لندن (القسم العربى) . كان محيطا بكل دقائق تخصصه العلمى ، وفى الوقت نفسه ملما بضروب من مجالات المعرفة لا تحصى . كما كان على اقتناع تام وإيمان عميق بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والفنون والآداب على اختلاف أنماطها وتعدد موضوعاتها ، ناهيك بما نشره وحاضر فيه فى هذا المجال ، لقد شرفت وسعدت به على مدى سبع سنين مرافقا إياه فى طريقى غدوا إلى المجمع ورواحا منه كل يوم خميس ، وغدوا إلى الكلية ورواحا منها كل يوم أحد ، وقد كان لى فى هذا نعم الرفيق ونعم النموذج المحتذى للأستاذ الجامعى القدوة، كم تعلمت منه فى تلك السنوات ! كما طربت لمقاله ! وهو يسرد على مسمعى ما كان

يسميه باللوحات اللغوية الفنية للسابقين من رواد العربية ورواد العلوم من العرب . وكم حدثنى مسامرا وموجها بما كان يشغل باله وفؤاده من ضرورة تسجيل التقدير والوفاء والتبجيل لمن تعلم عليهم . وقد كان الموضوع محط اهتماماته فى تلك السنين حتى وفقه الله إلى أن يفرد له كتابا خاصا لعله آخر ما قدم من أعمال باقيات . رحم الله أستاذى الجليل عبد الحليم منتصر وأنزله منازل الصالحين والأبرار جزاء وفاقا لما نشر من علم ومعرفة سيبقيان ما بقى الزمان والمكان .

وأما المغفور له المرحوم الشيخ الجليل الدكتور محمد الطيب النجار فقد غمرنى بفيض علمه الغزير ، وبديهته اللماحة وأدبه الجم وآدابه الفريدة . كم أرشدنى إلى الصواب فى اللغة بدعابة محببة إلى النفس مشجعة على الاستزادة من علمه الغزير حتي أننى دأبت فى أثناء عملى كخبير بلجنة الجيولوجيا على أن أكتب بأكثر من أسلوب فى تعريف المصطلحات حتى أتبين منه الأفضل والأصح . تغمده الله برحمته الواسعة ، وأجزل له الثواب جزاء لما قدم لخدمة القرآن الشريف وعلوم الدين الحنيف ولما علم من أجيال . وأما عن أستاذى العزيز الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن فحدِّثْ ولاحرج . لقد صاحبته أعواما طويلة توثقت علاقتى به من خلالها عندما أسندت إليه رئاسة قسم الجيولوجيا بكلية العلوم ، جامعة عين شمس وكنت أنا أستاذا مساعدا بالقسم نفسه . كم سهرنا وسمرنا وتحاورنا حول الجيولوجيا بالكلية مساء كل يوم تقريبا حتى ساعات متأخرة من الليل وكم خرجنا منها نهرول مواصلين سمرنا وحوارنا حتى يلحق هو بآخر ترام أبيض يقله إلى مسكنه بمصر الجديدة . وألحق أنا بآخر ترولللى أتوجه به إلى مسكنى فى المهندسين . وفى تلك الأيام السعيدة كم نهلت من علمه ووقته وأستاذيته وموسوعية معارفه . وإن أَنْسَ لا أنسى ما كان يعطر به جو البحث أو الحوار العلمى حينا بعد آخر بشىء يطربنا ويمتعنا به من أشعار الفحول أو من أشعاره هو أو بنتفة أو شاردة من النوادر وأخبار العرب وغيرهم من الأمم .

أطال الله عمر أستاذى الجليل محمد يوسف حسن وأنعم علينا بفيض عطائه عقودا متعاقبة .

وأما عن مجمع الخالدين وإنجازاته الضخمة فى مجال اللغة ومجالات مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية فإن الأعلام الأفاضل : رئيسنا الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور منّ الله عليه بالشفاء وكامل الصحة ، والأساتذة العظام مهدى علام وشوقى ضيف وإبراهيم الترزى قد كفونى مؤونة الاستغراق فى تعديد ما قام به المجمع لخدمة اللغة والعلوم فلم يترك هؤلاء الجهابذة فى مؤلفاتهم المجمعية القيمة شاردة ولا واردة إلا أحصوها وأحاطوا بها فى تسلسل متقن ، ووضوح جلى وتوثيق محكم وجداول تتحدث عن نفسها .

وإن أملى لكبير فى أن يشرع المجمع فى تخصيص أجزاء أو أبواب من معجماته العلمية للمترادفات والمتشابهات والمتضادات والمتدرجات من الألفاظ لإزالة اللبس وتهيئة الفرص لسدنة العلم بالعربية للاختيار الدقيق من بين المفردات المناسبة للمواقع والاستعمالات اللغوية المعينة . كما آمل أن يضيف المجمع إلى معجماته لغات أخرى غير الإنجليزية كالفرنسية والألمانية والإسبانية . وآمل أيضا أن يهتم المجمع بصورة أو بأخرى بالترجمة والتأليف فى العلوم الطبيعية والتطبيقية تشجيعا ودعما لتدريس هذه العلوم باللغة العربية .

واسمحوا لى أن أثنى على رأى سلفى المغفور له الأستاذ الدكتور وافى بالمناداة بالتمسك باللغة العربية الفصحى فى مختلف نواحى حياتنا ، ودعونى أذكر لكم نوادر مما حدث فى بعض البلاد الأوربية من قرون سابقة حيث كانت اللغة اللاتينية لغة العامة والخاصة .

فقد غير العالم السويدى Carolus Finnaeus المولود سنة سبع وسبعمئة وألف اسمه وكان يحمل الصيغة اللاتينية وهو أول من أعطى سلالة الإنسان اسمها العلمى Homo Sapiens . غير اسمه إلى Carl von Finne السويدى الصيغة وذلك بعد

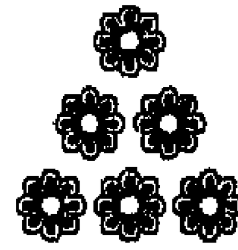
حصوله على وسام فارس من الحكومة السويدية عام واحد وستين وسبعمئة وألف . ومثل من ألمانيا ففى سنة خمس وستين وسبعمئة وألف صدرت جريدة ليبزج Feipziger Zeitung باللغتين اللاتينية والألمانية ، وفى نفس المدينة وعندما تجرأ الأستاذ الدكتور Thomasius فى بداية القرن الثامن عشر أن يحاضر باللغة الألمانية فصل من منصبه ، واضطهد حتى غادر مدينة ليبزج . ولكن مع مرور الوقت فقدت اللغة اللاتينية موقع أقدامها لتحل محلها اللغة الألمانية لغة علم وكتابة وتخاطب لجميع الطبقات والهيئات فى ألمانيا .

فلا تقنطوا أيها الخالدون من عبء الرسالة وداوموا بعزم بالمناداة باللغة العربية لغة قادرة على التعبير عن جميع نواحى الحياة اليومية والمتخصصة . وليعط مجمعكم الموقر اللغة العربية المرونة للتطور والقدرة على التعبير عن المستجدات فى العلوم والمعرفة . كما آمل أن يخصص المجمع معجما للكلمات العربية المستجدة على اللغة يوضح فيه أصول هذه الكلمات وكيفية تطويعها لقواعد اللغة العربية .

وفى ختام كلمتى أدعو الله للسادة الخالدين بالصحة والعافية ودوام العطاء من أجل إعلاء شأن لغتنا العربية التى كرمها الله لغة لقرآنه الشريف ، كما أتوجه بالشكر للضيوف الكرام لتحملهم مشقة الحضور وأعرب عن الامتنان لهم على حسن الاستماع والمشاركة فى الاحتفال ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الأمين بسيونى

عضو المجمع



ثانيا : التأبين

كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس المجمع
فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى

سيداتى – سادتى :

رحم الله فقيدنا الدكتور محمد طه الحاجرى فقد ذكرنى بتجربة عشت معها بضع سنوات ، وأعنى بها تلك التجربة التى أخذت بها كلية الآداب بجامعة القاهرة فى النصف الثانى من الثلاثينيات من هذا القرن ؛ ذلك أنها فتحت الباب لشباب الأزهريين لكى ينضموا للدرس الجامعى مع الحاصلين على الشهادة الثانوية (البكالوريا) من المدارس الأميرية والأهلية محاكاة لما كان يجرى فى الماضى بالنسبة لمدرسة القضاء الشرعى ، وبالنسبة لمدرسة دار العلوم ، وأشهد أن هذه التجربة قدمت لكلية الآداب فى ذلك التاريخ رعيلاً كان ممن قاد الحركة الأدبية والفكرية فى الأربعينيات والخمسينيات . هؤلاء جميعا كانوا رواداً ، وكان محمد طه الحاجرى فى مقدمتهم . اتجهوا نحو قسمين من أقسام الكلية ، **القسم الأول هو :** قسم اللغة العربية وكان ذلك طبيعيا ، **والقسم الثانى هو :** قسم الفلسفة . وكانت لى صلة بالقسمين معا ، ولاحظت حقيقة أن هذا الامتزاج أو هذا التلاقى بين مصريين من تكوين متباين دفع إلى نشاط وعمل ، وكان طه الحاجرى رمزا لهما ، وأحس بأن اللغة الأجنبية تنقصه فلم يتوقف عن محاولة تعلم لغة أجنبية ، واتجه نحو اللغة الفرنسية ، كما حذا حذوه زملاء له آخرون فى أقسام أخرى وخاصة قسم الفلسفة الذى كنت على صلة به أكثر من الأقسام الأخرى ، وقد لاحظت أن عددا من هؤلاء الأزهريين الذين نشأوا فى كُتّاب القرية ثم انتقلوا إلى المعاهد الدينية وانتهى بهم المطاف إلى كلية الآداب، هؤلاء الأزهريون دخلوا فى مسابقة لإرسال مبعوثين إلى فرنسا لتتعلم اللغة الفرنسية لكى يصبحوا يوما ما مدرسى اللغة الفرنسية فى المدارس المصرية .

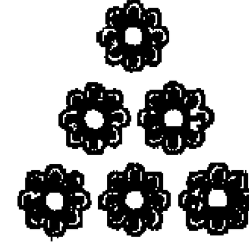
أما محمد طه الحاجرى فلم يأخذ هذا الطريق ؛ فقد أخذ طريق العالم والباحث والدارس الذى ضم إلى تكوينه هذا الذى أشرتُ إليه رحلاتٍ متعاقبة كان قدر منها غير قليل فى شمالى أفريقيا وكان لهذه الرحلات أثرها فى درسه وبحثه .

وقد اتجه مجمع اللغة العربية فى الثمانينيات نحو طه الحاجرى ، وكان من حظه أن دخله عام ١٩٨٤ ، وكنا نعوّل على هذا الماضى وهذا التكوين لولا أن الشيخوخة من جهة والمرض من جهة أخرى ، وبُعد الشقة من جهة ثالثة بين الإسكندرية والقاهرة لم تمكن طه الحاجرى من أن يؤدى رسالته التى كنا نرجوها منه والتى كان أهلا لها ، ولقد أدى ما استطاع، ولكن كان فى وسعه لو ساعدته صحته أن يؤدى أكثر مما فعل .

وسيبقى طه الحاجرى فى سجل الخالدين إلى يوم الدين وأعماله الأخرى إلى جانب أعماله المحدودة فى مجمع اللغة العربية شاهدة على هذا الخلود . تغمده الله برحمته وجزاه خير الجزاء عما قدم لأمته ولغته .

إبراهيم مدكور

رئيس المجمع



كلمة المجمع فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى

للأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع :

السادة الزملاء الأجلاء :

السيدات والسادة ضيوف المجمع :

السلام عليكم ورحمته وبركاته

يقولون أفل نجم الحاجرى منذ أربعين يوما ، ولا والله ما أفل ولا غاب ، ولا خبا ولا استتر ، فقد ترك من ورائه ثراءً عريضا من دنيا الإنتاج العلمى ، والأعمال الأدبية والتلمذات الغزيرة والوفيرة فى أكثر من جامعة من جامعات الدول العربية . لم يكن المغفور له الدكتور محمد طه الحاجرى نجما مصريا يلمع فى سماء القاهرة أو الإسكندرية فحسب ، بل كان يسطع فى العراق تارة ، وتارة فى ليبيا ، وأخرى فى تونس ، وحينا فى المغرب ، كان نشاطه التعليمى يشمل دنيا عريضة من معاهد القاهرة والإسكندرية إلى ما كان له من مشاركة فعالة فى إنشاء جامعة ليبيا فى أول عهدها بالحياة الجامعية وتخرج على يديه من أضحوا اليوم من كبار الأساتذة فى الجامعات .

عرفت الفقيد العزيز منذ أكثر من أربعين عاما ، وعقدت حبلى بحبله صديقا أخلص ما تكون الصداقة وأخا كريما أسمى ما يكون الكرم ، وكأنه الراهب فى المحراب حين يخلو للعلم أو يعالج قضية من قضايا الأدب فى دقة واستيعاب وبيان ، قلمٌ جاحظى طيّع ، وفكر متزن صادق ، ولو ذهبت أصور فضله وسمته لعدّنى الناس مبالغا فى نعته مع جدارته لهذا النعت ، فلم يكن يعلم فضله إلا من داناه عن قرب ، ولمس شموخه وعلوه عن كثب مع شهرته بالصبر إلى تواضع وتسامح سَمَوا به إلى مكان رفيع ، وتوطدت صلتى به فى عام ١٩٤٥ عندما نُقِلتُ من مدرسة الظاهر الابتدائية إلى التدريس بجامعة فاروق بالإسكندرية ، وكان

قد سبقنى إليها فى عام ١٩٤٢ . ومضينا متزاملين فيها إلى عام ١٩٥٠ ، وعاصرت إخراجه لكتاب البخلاء فى طبعته الأولى عام ١٩٤٨ ، وكنت أرى منه العناية الفائقة لحسن إخراجه لهذا الكتاب الذى أظهره للمرة الأولى المستشرق الألمانى فان لوتن وأهداه لشيخ المستشرقين فى عصره العلامة نولدكه ، ثم أعاد طبعه فى القاهرة الناشر العربى محمد ساس المغربى ، ثم تولى النشرة الثالثة أحمد العوامرى ، وعلى الجارم فى طبعة مدرسية ، وكان فان لوتن قد نشر نسخته المخطوطة بإحدى مكتبات الآستانة وهى مليئة بالأخطاء فاستعان الحاجرى بها وبمخطوطة أخرى وجد فيها الكثير من العون أضيفت إليها مراجع بها مقتبسات أو نصوص من الكتاب ، مستعينا كذلك بمراجع أخرى لتخريج النصوص والشواهد المتناثرة فيه ، والتعليقات النفيسة التى بلغت نحو مئة وتسعين صفحة ، لم يترك علما من الأعلام أو طعاماً وشرابا أو ألونا من الوان الحضارة العباسية إلا وقف عنده ، وزاد القارئ به بصرا أمكنه بعد كفاح طويل أن يخرج نشرته الأولى سنة ١٩٤٨ وهو معدود فى قمة أعماله الأدبية ، ولحسن إخراجه لهذا الكتاب وما بذله من جهد خاص فى تحقيقه ومعايشته رأيت حفظا لحقه ألا أضن بإعادة نشره وتحقيقه مع ما تسنى لى من إخراج جميع آثار شيخنا الجاحظ بعون الله وتأييده فى سبعة عشر مجلدا ، وإذا رجعنا أدراجنا إلى نشأة فقيدنا الكريم وجدنا أن مولده كان بنواحى مدينة بنى سويف فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٠٨ والتحق بالمدرسة الأولية ليتم تعلم القراءة والكتابة على نحو ما كان يصنع صبيان الضاحية ، وحفظ القرآن الكريم بين المدرسة والمنزل برعاية والده الذى كان من علماء الأزهر وقد هيّأ له والده فيما هيّأه أن يلحقه بالأزهر الشريف الذى كان مطمع من يرغب المجد ويطلب منزلة رفيعة فى ذلك الوقت ، فأرسله كما يرسل نظائره إلى القاهرة لينتظم فى سلك التعليم الأزهرى النظامى وذلك فى سنة ١٩٢٠ وقرّت عينه بالأزهر ونهل من علم شيوخه ماشاء أن ينهل ، ثم عاد فى صيف السنة

التالية إلى قريته سعيدا بما أتيح له من علم غزير ، وفضل مدرار مما تلقى من أفواه الشيوخ وثنايا الكتب ، وما شهده فى القاهرة وصحفها ونواديها من نشاط أدبى أو سياسى .

وهاهى ذى دار فى القرية يعرض فيها أحد رجال السودان كتبه المعدة للتجارة ، لم تكن مكتبة فحسب بل هى بمثابة ندوة فكرية لكل من هبط إليها فى ساعة من ليل أوساعة من نهار ، وكان والده كثيرا ما يصحبه إلى ذلك المجلس العلمى ليصغى فيه ويصيغ السمع إلى ما يتناوله أدباء الضاحية من حديث أدبى أو سياسى ، ويّطلع على بعض ما تتضمنه زوايا المكتبة أو الندوة كتبا كانت أم مجلات ، وقد شاهد فيها مما رأى مجلة الرشديات التى كان يصدرها العلامة الموسوعى وأول عالم موسوعى فى مصر الحديثة العلامة محمد فريد وجدى ويتصفحها الفتى فتثير إعجابه ويجد فيها فيض زاده فيتعقب أعدادها قراءة وبحثا واستيعابا حتى إذا ولى الصيف وأدبر ولّى وجهه شطر القاهرة فيرى فيها فيما يرى دائرة المعارف التى كانت أعدادها تظهر فى أول كل شهر مقابل دراهم معدودة فاشترك فى أعدادها بحيث لا يفوته عدد من اعدادها التى كانت تحوى كل جديد وكل طريف فى الثقافة العامة بل كل قديم ، وساقه حَظُّه إلى هذا العالم أن يقتنى كتابه المشهور «على أطلال المذهب المادى» فكان هذا الكتاب من أوائل ما تأثر به من الكتب الداعية إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى .

وهو فى ذلك مُكِبٌّ فى الأزهر على الدرس ولم يفته كغيره أن يلتحق بمدرسة كانت قائمة فى حى الغورية لتعلم اللغة الفرنسية يذهب إليها الكثير من طّلاب الأزهر لتعلم هذه اللغة وظل فى كفاحه حتى حصل على ثانوية الأزهر فى سنة ١٩٢٩وتمضى الأيام والأيام ثم يدفع به طموحه إلى أن يتم دراسته فى كلية الآداب بجامعة القاهرة فيلتحق بها فى سنة ١٩٣٢ بقسم اللغة العربية ، وكان به صفوة من علماء الفكر والثقافة أمثال طه حسين ، وأحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام . التقى بهم جميعا مكبا على الدرس ومتابعا الحركة الأدبية والثقافية ، وكانت مجلة الرسالة حينئذ منبرا

لكبار الأدباء والكتاب وأساتذة الجامعات ودفعه نبوغه المبكر أن يكتب فيها وهو ما يزال طالبا بجانب هؤلاء الأعلام وظهرت له في المجلة بعض المقالات والبحوث ، وهو الأمر الذى حاز به إعجاب أساتذته وزملائه ، وحصل زميلنا على ليسانس الآداب سنة ١٩٣٦ ، ورأى قسم اللغة العربية بالكلية أن يحتفظ به طالب بحث ، وظل ردحا من الزمان يسوى أمره فيما يدرس وهداه قلبه إلى أن يختار عملا فيه كثير من العنت وغير قليل من المعاناة فقام بتحقيق كتاب من كتب أبى عثمان الجاحظ وهو كتاب « البخلاء » الذى سبق الحديث عنه وعن تحريره وتنقيته من التحريف والتصحيف إلى أن وصل به إلى درجة محترمة من السلامة والوضوح ، لم يدع فيه علما من الأعلام ولا طعاما ولا شرابا ولا لونا من ألوان الحضارة العباسية إلا وقف عنده وأفاض فيه بالروح العلمية الصادقة ، وهو الأمر الذى نال به إعجاب اللجنة العلمية التى شكلت لمناقشة رسالة الماجستير وحظى فيها بتقدير عظيم كان من أثره أن عين معيدا بقسم اللغة العربية فى سنة ١٩٤٠ ، وكان أحد أعضاء لجنة المناقشة مستشرق ألمانى فاضل كان يقوم بالتدريس فى القسم وهو الأستاذ ول كروس ، وقد خالط نفسه إعجاب شديد فى ذلك الفتى العالم ، وكان هذا من قبل من المعجبين بالجاحظ وعرض عليه أن يشتركا معا فى إخراج طائفة من رسائل الجاحظ التى لم تنشر من قبل ، يقومان بتحقيقها وابتعاثها ؛ فنشرا أربعا منها فى سنة ١٩٤٣ ، ثم أعاد الحاجرى نشرها بعد أن أضاف إليها بعض نصوص لم يسبق نشرها من قبل وقدم لها جميعا بدراسة تحللها وتكشف القناع عن ملابساتها وتزنها فى مكانها من حياة الجاحظ وعصره . وتمضى به الأيام فى القاهرة سنة ١٩٤٢ حيث ينقل من آداب القاهرة إلى آداب الإسكندرية ويظل بها طوال حياته الجامعية ، وكان بذلك أحد مؤسسى قسم اللغة العربية بها ، ودفعته صلته بالجاحظ وشغفه بأدبه وقلمه إلى أن يستطلع موضوعا لرسالته فى الدكتوراه أيضا ، فكان منه إقبال على دراسة بيئته فى البصرة مسقط رأسه ، وصور الحياة الإنسانية فيها وخصائصها

الفكرية والثقافية وما كان يعقد فيها من خصومات علمية وجدلية وخاصة فيما بين المتكلمين ، وفى صدرهم المعتزلة وأئمتهم ، ودرس حياة الجاحظ فى أسرته ومولده ونشأته وثقافته ومذهبه الاعتزالى ، وإثرائه للمكتبة العربية بمؤلفاته المتنوعة الضروب الطريفة فيما تتناوله من قضايا الفكر والذوق السليم ، ورحلاته المتعددة لبغداد ، كما أرخ لمؤلفاته الكبير منها والصغير تأريخا علميا أدق مايكون التاريخ العلمى فكان من ذلك كله كتابه ذو القدر الكبير الجاحظ حياته وآثاره ، وفى سنة ١٩٤٩ تخرج من دار المعارف تحفة قيّمة فى سلسلة (اقرأ) عنوانها « قصر الرشيد » لم تخطئ قريحته فى دقة التصوير بما كان يدور فى القصر من نشاط سياسيا كان أم اجتماعيا أم أدبيا ، دع عنك أسرار القصر وما كان يدور من زواج ومن حياة الترف والبذخ والمغنيين والقائمين على الفنون العربية .

كما كان لقلم الحاجرى مشاركة صادقة فى سلسلة الفكر العربى التى تصدرها دار المعارف نلتقط من بينها درة لامعة له وهى كتابه « بشار بن برد » الشاعر العباسى المعروف يرسم لنا فيه أسراره وحياته ومسلكه السياسى الدقيق آنذاك ، كما يتناول جوانب شخصيته المتمردة ، وخصائص إنتاجه الفنى فى معظم شعره العربى من مدح أو هجاء أو وصف أو غزل ، ثم قدم طائفة مختارة من أشعاره فى كل أولئك ، وهو فيما بين هذا وذاك يصدر له كتاب فى تاريخ النقد العربى يتحدث فيه عن بواكير هذا النقد فى العصر الجاهلى ، وابتداء من صدر الإسلام وظهور نشاطه فى العصر الأموى فى مختلف بلاد الحجاز والعراق والشام ، وظهر له مايدل على اتصاله بالحياة الأدبية بالأندلس حيث صدر له كتاب عظيم القدر كذلك هو « ابن حزم الأندلسى » أصدرته دار الفكر العربى قبل رحلته إلى ليبيا بزمن طويل ، حتى إذا كانت سنة ١٩٥٦ أعارته آداب الإسكندرية إلى جامعة ليبيا ، وظل بها أربع سنوات يعمل جاهدا فى إنشاء قسم اللغة العربية بها لتأسيس الدراسات العربية ، وكانت إقامته بليبيا وما جاورها فرصة له

للتعرض للحياة الأدبية فى بلدان المغرب العربى المختلفة ، وهيأت له أن يكتب عنها طائفة من كتبه كان أولها كتاب نشر فيه محاضراته عن الحياة الأدبية فى ليبيا سنة ١٩٦٢ ، ألقاها فيما بعد على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربيةبعد أن أضاف إليها دراسات عن المغرب العربى فى القرون الثلاثة الأولى ، وفى العصر الحديث ؛ وسمى كل أولئك دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربى ، وشاع فضل الأستاذ الدكتور الحاجرى فطلبته جامعة بغداد فأعير للتدريس بها مدة عامين عاد بعدهما إلى الإسكندرية رئيسا لقسم اللغة العربية بها ، وعاود بحوثه فى أدب المغرب سنة ١٩٦٨ فألقى محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عن الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر صور فيها تلك الحياة منذ ابتدائها فى التاريخ الحديث مضيفا إليها دراسة تفصيلية ممتازة عن الأمير عبد القادر الجزائرى وأدبه وشاعريته وآثاره العلمية وآثاره الصوفية شعرا ونثرا وآثاره الديوانية ، وحديثا عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشأتها وكفاحها ضد الاستعمار الفرنسى البغيض .

وفى سنة ١٩٦٦ حين تقاعد الدكتور الحاجرى ومايزال فى صدره وفاء لأستاذنا الروحى فى شبابنا : محمد فريد وجدى صاحب دائرة المعارف ، فأعد محاضرات نفيسة عنه فى معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٠ ، جمعها كتاب رسم فيه حياته إلى أن بلغ الحادية والثلاثين من عمره مع دراسة عن مؤلفاته وأنشطته الصحفية .

ثم عاد الدكتور الحاجرى عاكفا على دراسة ابن خلدون ينشر عنه كتابا مستقلا باسم « ابن خلدون بين حياة العلم والسياسة » صور فيه مراحل حياته فى البيئات العربية المختلفة التى اختلط بها وبحكامها وأهلها وعلمائها من الأندلس إلى الشام إلى مصر ، مع دراسة مفصلة للحياة العقلية حينئذ فى تلك البيئات ومع ترجمة نادرة دقيقة لأستاذه ابن خلدون ، وإذا تتبعنا جولات الدكتور الحاجرى فى البيئات المغربية المختلفة نجده قد زار تونس

قـديما سنة ١٩٥٦ وخص أديبـهـا ابن شـرف القيرواني بدراسة نشرها سنة ١٩٨٣ تكشف عن مراحل حياة ابن شرف في موطنه القيروان وفي صقلية والأندلس ، مع طرائف شتى من شعره ونثره ، وفي تلك السنة بعينها ينشر كتابا له عن مرحلة التشيع وأثره في حياته الأدبية هناك ، منذ قيام الدولة الفاطمية قبيل انتقالها من إفريقية إلى الديار المصرية مع بيان دور الشـاعـر الأندلسي ابن هانئ في هذا الانتقال ، ولا نستطيع أن نغفل - مع هذا الإنتاج الوفير - ما كان يغذى به مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية والمجلات المختلفة في مصر والعالم العربي من مقالات ذات قدر كبير في قضايا الأدب والتاريخ وما كان يخص به مجلة الثقافة في سنواتها الأخيرة في الستينيات والسبعينيات من المقالات في شتى شئون الأدب والتاريخ .

ولكن في كلمة الدكتور الحاجري التي ألقاها في حفل استقباله تمجيدا عظيما لمجمعه الموقر تحفه ذكريات عزيزه عليه تترجمها علاقته الحميمة بالمستشرق الألماني فيشر ، وكلامه حول معجمه اللغوي ، ويصور رحلة فيشر من بلده إلى المجمع وتحفزه في تلك السن أن يجوب أروبا ويركب البحر ويجعل من القاهرة دار قراره ، وتراوده النشوة في تحقيق هذا الأمل الذي كان ملء ضميره ومستنجدا ببعض زملائه المستشرقين ومن صفوة الأعضاء العلماء العرب داعيا إليه مكافحا لمن كان يعترض سبيل إيمانه بعلمه ثم ينشط وينشط ويستقطب بعض زملائه من المستشرقين وغيرهم فنجد إزاء المعارضين كثيرا من المؤيدين له الآخذين برأيه وإزاءهم الواقفون على الحياد ، ويعبر الحاجري عن هذا بقوله « فإذا بهذه الأصداء تعرض صورة من أعضاء هذا المجمع وهم بين مُرَحِّب به وهاتف له وبين مُزْوَر مجاهر بآرائه وبين متخذٍ موقفًا محايداً كأنه يردد الأمر في نفسه ، ويوازن بين الجهد الذي يتطلبه والمزايا التي تنشأ عنه ، وصاحب المشروع وشيعته حريصون عليه متشبثون به ، ثم لايزالون يتحدثون عنه ويتوسلون إلى تحقيقه بكل وسيلة ، يجنبونه مايعانيه من معارضة وما يخشونه من بأس يصيبه ، ثم كان من ذلك حل وسط رضوا به ،

وهو أن يتبوأ هذا المشروع مركز استقلاله فى ذلك المبنى يعمل فيه فيشر ومدير مكتبه ، وهذه الصفوة من الموظفين يتصفحون الكتب ويستخرجون مايعينهم وما يتطلبه المشروع منها ، وتتمثل فيه هذه الروح العلمية بما فيها من إصرار على مواصلة العمل واستجابة إلى الأمل . وتحَدٍّ لكل عقبة أو صعوبة ، وأنا- فيما أحس من ذلك - شديد الغبطة فى الكلام عن الدكتور الحاجرى ، لا أكاد أشعر بما يمكن أن يعرض له من هذه الحرب التى تقترب نذرها وتتوالى شرورها وتثير من الوساوس والتوجسات ما لا يكاد يرى ، ثم ما لبث ذلك كله أن ثار واشتعل وزأر وتهجم ، ولم يعد بدٌّ من أن يعود فيشر إلى ألمانيا ويخضع لما تمليه عليه سوق الحرب فيها ، وينقطع ما بينه وبين مصر ، ويثار مركزه فيها بما يشبه الفتور ، وقد تشتت فكره وتبدد أمره ودانت خطاه واضطرب البريد بينه وبين صاحب المشورة الذى ظل يحاول عبثاً أن يقاوم ما مُنِىَ به ويستدرك ما فاته ، وكانت هذه هى المرحلة الوسطى ، حيث خفض المشروع صوته بقدر ما علا صوت خصومه ، وقضى فيشر نحبه سنة ١٩٤٩ .

ثم يذكر الدكتور الحاجرى إحالة مشروع فيشر إلى مشروع المعجم الكبير فى إسهاب وتفصيل بعد أن أرَّخ تأريخاً أميناً لهذا المشروع التاريخى الذى سجله ممزوجاً الأمنيات مقدِّمًا لنا صورة صادقة لما كان ينبض به قلبه بلهفة على أمل عاصره معاصرة طويلة وتابعه متابعة مديدة حتى ذهب أدراج الرياح ، وخلفه أمل جديد - وهو أملنا جميعاً- هو إعداد المعجم الكبير الذى تتغلغل فرص نجاحه بين جوانحنا جميعاً ، وإنما ذكرت هذا كله مقتبساً من عبارات الزميل الراحل الذى لم يستكمل فرحته بالانتماء إلى المجمع ثم بعد أن وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً ، وهذا ما يجعلنا نشعر بالحسرة على هذا النجم الثاقب الذى ما إن انتظم فى سلك هذا المجمع العتيد حتى ودَّعه ، مصوراً شعوره قبل خمسين سنة ، فى كلمته التى ألقاها فى حفل استقباله بقوله «كنت أرانى منجذبًا إليه مسوقًا نحوه ، كلما وجدتُ فراغاً فى وقتى قضيته فى سيرته ،

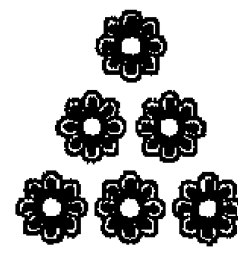
وكانت نشوتى تزداد به حينما أشهد مشهداً من مشاهد النشاط العلمى أو يدور الحديث عنه وأُرى مضطرب الخاطر بما يثيره هذا الحافز الذى استطاع أن يحمل شيخًا كبيراً (يعنى فيشر) أن يجوب أوربا ويركب البحر ليبلغ ذلك البارق الذى يتألق له على النيل» .

هذا قليل من كثير عاطر أذكره للزميل الفاضل الحبيب الطيب القلب المثالى الخلق الذى نودعه فى هذا اليوم من سنة سبع وأربع عشرة هجرية ، وسنة سبع وثمانين ميلادية ، والذى استقبله المجمع بالأمس غرة شعبان سنة أربع وأربع عشرة هجرية ، والثانى من مايو سنة أربع وثمانين ميلادية ، فكان مقامُه بيننا زُهَاءَ ثلاث سنوات قدَّم فيها للمجمع ما استطاع باشتراكه فى لجنة المعجم الكبير ولجنه الجيولوجيا ، ثم أقعده المرض عن متابعة ماكان عازماً عليه من عطاء . غفر الله له ورحمه رحمة واسعة بما قدّم لأمته ، وعروبته ولغته وللمثقفين بعامة ، والجامعيين منهم بخاصة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع



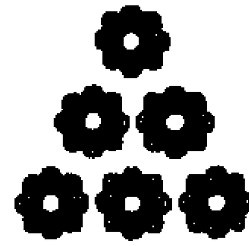
كلمة الأسرة
فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى
ألقاها الأستاذ محسن الحاجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى .

إنه لشرف عظيم أن تتاح لى فرصة الوقوف بين أيديكم فى مجلسكم الموقر ، وإن الكلمات لتعجز عن أن تعبر عما يجيش فى صدرى ، فأنتم تجتمعون اليوم لتأبين فقيد عزيز عليكم كان بمعجمكم الموقر حفيًّا ، كما كان للغة التى تمثلونها نصيراً وفيًّا ، وإن لم يكن بد من أن تكون للأسرة كلمة ، فكلمتنا هى تحية إكبار وإجلال لهذا الوفاء الرائع الذى ضربتم به مثلاً أعلى فى جلستكم هذه وفى مجلسكم الموقر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كلمة المجمع فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ عبد الله كَنون

(1326 - 1410 هـ = 1908 - 1989 م)

للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى

شهد المغرب الأقصى فى مطلع القرن العشرين ظروفا بالغة الدقة ، فقد اتجهت إليه أطماع الدُّول الأوربّية وخاصة منها التى أصبحت تجاوره أو تشاركه أراضيه .

ولم تلبث المصالح الأجنبية أن توزعته مغاربَ ابتداءً من عام ١٩١٢ فأصبح بعضه تحت الحماية الفرنسية ، وأمسى شطرٌ منه تابعا للحماية الإسبانية بينما صارت طنجة منطقةً دوليةً ... وهكذا ظهر فى الناس من أخذ يفكر فى الهجرة إلى خارج البلاد ...

وقد كان الشيخ عبد الصمد بن التهامى كُنُّون من أولئك الذين عقدوا العزم على مغادرة فاس التى كان المستعمر أشدّ وطأةً على أبنائها ... مغادرة البلاد للالتحاق بالمدينة المنورة اختياراً للجوار هناك !

ومن هنا اتجه الشيخ نحو طنجة بصحبة عائلته بمن فيهم الصبى عبد الله المولود قبل أربع سنوات[1] ، تأهُّبا لأخذ طريق البحر ...

لكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق الأمل وهكذا أصبح على العائلة أن تقيم بطنجة حيث نشأ عبد الله بين أحضان والده يجلس إليه ليلقِّنه الدرس إلى جانب من كانوا يتعاطون العلم فى المدينة آنذاك ، وانطلق من هنا يتردد على سائر أساتذة المدينة ومشايخها[2] .

وكان مما ساعده على التمكن من معارفه وتقوية روافده أنه أصبح يشتغل هو نفسه بالتعليم فأنشأ له مدرسة حرة عام ١٩٣٦ قبل أن ينشئ المعهد الإسلامى ، وأخذ يدرب نفسه على الإنشاء والكتابة واكتسب المران على

---

(١) ولد عبد الله كَنون يوم السبت ٣٠ من شعبان ١٣٢٦ هـ الموافق ٢٦ من سبتمبر ١٩٠٨ .

(٢) كان من أولئك العلماء الشيخ مصباح والقاضى الغازى والفقيه السيحى ...

المتابعات والتعقيبات من مدينته طنجة التى كان نظامها يسمح بنوع من الحرية فى انتقاد ما يجرى فى المنطقتين[1] الباقيتين .

وقد اختار عبد الله كَنُّون وجهته فى الكتابة منذ البداية فنصَّب نفسه معرِّفا ببلاده ، داعياً للحفاظ على مقوماتها مدافعاً شرساً عن اللغة العربية معتبراً ذلك واجباً وطنيًّا ودينيًّا ...

وعلى نحو ما كان منه فى النشر ... وجدنا عبد الله يمارس الشعر وهو لم يتخطّ الخامسة عشرة من عمره ، أكثر من هذا أن المواضيع التى تناولها شعره كانت تعبر وحدها عن انتماءاته وطموحاته ... فقد قال الشِّعر بمناسبة ثورة الريف عام ١٩٢٥[2] وبمناسبة صدور مرسوم عام ١٩٣٠ الذى كان يقضى بشطر المغرب إلى عرب وبربر ، الأمر الذى يترجم عن انشغاله بالسياسة والوطنية منذ الوقت المبكِّر .

ولعل من المهم أن نعرف أيضاً عن بيئة الأسرة التى قدر له أن يصاهرها ، ويتعلق الأمر ببيت الفقيه الشيخ ابن تاويت الطنجى الذى زَوَّجه عام ١٣٥٤ = ١٩٣٥ ابنته السيدة آمنة شقيقة الأستاذ المحقق محمد بن تاويت ، دفين اسطانبول ...

وقد شاء القدر أن يجعل من فترة الثلاثينات هذه تاريخ إطلالة الفقيد على المستقبل الجليل الذى كان ينتظره ...

وهكذا شاهدناه يتطلع إلى مصر[3] التى طبعت له كتابه " شرح الشقمقية " عام ١٣٥٤ = ١٩٣٦ كما طبعت له كتاباً آخر بعنوان شرح مقصورة المكّودى ١٣٥٦ = ١٩٣٨ فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه الطبعة الأولى من كتابه: " محاذى الزقاقية[4]" ...

أكثر من هذا وجدنا أن صدى هذا الشاب النَّابه يصل إلى مصر عندما أرسل بعد سنتين بكلمةٍ مليئةٍ بالعواطف يؤبن فيها شيخ العروبة أحمد زكى باشا منوهاً ببحوثه ورسائله ... فى كلمةٍ تدل على أن تدريبه على الكتابة بلغ

---

(١) كان لنشأة عبد الله بطنجة أثر فى معرفته للإسبانية والفرنسية ...

(٢) مجلة الكرمل ١٩٨٤ العدد ١١ .

(٣) كان كنون من المؤلفين المبكرين بقراءة المقتطف والمؤيد واللواء والأهرام وغيرها من الجرائد التى كانت تصل لطنجة ...

(٤) ترجم هذا الكتاب للفرنسية .

مناله وأنه بالفعل جدير بالالتحاق بصفوف الأدباء اللامعين الذين ظهروا آنذاك .

ومن هنا ربط الفقيد صلاته بديار المشرق فأخذت تظهر له بين الحين والآخر بحوث فى مجلة (الرسالة) التى كانت منتدى يجمع كبار الكتّاب ، فكتب هناك بحثا عن (الشّعر الوطنى فى الأندلس[1] ...) وبحثاً عن ديوان المتنبى كان ساهم به فى الاحتفال بذكرى المتنبى بفاس[2] ..

واستجابةً لدعوة أعرب عنها الأستاذ على طنطاوى بمجلة الرسالة قام الأستاذ كنُّون - بعد أن شعر بأن أحداً من المغرب لم يحرك ساكناً - بتحرير مقالٍ مُسهب عن " ماضى القرويين وحاضرها[3] .. "

وقد صادف ظهور هذا المقال فترة انتفاضة طلبة جامعة القرويين فى أعقاب قيامهم بحركة إضراب للاحتجاج ضد سلطات الحماية التى كانت تعمل جاهدة ضد تطوير وتقدم التعليم بجامعة القرويين .

ومن الطريف أن نجد أن فى صدر الموضوعات التى كانت تأخذ باهتمام كنُّون التعقيب على كلّ ما ينشر فى المشرق عن بلاده المغرب ! فهو لا يتردد فى الإضافات أو التصحيحات ... وفى أبرز ما يلفت النظر - أنه كتب منذ الثّلاثينيات يعقب على ما نشرته المجلة المصرية (الصباح[4]) حول العامية المغربية ... وما نشره كذلك حول : عامِّيتنا والمعجمية مما يهتمّ به اليوم مجمعنا الموقر ...

لكنَّ الذى رفع من ذكر عبد الله عاليا هو كتابه " النبوغ المغربى" الذى يقول : إنه ألفه لما شعر بواجبه فى ضرورة تزويد إخواننا فى المشرق بالمادة التى يعتمدون عليها فى الحديث عن المغرب .

ومن المهمّ أن نعرف هنا - للتّاريخ - أن مما

---

(١) العدد ١٠٥ .

(٢) العددان ١٢٩ - ١٣٠ من الرسالة .

(٣) مجلة الرسالة الأعداد ٢٦١ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ بتاريخ (يوليه ١٩٣٨) د. التازى : تاريخ جامعة القرويين ، المسجد الجامعة ج ٣ ص ٧٦١ .

(٤) العدد ١٥٥٠ انظر التعاشيب ص ١٢٧ .

زاد فى التعريف بهذا الكتاب إقدام الإدارة الفرنسية على منع تداوله فى منطقة حمايتها[1] ...

ولو أن محتوى الكتاب لا يتجاوز التعريف بكتّاب المغرب وشعرائه وأدبائه .. لكنه مع ذلك أقلق المستعمرين .. ولم يترددوا فى إصدار قرار يمنع بيع الكتاب وعرضه وتوزيعه على ما نقرؤه فى بلاغ رسمى نشرته جريدة (السعادة) التى كانت اللسان الرسمى للإقامة الفرنسية العامة[2] .

ومن المهم أن أذكر هنا أن من أبرز الأسباب التى دفعت بالسُّلطات الاستعمارية لحجب الكتاب عن الأنظار ! .. أن كنُّون أبرز الوثيقة الأدبية كدليل على الحدث السياسى .. سجّل احتلال الجزائر على لسان الشاعر المغربى الوزير ابن إدريس وسجل احتلال تطوان على لسان الشاعر الأديب أفيلال ... هذا علاوة على أن الاستعمار كان يقلق من الحديث عن كلّ ما من شأنه أن يُظهر على أنه كان أمةً قائمة الذات .. !

وحدث أن أقدم رجال الإقامة العامة (أغسطس ١٩٥٣) على إقصاء الملك محمد الخامس عن العرش .. ولما كان كنُّون يعرف أن الشّرطة فى طنجة بالرغم من أنها مزدلقة دولية لكنها - أى الشرطة - متحيزة للإقامة العامة بالرباط ... إنها على حدّ تعبيره " فرنسية أكثر من فرنسا » ! .

هنا وجدنا عبد الله كنُّون يغادر بيته متنكراً فى شكل سيّدة ليأخذ الطريق نحو تطوان حيث الحكم الإسبانى الذى كانت له سياسة غير التى سلكها الحكم الفرنسى فى الرباط !

هنا وجدنا عبد الله كنون يُمسِى وزيراً للعدل فى حكومة الخليفة السلطانى بالمنطقة : مولاى الحسن بن المهدى ، ونظراً لما كُنَّا نعرفه

(١) ظهر النبوغ فى ثلاث طبعات :

الأولى : فى جزأين ١٩٣٦ عن المطبعة المهدية ، والثانية فى ثلاثة أجزاء عام ١٩٦١ بدار الكتاب اللبنانى ، بيروت . والثالثة عام ١٩٥٧ أيضا ببيروت جمعت ثلاثتها فى مجلد واحد ، وقد علمت أن الفقيد قبل وفاته قدم كتابه لصاحب الدار المذكورة السيد حسن الزين لطبعة رابعة بعد أن قام بإضافات وتنقيحات ، هذا ويذكر أن النبوغ ترجم إلى الإسبانية والانجليزية وقد نوّه به وقتها الأستاذ الأمير شكيب أرسلان .

(٢) العدد رقم ٤٥٩٢ بتاريخ ١٣ من أغسطس ١٩٣٨ .

جميعًا حول مدى فعالية " الحكومة" فى ظلّ الاستعمار سواء أكانت فى الشمال أم الجنوب.. فقد وجدنا أن الخليفة السلطانى يعهد إليه بعملٍ جليلٍ عاد بفائدة جيّدة على العلم والفكر .. وبهذا نفسر ظهور عددٍ من المؤلفات النفيسة التى تعتبر اليوم مرجعاً من مراجع التراث الإسلامى والعربى ...

ولكن أمر تلك " الحكومة " لم يطل ، فقد عاد الملك محمد الخامس إلى عرشه وعلى الفور توحدت المنطقتان لتكون جميعها المملكة المغربية .

وهنا وجدنا العاهل يعهد إلى كنُّون بولاية مدينة طنجة فى هذا الظرف الدّقيق الذى كان يعنى تسلم المغرب المستقلّ لسيادته على طنجة من إدارتها الدولية ! وكانت هذه اللفتة اعترافاً بمواقف أستاذ طنجة وعالمها ومناضلها بالأمس.

وهكذا أمسى سيدى عبد الله فى دُّوامة من أعمالٍ يرتبط ليلها بنهارها صرفته عما تعود عليه ، وكلٌّ ميسر لما خلق له[1] ، وهنا أشعر العاهل برغبته فى التفرغ فقدر العاهل موقفه وأعفاه بتاريخ ٢ من ذى القعدة ١٣٧٦ = ٣١ من مايو ١٩٥٧ .. لكنه استمر على صلة بالعاهل يكرمه ما وسعه التكريم . ومن هنا عينه رئيسا لوفد الحج الرسمى لموسم ١٣٧٦ = يونية ١٩٥٧ على ما يفصله فى " مجموعة ": تحركات إسلامية ... الذى يورد فيه رسالة اعتماد الوفد لدى جلالة الملك سعود بن عبد العزيز ...

ومن المهمّ أن نعرف أن هذه هى الفرصة الأولى التى عرج فيها على دمشق : وكان يتشرف بعضوية مجمعها العلمى العربى منذ سنة بقرار من الرئيس شكرى القوتلى ... عرج عليها فى طريقه لمصر حيث قام بزيارة مقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة لأول مرة عندما اصطحبه معه مفتى القدس الحاج أمين الحسينى ، وحضر جلسة علنية تكلم فيها الدكتور منصور فهمى الأمين

---

(١) ذكر لى الشيخ كنون أنه سجل مذكراته أيام ولايته بطنجة ولكنه لايعتزم نشرها مُعلقاً ذلك بقول الشيخ خليل : وعُفِى عما يعسر "!!

العام للمجمع كما تكلم فيها الأستاذ شفيق غربال[1] .

وقد حدث بعد عودته من المشرق أن زارنا ضيفٌ كريمٌ من مصر هو الدكتور طه حسين صحبته زوجته وكاتبه الخاص حيث سَعِدتُ بمرافقته مندوباً عن وزارة التربية الوطنية ، وهناك فى مدينة طنجة التى نزلها بحراً انتظم لقاء مع الأستاذ عبد الله كنّون فى قصر عامل طنجة الجديد الدكتور عبد اللطيف بن جلون يوم ١٦ من يولية ١٩٥٧.

ومايزال أمام عينى الآن مشهد الأستاذ طه الذى فوجئ بكلبٍ كبيرٍ يحتك به فى مقعده مؤانسًا فردد صدر قول الشاعر بصوته الجهورى المعروف : يغشون حتى ما تهرّ كلابهم[2] ".

وقد واتت الفرصة الأستاذ كنُّون للسفر إلى القاهرة أواخر هذه السنة : ١٩٥٧ لحضور مؤتمر الأدباء فى دورته الثالثة تحت شعار القومية العربية ... وبهذه المناسبة حضر فى مجمع اللغة العربية حفل استقبال الأستاذ شفيق غربال عضواً جديداً فى المجمع ...

فهل يصحّ أن نقول إن هاتين الزيارتين للمجمع كانتا لمجرد صلة رحم بأسرة العلم ؟ مهما يكن فإنّها - مع ما صحبها من ظهور آثار علمية جديدة لعبد الله كنّون كانت تمهيداً لانضمامه إلى أعضاء مجمع القاهرة ..

وهكذا تمّ إشعاره سنة ١٩٦١ بانتخابه عضواً عاملا من غير طلب ولا سعى بل ولا تشوف ، كما يقول كنُّون فى مذكراته ، ربما منكتاً على بعض الذين يتشوفون ويطلبون ويسعون !!

ويجب القول هنا بأن عبد الله كنون ترشح لهذه المأثرة علاوة على أنه كان اختياراً صائباً ، لكنه مع ذلك أتى ، من حيث التوقيت ، فى

---

(١) كنُّون : ذكريات جميلة عن العمل مع الخالدين - بحوث العيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية ١٩٣٤ = ١٩٨٤ .

(٢) كانت فرصة زيارة الدكتور طه حسين للمغرب مناسبة لإقامة عدّة تظاهرات أدبية فى مختلف القواعد المغربية وخاصة بفاس حيث احتفت به جامعة القرويين التى أنشده شاعرها الأستاذ محمد الحلوى قصيدة رجعت بالدكتور إلى عصور الشعر العربى الزاهرة على حد تعبيره :

حق على الشعر أن يهـدي عرائسه … تحـيةً لعميد الشعر والأدب
خفوا إلى العلم يطوى البحر متجها … إلى بنيه بهذا المغرب العربى

محمد الحلوى : أنغام وأصداء طبع ونشر دارالسلمى الدار البيضاء ١٩٦٥ .

محله فقد كان عبد الله كنُّون فى حاجة ماسّة إلى هيئة علمية عليا ينتسب إليها وخاصة فى بلد عظيم كمصر التى طبعت كتبه قبل ربع قرن !!

وقد شعرنا نحن فى المغرب بأن تكريم كنُّون بالخصوص كان تكريماً لسائر رجال الفكر ولسائر الذين يؤلفون أو يحاولون معتمدين على نفوسهم وعلى جهودهم الخاصة ...

ولقد اكتسب عبد الله كنُّون سنداً معنويًا هامًا فتح أمامه الآفاق للالتحاق بمؤسسات علمية فى جهات مختلفة ...

فماذا عن تحيته الأولى لزملائه أوّل الأمر ؟ ثم ماذا عن بحوثه المنتظمة ؟

لقد كانت تحيته للمجمع عبارة عن جرد شامل وكامل لمساهمة المغرب عبرالتاريخ فى دعم اللغة وإغناء العلم وازدهار الحضارة ..

وستظل تلك التحية أثمن هدية يقدمها المغربى لأخيه فى المشرق ... لقد استوعب فيها كنُّون كلّ العناصر التى تساعد على أداء الصُّور الحقيقية أمام السادة أعضاء المجمع ، وكان - وهو يقوم بذلك الجهد - لا يتردد فى ذكر مصادره وتوثيق معلوماته ...

كانت هذه التحية الأولى بمثابة بطاقة تعريف أيضاً بروافد العضو المغربى الجديد !

وحتى يبرهن كنُّون على نَفَسه الطويل لم يكتف بتقديم التحية ، لكنّه شفعها فى نفس الدَّورة ببحثٍ طريفٍ ترك صدىً جيّداً فى أوساط المجمع ، ويتعلق الأمر بالبحث الذى حمل عنوان : لِمَا بِهِ " وألفاظ أخرى[1] ...

ومن هنا انطلق عبد الله كنُّون مواظباً على حضور سائر الدَّورات على ما تكشف عنه " مجلة المجمع التى نشرت سائر البحوث والمحاضرات التى ألقاها الفقيد فى جلسات المجمع إلى بحثه الأخير بعنوان ·نحن والتراث) الذى نشرته مجلة المجمع عام ١٩٨٦ ...

وإذ أترك للمهتمين الفرصة لمراجعة تلك

---

(١) انظر أعمال الدورة ٢٨ الجلسة الثانية للمؤتمر ١٩٦١ - البحوث والمحاضرات ص ٢٧ ... وكذا د. ٢٩ ج ٤ ص ١١٧ و د . ٣٠ ج ٥ للمؤتمر ص ٤٣ و د . ٣١ ج ٣ ص ٤٣ و د . ٣٢ ج ٦ ص ١٣٧ والدورة نفسها ٣٢ ج ٧ للمؤتمر في بغداد نوفمبر ١٩٦٥ ص ٢٩٥ إلخ ...

اللائحة الطويلة العريضة أقف قليلا مع دورتين اثنتين : أولا الدورة الثانية والثلاثون التى انعقدت فى العراق عام ١٣٨٥ = ١٩٦٥ حيث كان لى الشرف بالاجتماع بأعضاء المجمع ببغداد وأنا أقوم بتمثيل بلادى هناك ...

لقد رجعت إلى مذكراتى فى عاصمة الرشيد لأجد أننى استمعت فى قاعة الشعب إلى كلمة المجمع العلمى العراقى التى ألقاها الدكتور سليم النعيمى نائب رئيس المجمع الذى تغيّب فى الأردن ! واستمعت لكلمة مجمع اللغة العربية التى ألقاها الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام للمجمع آنذاك وكلمة الأستاذ عبد الله كنُّون ...

لقد اكتشفت بهذه المناسبة جوانب أخرى فى حياة الفقيد عبد الله كنُّون الذى لازمنى طوال مدة إقامته ببغداد... فلقد كان منشغلا بالست آمنة التى كان حريصًا على أن يحمل إليها أسورةً مناسبة من بغداد ...

لقد عرفت الجانب المرح من حياته بهذه المناسبة كيف وهو صاحب كتاب " أدب الفقهاء " ... استمعنا إليه فى عدد من القصص الخفيف البرىء وأثرنا معه قضايا الاهتمام بالمرأة من جانب الإسلام ، فأخذ يروى بعض المأثور من كتابات حول المرأة مشيراً إلى العواطف الرقيقة التى تضمنها حديث أم زرع وقول النبى صلى الله عليه وسلم لها : " غير أنى لا أطلقك " مؤكداً أن مثل هذه الأقوال تزرى بأحسن قصائد الشعر الموضوعة فى الغزل والنسيب ...!

فى الدورة الخمسين التى انعقدت عام ١٩٨٤ حيث تم الاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية (١٩٣٤ - ١٩٨٤) استمعنا إلى ذكريات الأستاذ عبد الله كنُّون مع المجمع ... وهى مذكرات تعطى صورة عن مشاعر الأستاذ وهو يستعرض أمامنا حصيلة السنوات التى قضاها مع الزُّملاء الأعزاء ..

وقد كان مما سجلته مذكراته من معلومات عن مسيرة المجمع أنه عُرض على المؤتمرات ذات يوم اقتراح يقضى بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التى يقدمها الأعضاء للمؤتمر ، فكان هناك مساندون للاقتراح ومعارضون ، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد من المعارضين معللا رأيه بأنّ فى ذلك تقييداً لحرية الأعضاء

وتضييقاً عليهم فى مجالات البحث الواسعة وقد ضرب المثل ببحث كنُّـون المتعـلق بتعبير " لما به " الذى " لولا ترك البـاب مفـتوحـا لما ظفرنا به على حدّ تعبيره " ...

وعلى نحو ما تفيده محاضر المجمع يؤكّد الأستاذ الراحل أنه قلّما حضر مؤتمراً للمجمع ولم يقدّم بحثًا ، سواء أكان البحث لغويًا أم نحويًا أم أدبيًا أم متعلقًا بالتّراجم ...

ونشعر هنا بأن الأستاذ ظهر وكأنما يترجم لنفسه بقلمه وقد حرر الأستاذ عبد الله كنون بالفعل ترجمةً مختصرةً بخطّه رأيتُ أن أقدّمها لأصدقائه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف بقلمه .

الخط والصورة والمعلومات عناصر أكثر من كافية للتعريف بأى شخص كان ، وإذا لم يصح اختصار الخط والصورة ، فلعلنا لا نخل بشرط (دار الرفاعى للنشر) إذا اقتصرنا على أهم المعلومـات ، فـالكاتب ولد عـام ١٣٢٦ = ١٩٠٨ بمدينة فاس ، وانتقل - وهو صبىٌ مع أسرته إلى مدينة طنجة عند فرض الحماية الأجنبية على المغرب ، وكانت الأسرة تنوى الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون ذلك ، ودرس بطنجة على والده السيد عبد الصمد كنُّون وعلى غيره من كبار العلماء . وبدأ بالكتابة ونظم الشعر وهو طالب ، واشتغل بالتعليم وعمل فى الحركة الوطنية وكتب فى الصحف وظهرت كتابته الأدبية فى مجلة الرسالة فى سنواتها الأولى . وألف عدة كتب فـاق المطبـوع منهـا الآن ٤٠ كتاباً مابين دراسات أدبية وإسلامية ، وتحقيق بعض كتب التراث ، إلى أعمال إبداعية شعرية ونثرية ، وأُسندت إليه وظائف إدارية وحكومية وانتخب عضواً فى المجامع العربية ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة ، وهو أمين رابطة علماء المغرب وعضو أكاديمية المملكة المغربية . وفى مجلس الوصاية على العرش ، ويحمل وسام الكفاءة الفكرية المغربى من الدرجة الممتازة ووسامًا علميًا تونسيًا . ورِضَى اللّهِ أقصى مراده . التوقيع : عبد الله كنُّون

ولابد للمهتمين بآثار عبد الله كنون أن تستوقفهم السلسلة التى نشرها حول (مشاهير

رجال المغرب) ، نشرها بعد كتاب " النبوغ " السالف الذكر[١]

وإذا كان منهج كنُّون فى " النبوغ " طبعها على التَّعقيب على حسب الدُّول التى تعاقبت على الحكم فى المغرب فإن منهجه فى تراجم الأعلام يعتمد على ذكر نسب الشخصية المترجمة وموطنها ، والصِّفات الذاتية والأخبار الشَّخصية والصفات الفنية للشَّخصية ...

والمهم فى أخبار هذه السلسلة أن عبد الله كنُّون لم يكن فيها مجرد ملخص لحياة أولئك الرجال أو مستعرض لآثارهم وأعمالهم دون تمحيص ولا تعقيب فقد كان يصحِّح بعض الهفوات التى وقع فيها المؤلفون السابقون[٢] ... وكان يقوم بالمقارنات والمفارقات .

وربما كان يعتزم نشر تلك التراجم فى "مجموع[٣]" على نحو مجاميعه الأخرى : " اتعا شبيب [٤] " و" خل وبقل " و " العصف والريحان " و " أزهار برية[٥] " و " واحة الفكر " و " معارك " ..

وقد كان من تآليفه التى يمكن أن تعدَّ تكملة لكتابه " النبوغ" كتابه بعنوان : أحاديث عن الأدب المغربى الحديث ، الذى صدرت منه أربع طبعات كان أولها عام ١٩٦٤ ، وهو عبارة عن المحاضرات التى ألقاها فى معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدُّول العربية ..

ومن التآليف التى نالت حظًا من الاهتمام

---

(١) تولى نشر هذه السلسلة معهد مولاى الحسن بتطوان الذى أنشئ عام ١٣٥٦ - ١٩٣٧ - ٣٨ وصدر منها ٢٥ عدداً فى ظرف خمس سنوات ثم وقفت لظروف سياسية ، ثم واصلت نشرها دار الكتاب اللبنانى فى بيروت ابتداء من عام ١٩٦٠ وأعادت نشر الأعداد المطبوعة وقد بلغت السلسلة الآن أربعين آخرها ابن زنباع الطنجى ، وقد أكد لى السيد حسن الزين أن عشرة أعداد أخرى توجد عنده تحت الطبع تناول فيها شخصيات مغربية بارزة على رأسها محمد الخامس والزعيم محمد بن عبد الكريم ...

(٢) أذكر على سبيل المثال حديثه على ابن غازى فى الحلقة (١٢) عندما نقل عن " دوحة الناشر " قولها : إن خروج ابننا للجهاد ضد البرتغال فى مدينة أصيلا كان مع السلطان محمد الشيخ الوطاسى اكنون يصحح أن الجهاد المذكور كان أيام السلطان محمد الملقب بالبرتغالى وليس أيام والده الذى توفى قبل ابن غازى بتسع سنين ... وهذه معلومات تؤيدها الوثائق الدبلوماسية المعاصرة .

S. I. H. M. - Portugal T.I.P 387 - 388.

د. التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ح ٧ ص ٢٤٦ . وانظر ملاحق هذا التاريخ .

٣ - من الكتب التى تحدث عن أنه لم يتيسر له طبعها (المنتخب من شعر اليوسى)

٤ - المطبعة المهدية تطوان (بدون تاريخ) ٩

٥ - نشر بتطوان مطبعة ديسبريس عام ١٩٧٦ - ١٩٣ صفحة

كتابه : " أدب الفقهاء " الذى نشر فى حلقات بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق قبل أن يصدر فى كتابه - على حدة - عن دار الكتاب اللبنانى ... ومن تآليفه اللُغوية الجادة كتابه (نظرة فى مُنجد الآداب والعلوم) الذى نشره معهد البحوث والدراسات العربية [1] بالقاهرة

ومن التآليف المبكرة التى صدرت لفقيدنا .. كتابه : (أمراؤنا الشُعراء) الذى ألفه باسم الخليفة السُلطانى وبرسم خزانته[2] .

كما أن من تآليفه : (لقمان) وهو بحث عن لقمان الحكيم طبعة دار المعارف بمصر ... هذا إلى تآليف له بعنوان : (من أدبنا الشعبى) ...

ومن التآليف التى دبّجها ببراعة : كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور الذى طبع أولاً فى مدينة العرائش عام ١٩٤٢ ثم ضمن سلسلة ذخائر العرب وصدر عن دار المعارف المصرية فى الستينيات.

وقد ظهر من شعره ثلاثة دواوين : أشذاء وأنداء[3] وإيقاعات الهموم ، ولوحات شعرية[4]، وقد كان من نظمه المبكر قصيدته الجميلة بعنوان " المكتبة "[5] التى نشرها كاملة فى مجلة " المعتمد " التطوانية منذ عام ١٩٤٧وهذا صدرها :

اخلع النعل واخفض الطرف وامثل
بخشوع كراهب عند هيكل

هاهنا معبد عكوفك ساعًا
فيه خير من نسك عمر وأفضل

عالم واقع وإن كان غيبا
رُب غيب من واقع كان أمثل

اندمجْ فيه تسمُ عن عالم بالـ
ـكِذْبِ والتُرهّاتِ صار موكل

وتبوأ مكان صدق بمغنى
رأْسِ العقلَ واغتنم خير محفل

---

(١) نشر هذا الكتاب من لدن المعهد المذكور بمصر عام ١٩٧٣ .

(٢) يتصدر هذا الكتيب الخطاب الذى وجهه الخليفة مولاى الحسن بن المهدى للمؤلف بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٦١ = مارس ١٩٤٢ ضمنه ما قاله الأمراء من شعر فى عهد الأدارسة وعهد زناتة ولمتونة والموحدين ودولة بنى مرين والسعديين والعلويين .

(٣) مطابع البوغاز - طنجة .

(٤) حجم صغير طبع عام ١٤٠١ بمطبعة سوريا بطنجة .

(٥) مطبعة تطوان ١٩٦٦ . هذا وقد وهَم بعض الكتاب فاعتقد أن القصيدة التى يقول فيها كنون :

بنى قومى أفيقوا من سبات * فإن الحادثات تجدُ جدا

اعتقد ذلك البعض أنها قيلت فى حوادث سطيف (الجزائر) مع أنها قيلت فى حوادث الدار البيضاء ٦ من أبريل ١٩٤٧ التى اصطنعها الاستعمار لكى يربك الملك محمد الخامس حتى لا يقوم بزيارته الوشيكة لمدينة طنجة !!

وقد كانت المقالات الببليوغرافية مما يدخل في اهتمامات كنُّون حيث نجد من بين مقالاته التي استفادت منها المكتبة العربية :

أولا : خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر[1] .

ثانيا : المخطوطات العربية بتطوان [2] .

وإذا ما نظرنا إلى الأستاذ كنُّون ككاتب للمقالة فهنا سنجد أنه جلَّى وأبدع ، وإن المتصفح لمقالاته التي نشرت عبر أحقاب متلاحقة سواء في المجلات والصحف التي كان يشرف عليها[3] أو في بعض المجلات الأخرى من التي أشرنا إليها [4] ، أقول : إن المتصفح لتلك المقالات سيمكنه أن يصنفها إلى ما لا يقل عن خمسة أصناف :

المقالات النَّقدية التي يقوم فيها بنقد بعض الأفكار ، وهي غير المقالات السجالية التي يحاور فيها بعض منافسيه من رجال وقته من أمثال : القاضي عبد الحفيظ الفاسي[5] والأستاذ عبد الرحمن الفاسي[6] والأستاذ محمد بن تاويت[7] ..

وإذا لم نعرف الأستاذ كنُّون من خلال معاركه فإننا لم نعرف شيئا عنه ، وإن الزُّملاء الذين كُتب لهم أن يحضروا بعض تلك المعارك لابد أن يوافقونا على ما نقول ...

(١) نشر في ١٠٥ صفحة .

(٢) نشر في مجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية وأعيد طبعه في مجموع " خل وبقل " ...

(٣) مجلة (لسان الدين) - جريدة (الميثاق) ، مجلة (الأحياء) التي نرجو أن لا تتوقف أيضا بغيابه ... والجدير بالذكر أن الدكتور تقي الدين الهلالي كان هو المؤسس الأول للسان الدين .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق ومجلة الرسالة وجريدة الشهاب الجزائرية والبصائر كذلك والإصلاح ، وصحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد .

(٥) كان القاضي عبد الحفيظ الفاسي نال في كتاب (المدهش المطرب) من نسب آل كنُّون وعرض فيه بعدم انتمائهم إلى النسب الشريف ... حيث وجدنا عبد الله كنُّون يرد على زميله في تأليف بعنوان : " الجيش المجلب على المدهش المطرب " (مضروب على الآلة الكاتبة) - ويظهر أنه لهذا السبب كنا نجد توقيعه يحمل أحيانا عبد الله كنُّون الحسني ...

(٦) من المعارك المبكرة التي كان لها صدى في المغرب ماشبّ بينه وبين الأستاذ عبد الرحمن الفاسي (جريدة العلم) ١٠- ١٨ - ٢٤ من نوفمبر ١٩٤٦ مجلة البحث العلمي . يونية ١٩٧٦ - يولية ١٩٧٧ (العلم) عدد ٧٩ - ١٠٦ - ١١٢ - ١٩٤٧ . واحة الفكر - تطوان ١٣٦٧ - ١٩٤٨ .

(٧) أذكر معركةً من المعارك التي لم يذكرها في مجموعة " معارك " تتصل بما علق به الأستاذ ابن تاويت التطواني على كتابه " النبوغ " وما عقب به هو رحمه الله في مجلة (البحث العلمي) مما كنت مضطراً فيه إلى فض التراشق المبرح بين الرجلين الفاضلين .. !

ومقالات التعريف بالكتب بما فيها دواوين وكتب التاريخ والكتب التراثية المحققة[1] .. هذا إلى المقالات اللغوية التى تهدف لتحقيق لفظ أو تصحيح كلمة .

وأخيرا تأتى المقالات التى يمكن نعتها بالإصلاحية [2] ويندرج فيها ما يتصل بالمقالات التى تهتمُّ بتقويم ما اعوج من سيرة وخلق ، ونلاحظ هنا أنه كان أحيانا يوقع باسمه الصريح لكنه أحيانا يوقع باسمه المستعار وأحيانا بغير توقيع أصلاً !

كما تندرج فيها المقالات العديدة التى حررها مطالبا بإصلاح التعليم والدِّفاع عن جامعة القرويين التى كان يعتبر أن الاحتفال بعيدها المائة بعد الألف كان رثاء أكثر منه احتفالا !!

ولا يمكن للمتحدث عن أعمال عبد الله كنُّون أن لا يقف طويلا وهو يستعرض تحقيقه لكتب التراث ونذكر له فى هذا الصدد .

أولا : ما يتصل بالشعر ، ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ١٩٥٨ ، وقصيدة أنجم السياسة لأبى عبد الله المالقى ، وقصيدة الواعظ الأندلسى فى مناقب السيدة عائشة رضى الله عنها ، وتائية أبى إسحاق الإلبيرى ، والقصيدة الشقراطية فى مدح المصطفى عليه السلام .

ثانيا : ما يتصل بالتاريخ والأدب : (رسائل سعدية) وتتناول العلاقات العثمانية والفارسية والإنجليزية والبرتغالية والأسبانية (ومناهل الصفا فى أخبار الملوك الشرفا) لأبى فارس عبد العزيز القشتالى[3] ورسالة ابن أبى الخصال التى نال فيها من كرامة المرابطين[4] .

---

(١) نذكر من مقالاته حول الكتب المحققة ما كتبه بمناسبة تحقيق كتاب (المُغْرب فى حلى المغرب) لابن سعيد الذى حققه الزميل الأستاذ الدكتور شوقى ضيف .

(٢) يمكن أن ندرج فى هذا الصنف مؤلفه " الإسلام أهدى " الدار البيضاء ، مطابع دار الطباعة ، وكتابه " إسلام رائد " طبع بتطوان ١٩٧١ وقد تكرر طبعه ، و" تحركات إسلامية " دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء ، « وجولات فى الفكر الإسلامى » طبع تطوان ، و«حب الرسول للنساء» و«الردّ القرآنى على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن »؟ أو(مفاهيم إسلامية) ... ونفى تقوُّل سخيف على الجناب المحمدى ، و« على درب الإسلام » ، و«فضيحة المبشرين فى احتجاجهم بالقرآن المبين» ، و«القدوة السامية للناشئة الإسلامية» (بيروت) و«شئون إسلامية» (البيضاء) .

(٣) طبع بمساهمة المعهد الجامعى للبحث العلمى بالرباط .

(٤) لا ننسى أن نذكر من كتبه المبكرة مدخل إلى تاريخ المغرب الذى طبع عدة مرات .

ثالثا : علوم اللغة العربية :

شرح البوري على منظومة ابن كيران في الاستعارة ، شرح جمل المجرادي للشيخ ميارة ، رسالة في أحكام الاختصاص للشيخ عبد السلام بن الحاج .

رابعا : الحديث والفقه :

ترتيب أحاديث الشهاب للشيخ أبي الحسن ابن عبد الله بن حسين الخزرجي القلعي ، كتاب الأربعين الطيِّبة لعبد اللطيف البغدادي . (الرباط)، رسالة نصرة القبض في الصلاة للمسناوي ، الأنوار السنية في الألفاظ السنية لابن جزي – قواعد الإسلام للقاضي عياض[1] (المغرب) ، تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي .

ولا يمكن للمرء أن يغفل هنا الإشادة بتفسير كنُّون لسور المفصل من القرآن الكريم[2] .

خامسا : الأنساب .

ونذكر من هذا عجالة المبتدي وفضالة المنتهي لأبي بكر محمد الحازمي الهمداني الذي نشر في طبعة ثانية من لدن مجمع اللغة العربية بمصر ١٩٦٤ .

وأخيرا نجد تأليفا يمكن تصنيفه ضمن " الوراقة " وهو كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي[3] ...

وبعد هذا نرى من الجدير بالذكر أن نضيف إلى هذا أن عبد الله كنون كان لا يبخل على الذين يقصدونه لتقديم كتاب متى اقتنع بأنه جدير بذلك التقديم[4] ..

كما نذكر – بإكبار – أن بيته كان ناديا ومدرسة وزاوية يقصده المريدون من المشرق والمغرب للفوائد والموائد !!

ونحن إذا ما طرقنا ملفاته الخاصة فإننا سنقف على طائفة جيدة من المراسلات التي كان يتبادلها مع مختلف الشخصيات في عدد من

(١) هذا غير كتابه : (القاضي عياض بين العلم والأدب) السلسلة رقم (٤٢) من سلسلة دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع – الرياض .

(٢) نشر دار الثقافة – البيضاء الطبعة الأولى ١٤٠١ = ١٩٨١ من ص ٤٣٠ .

(٣) فصلة لصحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ج ١٩٥٩/٨/٧ – ١٩٦٠ .

(٤) من بين الذين قدم لكتبهم الشاعر إدريس الجاي في ديوانه (سوانح) مطبوعات القصر الملكي ١٩٦٧ وكانت إحدى قصائده (الفردوس المفقود) قد قرئت على الدكتور طه حسين .. كذلك معجم المطبوعات المغربية للشريف إدريس ابن الماحي الإريسي القيطوني .. وعدد من التآليف كان آخرها عن ابن بري الذي صنفه الأستاذ الأمراني من تازة ...

جهات العالم ، ولو أن تلك الخطابات كانت عادية لما استوقفتنا ، ولكنها مراسلات مليئة بالفائدة وزاخرة بالمعطيات وأرى من المفيد أن أشير هنا إلى إحدى الرسائل التى كان بعضها إلى صديقته العزيزة ترينا مير كادير وهى باحثة إسبانية كان لها تعلق كبير بالمغرب ... وكانت تشرف على مجلة " المعتمد " التطوانية ...

حرر هذا الخطاب الذى نعتقد أنه آخر خطاب منه إلى الآنسة المذكورة وهو يحمل تاريخ عشرين يولية ١٩٨٠ وفيه عتب عليها طول الغياب ويذكرها " بالأيام الحلوة التى كانت تجمعنا على مائدة " المعتمد " وكنتِ أنت تمثلين فيها " اعتماد " زوجة الشاعر فنتبادل أحاديث الأدب والثقافة والشعر ... وتحضّينتا على إمداد تلك المجلة اللطيفة بنتاج أفكارنا من الشعر الوجدانى الرقيق الذى تقومين بترجمته إلى الإسبانية ونشره باللغتين فى المجلة المشار إليها . وإن الشعر الذى نهتم به لا يصلح للمجلة لأنه شعر النضال الملتزم بالأهداف العليا للوطن ولا أنسى - يقول عبد الله - تلك الزيارات الحبِّيَّة التى كنت تقومين بها من العرائش إلى طنجة فأستقبلك أنا وربة البيت. سقْيًا لتلك الأيام ومجدا لتلك الذكريات فياليتها تعود .. !

وبهذا نفسر تهافت كُتّاب المغرب وأدبائه على المساهمة فى تكريمه والحديث عنه فى الصحف والمجلات بمناسبة وداعه[1] ...

ولا يمكن لزملاء الأستاذ كنون أن لا يذكروا بإكبار وتقدير مبادرته الشجاعة الكبرى التى أعطى بها المثل لكل العلماء ، وتتجلى هذه المأثرة فى وقف خزانته الحافلة الكاملة على عموم القراء من أساتذة وطلاب ... إن مثل هذه المبادرة تعتبر وحدها ذات دلالة على تعشق الفقيد وتعلقه بإفادة طلبة العلم حتى بعد وفاته .

وإنها لفكرة جد ذكية وذات نظر بعيد ، بعيد جدا ، حتى بالنسبة لمن له ذرية ولكنها لا تسير فى نفس الخط الذى سار عليه رب العائلة نفس الهواية التى تتملكنا .

(١) كل الصحف المغربية ، أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والملاحق الثقافية على اختلاف مشاربها تحدثت نثرا وشعرا عن عبد الله كنون ، كذلك مشاهد حفلات التأبين التى جرت له على مختلف المستويات .

وإذا كان الأستاذ كنون درج من غير عقب، فإنه مع ذلك ترك جمهورا من الأبناء الروحيين الذين يرددون صداه فى كل مكان وهذه مزية لا تقدر بثمن ، ومن حسن حظ الفقيد أنه وجد إلى جانبه سيدةً فضلى توفر له كل أنواع الراحة مما كان يساعده على الانصراف إلى ما هو بصدده هذا إلى أبناء أخته وخاصة الأستاذ مصطفى الريسونى والأستاذ عبد الله العتاب اللذين كانا إلى جانبه باستمرار وهما المشرفان اليوم على مكتبته التى أصبحت مكتبة لأبناء الشعب .

وإذا كان لى ما أختاره ختاما لهذا الحديث فهو الشكر الجزيل للسيد الرئيس الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع الذى أبى إلا أن يبر بزميل لنا عزيز فعهد إلىّ أن أقوم باسم المجمع بهذه التحية لروح الفقيد الذى ظل لسانه رطبا بالحديث عن زملائه هنا ينوه بذكرهم فى المحافل ويشيد بعلمهم فى المجامع ، وكذلك عرفناه مخلصا وفيا لكل من مت له بصلة أو ربطته به آصرة إلى جانب عزة النفس والترفع عن الجشع الذى يقتل الناس وهم أحياء !!

وإن سلوانا الوحيدة فى اختفاء مثل هؤلاء الرجال أنهم فى الحقيقة لا يختفون ولكنهم يظلون أحياء خالدين على الزمن بما خلفوه من آثار علمية وذكر عبق جميل .

عبد الهادى التازى

عضو المجمع من المغرب

المرفقات :

الملحق الأول **:** لائحة لمؤلفات الأستاذ عبد الله كنون فى تاريخ الأدب ، والتراجم ، والمقالة الأدبية والدواوين الشعرية ، والشروح وفى ميدان التحقيق والنشر والكتب الإسلامية، وتآليف مختلفة .

الملحق الثانى **:** لائحة بالمقالات التى لم يصنفها الأستاذ فى مجموع .

الملحق الأول :

لائحة مؤلفات الأستاذ عبد الله كنون

(أ) - تاريخ الأدب :

- أحاديث عن الأدب المغربى الحديث ، ط ١ ، دار الثقافة البيضاء .

- أدب الفقهاء ، طبعة دار الكتاب اللبنانى ب ، ت .

- أمراؤنا الشُّعراء ، المطبعة المهدية ، تطوان ١٣٦١ هـ .

- سابق البربرى ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٦٩ .

- المنتخب من شعر ابن زاكو ، ط ١ دار المعارف المصرية ١٩٦٦ .

- النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، ط١، المطبعة المهدية ، تطوان ، ١٩٣٨ .

- النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، ط٢، دار الكتاب اللبنانى ١٩٦١ .

- النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، ط٣، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٥ .

(ب) - *التراجم* :

- ابن آجروم : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- ابن ابى زرع : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- أحمد زروق : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- الأصيلى : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- أبو جعفر بن عطية : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- ابن الحاج الفاسى : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- ابن حبوس الفاسى : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

- أبو حفص بن عمر : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن رشيد : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن زاكور : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن زنباع الطنجي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- السلطان محمد بن عبد الله : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- الشريف الإدريسي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن الطيب العلمي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- أبو العباس الهراوي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
- أبو العباس العزفي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
- عبد العزيز القشتالي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
- عبد العزيز الملزوين : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
- عبد الله بن ياسين : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- عبد المهيمن الحضرمي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن عبدون المكناسي: سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
- عثمان المليجي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- أبو عمران الفاسي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- ابن غازي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- أبو القاسم الزياني : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- أبو القاسم الشريف : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- مالك بن المرحل : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- أبو موسى الجزولي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- ميمون الخطابي : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- الوزير ابن إدريس : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- ابن الورقان : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- ابن الياسمين : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

- يوسف بن تاشفين : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

(ج) - المقالة الادبية

- أزهار برية ، مطبعة ديسيريس ، تطوان ، ١٩٧٦ .

- التعاشيب ، المطبعة المهدية ، تطوان ، ب . ت .

- خل وبقل ، المطبعة المهدية ، تطوان ، ب . ت .

- العصف والريحان ، مطبعة كريما ديس، تطوان ب . ت .

- معارك : مطبعة ديسيريس ، تطوان ، ب . ت .

- واحة الفكر ، المطبعة المهدية ، تطوان ١٩٤٦ .

(د) - دواوين شعرية :

- أشذاء وأنداء ، مطابع البوغاز ، طنجة ب . ت .

- إيقاعات الصوم : مطبعة سوريا ١٤٠١ هـ .

- صنوان وغير صنوان ، (معهد للطبع) .

- لوحات شعرية ، دار كريما ديس ، تطوان ١٩٦٦ .

(هـ) - الشروح :

- شرح الشقيقة ، دار الطباعة ، تطوان ١٩٥٤ .

- شرح مقصورة المكودى ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ١٩٥٦ .

(و) - التحقيقات والنشر :

١ - الشعر :

- تائية أبى إسحاق الإلبيرى ، مجلة المناهل عرف مارس ١٩٧٦ .

- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ١٩٧٤ .

- قصيدة أنجم السياسة لابن المالقى ، مجلة التفاعة المغربية ، ١٩٧٣ .

- قصيدة الواعظ الأندلسى فى مناقب عائشة (ف) ، مجلة المناهل ، العدد ٦ ، السنة الثالثة يوليو ١٩٧٦ .

- القصيدة الشقراطيسية فى مدح المصطفى .

٢ - علوم اللغة العربية :

- رسالة فى أحكام الاختصاص للشيخ عبد السلام بن الحاج ، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ب ، ت .

- شرح جمل المجرادى لميارة .

- شرح البورى على منظومة ابن كيران فى الاستعارة .

٣ - التاريخ والأدب :

- رسالة ابن أبى الخصال التى نال فيها من كرامة المرابطين ، مجلة المجمع العلمى العربى ، ج ٤ م ، ٣٥ ، تشرين الأول ١٩٦٠

- رسالة سعدية ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ١٩٥٤ .

٤ - العلوم الإسلامية :

- الأنوار السنية فى الألفاظ السنية لابن جزى .

- ترتيب أحاديث الشهاب للخزرجى .

- تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلى ، المطبعة المهدية ، تطوان ١٩٥٢ .

- رسالة نصرة القبض فى الصلاة للمسناوى .

- كتاب الأربعين الطبية للبغدادى ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ١٩٧٣

- كشف الشبهات لمحمد بن سليمان الدرعى .

ز - كتب إسلامية

- الإسلام أهدى ، دار الطباعة الحديثة ، البيضاء . ب ، ت .

- إسلام رائد ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٩ .

- تحركات إسلامية : دار الطباعة الحديثة البيضاء . ب. ت.

- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم ، ط١ ، دار الثقافة ، البيضاء ١٩٨١ .

- جولات فى الفكر الإسلامى ، مطبعة ديسبريس ، تطوان ١٩٨٠ .

- الرد على كتيب " هل يجوز الاعتقاد بالقرآن "

- شئون إسلامية ، دار الطباعة الحديثة . ب ، ت .

- على درب الإسلام ، مطبعة كريماديس ، تطوان ١٩٧٢ .

- فضيحة المبشرين فى احتجاجهم بالقرآن المبين ، مطبعة رابطة العالم الإسلامى ، مكة المكرمة ١٩٨٢ .

- القدوة السامية للناشئة الإسلامية ، دار النشر للجامعيين .ب ت.

- محاذى الزقاقية ، مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية ، ١٩٥٨ .

- مفاهيم إسلامية ، مكتبة المدرسة ، ببيروت ١٩٦٤ .

- منطلقات إسلامية ، مطبعة سوريا ، طنجة ب. ت.

ح - مختلفات :

- التفسير فى صناعة التسفير للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلى فصلة من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، م ٧ ، ٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

- الجيش المجلب على المدهش المطرب (نسخة مرقونة) .

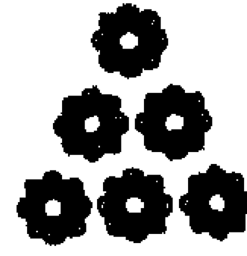
- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للحازمى ، من مطبوعات مجمع اللغة

العربية بالقاهرة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٦٥ .

- لقمان الحكيم ، المطبعة المهدية ، تطوان. ب . ت .

- مدخل إلى تاريخ المغرب ، مطبعة الوحدة العربية ١٩٤٤ .

- نظرة فى منجد الآداب والعلوم ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، القاهرة ١٩٧٢ .



الملحق الثاني
مقالات لم يصنفها الأستاذ كنون في مجموع

عنوان المقالة	المجلة أو الجريدة	العدد والسنة
- أثر المغرب فى العلم واللغة	- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة	- ج ٢١ ، س ١٩٦٦
- أحمد بن شعيب الجزنائى	- المناهل	- ع ٢ ، س ٢ ، مارس ٩٧٥
- الأدب العربى وحدة	- مجلة الأنوار	- ع ٤٢ ، س ١٩٥٤
- الأغزاز وابن اللونقة	- مجلة المجمع العلمى العربى	- ج ٣ ، م ٣٦ تموز ٩٥
- تائبة أبى إسحاق الألبيرى	- المناهل	- ع ٥ ، س ٣ مارس ١٩٧٦
- تصويب	- مجلة المجمع العلمى العربى	- ج ١ ، م ٣٧ يناير ١٩٦٢
- ترجمة الواعظ البغدادى	- البحث العلمى	- ع ٧ ، يناير ، أبريل ٩٦٦
- ابن البغلة	- رسالة الأديب بمراكش	- أبريل ١٩٥٩
- أبو جعفر بن عطية(١)	- مجلة السلام	- ع ٢ ، س ١ نوفمبر ١٩٣٣
- أبو جعفر بن عطية(٢)	- مجلة السلام	- ع ٣ ، س ١ ١٩٣٣
- الجناس وأنواعه فى منظومة ابن الطاهر الهواري قاضى فاس	- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة	- ج ٣٦ ، نوفمبر ١٩٧٦
- أبو الحسن المسخر	- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق	- اكتوبر ١٩٦١
	- مجلة التربية الوطنية الرباط	- عدد ٣ مايو ١٩٦٠
- الحماسة المغربية	- مجلة الإنوار	- ج ٧ ، س ١٩٨٤
- حول خطبة طارق	- دعوة الحق	- ح ٦ ، ٧ س ١١ مارس ١٩٦٨

عنوان المقالة	المجلة أو الجريدة	العدد والسنة
- حول ديوان ابن عنين	- م . المجمع العلمي العربي	- ج ٢ ، م ٣٥ نيسان ١٩٦٠
- حول رؤية ابن بطوطة لابن تيمية	- مجلة المجمع العلمي العربي	- ج ٣ ، م ٤٠ ، يوليوز ١٩٦٥
- رد على نقد	- مجلة السلام	- ج ٧ ، س ١ ، أبريل ١٩٣٤
- ابن رشد الفقيه	- دعوة الحق	- ٢ دجنبر ١٩٦٧
- روح قوقس	- مجلة (المعتمد) تطوان	- عدد ١٤ أبريل ١٩٤٨
- سابق البربري	- دعوة الحق	- ج ٤ س ٢١ يوليو ز ١٩٨٠
- الشاعر الأنيق أبو حفص ابن عمر	البينة	- يناير ١٩٦٣
- الشامي	رسالة المغرب	- ج ٥ ع ١٣٦ يناير ١٩٥٢
- الشيخ أبوشعيب الدكالي والدعوة إلى السنة	دعوة الحق	- ج ٧ س ١٢ جوان ١٩٦٠
- الصاحب الشرقي	مجلة السلام	- ج ٩ س ١ ، يونيو ١٩٣٤
- ابن الطيب العلمي	مجلة السلام	- ج ٨ س ١ ، مارس ١٩٣٤
- أبو العباس العزفي	مجلة السلام	- ع ١٠ س ١ ، نوفمبر ١٩٣٤
- العربية أمس واليوم	مجلة مجمع اللغة العربية	- ج ٤١ مارس ١٩٧٨
- عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت	البحث العلمي	- ع ٩ س ديسمبر ١٩٦٦
- الغزال (أحمد المهدي الحصري الفاسي)	مجلة العدوتان	- عدد ١٩ نوفمبر ١٩٤٩
- في البحث عن الشعر المغربي الفتي	مجلة المعتمد التطواني	- ربيع ت ١٢ لسنة ١٣٧١

عنوان المقالة	المجلة أو الجريدة	العدد والسنة
- أبو القاسم الشريف	ملحق جريدة الصخر	- ع ١ ،، س ١٩٣٧
- القاضى عياض	دعوة الحق	- مارس ١٩٨١
- القاضى عياض أديبا	المناهل	- ع ١٩ ، س ١٩٨٩
- القاضى عياض بين العلم والأدب	دعوة الحق	- نوفمبر ١٩٨٦
- قاتبيا بن عمر الرباطى	دعوة الحق	- أكتوبر ١٩٥٩
- مراجعة فى شأن تعريف غير وجمع معجم على معاجم	مجلة المجمع العلمى العربى	- يناير ١٩٦٤
- ابن مشيش	مجلة البحث العلمى	- ع ٣٥ ، يونيو ١٩٧٥
- مكتبة السلام	مجلة السلام	- ع ٧ ، س ١٩٣٣
- الملكة العبقرى سيدى محمد ابن عبد الله .	دعوة الحق	- ع ٥ ، ابريل ١٩٦٧
- الملك الإنسان	ندوة محمد الخامس	- جمعية رباط الفتح ١٩٨٩
- من أدبنا الشعبى	مجلة تطوان	- ع ٥ ، س ١٩٦١
- ابن منصور المغراوى شخصية مغربية	دعوة الحق	- يونيو ١٩٦٠
- من أعـلام المغـرب الإمـام الأصيلى .	الثقافة المغربية	- ديسمبر ١٩٧٠
- نظم مثلث قطرب وشرحه	المناهل	- ع ٣ ، س ٢ يونيو ١٩٧٥
- نهضة الشعر فى المغرب	مجلة (المعتمد) التطوانية	- ع ١٢ فبراير ١٩٣٤
- ابن الونان	مجلة السلام	- ح ١٢ ، س ١ فبراير ١٩٣٤
- يوسف بن تاشفين وابن عباد	مجلة السلام	- ع ١ ، س ١٩٣٣

مصادر

عبد الله الجرارى : من أدباء المغرب وشعرائه المعاصرين (نسخة مرقونة)

الدراسة الأدبية بالمغرب : الأستاذ عبد الله كنُّون نموذجاً

رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمها الطالب أحمد شايب بإشراف د . محمد الكنُّونى كلية الآداب بالرباط ، السنة الجامعية ١٩٨٨ - ١٩٨٩

مجلة (الكرمل) ١٩٨٤ ، العدد ١١

مجلة (الفيصل) ١٩٨٨ ، العدد ١٣٧

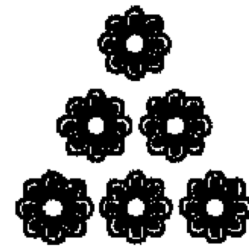
حسين أدهم وأحمد عبد اللطيف الجدع : من أدب الدعوة الإسلامية إبراهيم السولامى : الشعر الوطنى المغربى فى عهد الحماية ١٩١٢ = ١٩٥٦

محمد بن العباس القباج : الأدب العربى فى المغرب الأقصى ج ٢ س ٣٦ - ٣٧

أنور الجندى : الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال إفريقيا الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٥ = ١٩٦٥

عبد الصمد العشاب : بيبليوغرافيا جامعة لإنتاج الأستاذ عبد الله كنُّون على الآلة الكاتبة

الأدب العربى فى المغرب الأقصى ، الجزء الثانى لمحمد بن العباس القباج .



كلمة المجمع فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور

محمد توفيق الطويل

للأستاذ الدكتور حسين مؤنس

عندما دخلنا كلية الآداب بجامعة القاهرة فى أوائل أكتوبر ١٩٣٠ كان توفيق الطويل يقيم على بعُد خطوتين من كوبرى أبوالعلا ، وكنت أنا أقيم فى شبرا ، وكانت المسافة من مكان سكننا إلى الجامعة طويلة ، فكنت أقسمها قسمين ، قسم من شبرا إلى الإسعاف والثانى من الإسعاف إلى الجامعة ، ولم يكن عندى فى مصر مكان هو أجمل من المسافة من الإسعاف إلى جامعة القاهرة ، فإن الكوبرى آن ذك كان فى غاية الجمال ، وعلى الضفة الأخرى من النيل كان نفر من الإنجليز يقيمون فى فيلات جميلة على شاطئ النهر ، وقبل أن ندخل الجامعة بشهر كنت قد تعرفت بسيدة إنجليزية / كريمة مسنة فى حوالى السبعين ، كان زوجها يعمل فى مصر ثم توفى عنها ، ولم تشأ هى أن تعود إلى إنجلترا مع جثة زوجها ، فظلت تقيم فى الفيلا الصغيرة التى كانت تعيش معه فيها ، وكانت السيدة فى غاية الإنسانية فعلا ، وكنت أجد سعادة كبرى فى الوقوف عند آخر الكبرى وأتمتع بمنظر النيل الذى كانت الفيلات تقوم عليه ، وفى ذات مرة رأيتها تنادينى ، وكانت آن ذاك تشرب الشاى على درجات من ماء النيل ، فمضيت إليها خجلاً متواضعا ، فإذا بها تقف وتقول : أتريد فنجان شاى ؟ فأجبت بالقبول ، ونادتنى إلى أسفل السلالم حيث جلست غير بعيد منها أشرب الشاى ، وقد وجدت فى هذه السيدة نوعا من النبل ماكنت أتصور أن أحدا من الإنجليز يكون عليه ، فقد كانت هادئة كريمة خفيضة الصوت ، وكانت إلى جانب ذلك تحب الكلام ، وكنت أنا أحبه تمرينا لى على الكلام بهذه اللغة ، وشيئا فشيئا اعتدت على حديث هذه السيدة حتى أننى بدأت آتيها بما قد تحتاج إليه ، ولم أدخل بيتها أبدا فكانت كل معاملاتنا على ضفة النيل .

وفى اليوم الأول لذهابى إلى الجامعة كنت على كوبرى أبو العلا عندما لمحت شابا وسيما أنيقا يسبقنى بخطوات كثيرة ، وكان يمتاز- عمره كله - بسرعة السير ، فمددت فى خطوى وسألته إن كان ذاهبا إلى الجامعة ، وسرنى جداً أن أعلم أنه ذاهب ، فمضينا نتحدث ، فوجدت فيه إنسانا مهذبا جدا هادئ الكلام غير مُعْتَن إلا بما يعنيه ، وعرفت ونحن فى الطريق إنه سيلتحق بقسم الفلسفة فى كلية الآداب ، فتعجبت من ذلك فلم يكن لى فى الفلسفة مذهب ، ووصلنا إلى الكلية مسرعين فوجدنا أعداد الطلاب قليلة ولم تكن هناك أى صعوبة فى الالتحاق ، فقد كنا معاً متقدمين فى الدراسة ولم ندفع شيئا ، ثم لم نلبث أن تكونت لنا "شلة" من الأصدقاء أشهد أننى لم أعرف بعدها مثلها ، فقد كانوا جميعا مهذبيهن لهم اهتمام عظيم بالدروس والأخلاق.

وكان عدد طلاب الكلية ، إذ ذاك قليل ، فكنا مثلا فى قسم التاريخ - السنة الأولى - أحد عشر طالبا - وأظن أنهم فى الفلسفة كانوا أقل من ذلك ، وكان الأساتذه ممتازين نستمع إليهم فنفهم ونستريح ، ولا أذكر أنه مال إلى قسم التاريخ لأنه كان مشغولا بالفلسفة ، وكان أساتذتهم فيها كذلك ممتازين أذكر من بينهم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور منصور فهمى . وكانت عنايتهم بنا كبيرة لأنهم كانوا فيما أحب يجدون أن الفلسفة مادة صعبة تحتاج إلى درس وعناية ، وكان منصور فهمى فيلسوفا ممتازاً ، ولكن الإقبال عليه كان قليلا فقد كان متعالياً عظيم التقدير لنفسه ، ولكنه كان بليغا حسن الكلام ، أما مصطفى عبد الرازق فكان شيخاً ممتازاً أنيقا منخفض الصوت ، وكان من الشيوخ الذين يقبل عليهم الطلاب حتى أننا كنا نزوره فى البيت ، وكان له تلاميذ ممتازون منهم توفيق الطويل ومحمد عبد الهادى أبو ريدة .

كان توفيق - كما ذكرتُ - سريع المشى ، وإنك إذا أردت أن تسايره إلى مكان فلابد أن تسرع فى سيرك حتى إنك لتجرى لتكون معه على خط واحد ، ثم تبينت بعد ذلك خصلته الكبرى التى جعلت له مكانا بيننا هى الخطابة ، وقد تكونت فى الكلية جمعيات شباب منها

جـمعـيـة الخطابة ، وكـان توفـيق بليـغـا حـسن الصوت ضابطا لنفسه ، وكانت جمعية الخطابة التى أنشأها من أنجح الجمعيات ، فـقـد كـان توفيق مغرما حقا بالخطابة محسنا لها ، وكان لا يمضى أسبوع إلا أقام حفلة خطابة أو ندوة ، وكنا نقبل عليها ونشترك فى ندواته لأننا كنا جميعًا معجبين به بسبب بلاغته وحسن كلامه واتساع أفقه ، وكنا جميعا أعضاء فى جمعيته ، والكثيرون منا كان لهم أصدقاء كثيرون خارج الكلية ، فكانت جـمـعـيـة الخطابة من أنشط جمعيات الجامعة وأحبها إلينا . ومن أول يوم ارتبطتُ به قامت بيننا صلة كريمة ، فـقـد كـان يحسن الكلام وترتيب الندوات ، هذا إلى حسن اختياره للموضوعات حتى كانت جمعية الخطابة أنشط جمعيات الكلية ، لأن جمعية الخطابة لا تحتاج إلى نفقات غير الدعوات ، وكان يعجبنى منه حسن كلامه وهدوؤه وبره وعنايته بالطلاب ، خاصة وقد كان أستاذه الذى يرعاه محمد فريد أبو حديد ، وكنا نحبه جميعاً، ولكنى فشلت فى تقديمه إلى السيدة الإنجليزية ؛ لأنه لايرى لمثل هذه العلاقة معنى ، وقد حاولت كثيراً فلم أوفق .

وكان توفيق كثير العمل ، وقد امتاز بأنه قليل الكلام عن عمله وثروته الكبيرة فى الفلسفة ، ولهذا فهو عندما اتجه إلى التأليف اتجه بقوة وعناية إلى الفلسفة ولقى قبولا من أول الأمر ، أول كتاب أذكره له كتاب قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة وكان كتابا أنيقاً جميلا بليغا ، نشره وفخر به الصاوى محمد ، وكان قد أنشأ دار نشر لها مجلة وسلسلة من الكتب أحسنها فيما أظن كان كتاب توفيق الطويل .

ثم افترقنا بعد ذلك لأننى كنت أسعى وراء البعثات فى حين أن توفيق لم يكن يسعى وراءها ، وقد طالت بعثتى فلما عدت وجدت أن توفيقا قد ألف مجموعة ممتازة من الكتب ، من بينها كتاب مازلت أظن أنه أحسن ما ألف فى نوعه وهو كتابه عن الفلسفة ، وهو كتاب جيد دقيق ما زال أحسن ما كتب من نوعه إلى يومنا هذا ، ولكن الذى أعجبنا هو أن توفيقا لقى قبولا من جميع الناس ؛ فقد ظل عمره كله رجلا مهذبا يجتذب الناس بحسن أخلاقه

ومعاملاته ، وكان إلى جانب ذلك شديد الاهتمام بالخطابة وجمعيتها ، وقد أعجبت به، وعدنا إلى الصداقة الكريمة عندما عدت ، وكانت كتبه تعجبنى وكذلك أحاديثه مع الناس، وما أظن أن أحدا منا ألف شيئاً أو قام بمشروع إلا استشار الآخر فيه ، وكانت كتبه كثيرة وناجحة ، ثم إن طريقه في الكلية كان طريقاً عامرا ، فسار فى السلك الجامعى سيرا ناجحا موفقا ، ولا أنسى ما حييت زواجه ، فقد كانت السيدة حرمه سيدة صحفية مشهورة وكانت مثله تحسن الكتابة والخطابة ، وقد أسعدنا زواجه وزادت صلته بى لأنه لم يكن من أولئك الذين يكثرون الكلام ، فإذا تكلم كان كلامه هو الكلام .

واشتهر أمر توفيق الطويل حتى أصبح من أعظم أساتذة الجامعة ، واشتهر اسمه فى النشر حتى أصبح فعلا من قادة الفكر والثقافة فى هذا البلد . وعندما بلغ الأستاذية أصبح فعلا من رجال مصر ، وكنت شديد الحرص على التعامل معه فأكسب الخلق الكريم والرقة فى المعاملة ، وكان يعجبنى فيه أنه لم يحاول قط أن يدخل فيما لا يعنيه ، وما أظن أن زميلا من زملائنا جذبنى إلى هذ المجمع مثل توفيق الطويل .

وقد نجح فى الجامعة نجاحًا عظيمًا حتى أصبح رئيسا لقسم الدراسات الفلسفية والنفسية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم عين وكيلا للكلية ، وأعير إلى بعض الجامعات العربية كالجامعة الليبية وجامعة الكويت ، وحاضر بكلية الآداب بجامعة عين شمس وعمل أستاذا زائراً بجامعات بغداد والبصرة وقطر ، وقد اختير مقررا للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة ، كما اختير عضوا بشعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة .

وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٨١ وللدكتور توفيق الطويل نشاط علمى متنوع ، فقد شارك فى عدة مؤتمرات مثل مؤتمر التعليم الجامعى الذى نظمته جامعة الدول العربية فى بنغازى بليبيا ، وقد قدم فيه بحثا بعنوان : الفكر الدينى الإسلامى فى المائة عام الأخيرة .

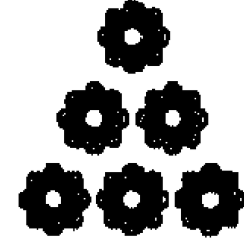
وبحوثه ومؤلفات كثيرة وهى « أسس الفلسفة » الذى ذكرناه ، و « فلسفة الأخلاق »، و«جون ستيوارت ميل » ، و « قصة النزاع بين الدين والفلسفة فى الغرب » ، و « العلم فى عصر الإسلام الذهبى » ، و « الأخلاق فى الفكر الإسلامى » .

وأختم هذه الكلمة بالعبارة التى خاطبه بها الأستاذ بدر الدين أبو غازى فى يوم استقباله فى المجمع : « واليوم إذ أستقبلك أراك نجما كما كنت فى هذا الزمن البعيد ، وقور السمت ، سمح الملامح ، مستعيناً بالحكمة والمثل ، فيك من شباب الفكر وحيويته ما يلوح وكأنه على مر السنين يزيد ، لقد اتخذت لنفسك من عطائك ونضج عقلك وذكاء قلبك مكانة فى حياتنا الفكرية » .

وقد حصل الدكتور الطويل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية فى يونيو ١٩٨٤ .

حسين مؤنس

عضو المجمع



كلمة الأسرة فى حفل تأبين المرحوم

الأستاذ الدكتور توفيق الطويل

للدكتور حسان توفيق الطويل

أستاذ العلوم السياسية

بالجامعة الأمريكية والمعهد الدبلوماسى

حضرات السادة الأساتذة الأجلاء :

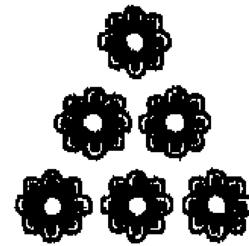
أقِف اليومَ بين أيْديكُم باكيًا أبى رَحمه اللهُ رحمةً واسعةً وشاكراً لحضراتكُم حُسن جميلكم معه فى حياته وبعد مماتِه - جزاكُم اللهُ كُل خير ولا أراكم مكروهاً فى عزيزٍ لديكم .

لا أملكُ فى هذه اللحظة الحزينة لى ولكم إلاأن أطْلُبَ من اللهِ سبحانه وتعالى الصبر والسلوان - وكلما تألمتُ لغيبةِ الوالد أسترجعتُ فى ذهنى بعض أقواله التى تُلهمنى الصبر فى حياتى اليومية وتساعدنى على تحمل الفُرَاقِ .

اسمحوا لى فى هذه المناسبة أن أُعبرَ عن بَعضٍ من هذه الخواطر التى أثيرتْ فى نَفسِى وهى وإن كانت قصيرة إلا أنها ذات دلالة فى هذه الأيام .وإذا كان مَجمعُنا الموقرُ يُعرَف بأنه مَجمعُ الخالدين ، فإن هذه الخواطر ، قد تُطيلُ ذكرى والدى فى أذهانكم وأنتم جميعًا الركنُ الركينُ .

أدعو لكم بطولِ البقاء وأشكرُ لكم حسن الإصغاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وشكراً لكم .



من أنباء المجمع

وفاة رئيس المجمع :

رزئ المجمع بوفاة رئيسه الجليل شيخ المجمعيين الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مدكور حيث انتقل إلى جوار ربه فى الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٥ .

تغمد الله الراحل الكريم بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته بقدر ما أمدى لمصر وللعروبة وللإسلام من جليل الخدمات معظم التضحيات .



• انتخاب رئيس جديد للمجمع :

انتخب مجلس المجمع الأستاذ الدكتور شوقي ضيف « نائب رئيس المجمع » رئيسا للمجمع ، وبهذا يكون الرئيس الخامس لمجمع اللغة العربية ، وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء رقم (٥٠٧) لسنة ١٩٩٦ باعتماد انتخاب سيادته رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات اعتبارا من الأول من مارس سنة ١٩٩٦ .



• انتخاب نائب جديد لرئيس المجمع :

انتخب مجلس المجمع الأستاذ الدكتور محمود حافظ إبراهيم (عضو المجمع) نائبا لرئيس المجمع ، وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم رقم (٦٥٦) بتاريخ ١٩٩٦/٥/٢٧ باعتماد انتخاب سيادته نائبا لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات اعتبارا من تاريخ صدور القرار .



• خبراء جدد للمجمع :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء

جدد يغذى بهم لجان المجمع اللغوية والعلمية وذلك على النحو التالى :

• **لجنة المعجم الكبير :**

الأستاذ عبد الوهاب السيد عوض الله

(١٩٩٥/١/٣٠) .



• **لجنة الشريعة :**

الأستاذ الدكتور على جمعه محمد

(١٩٩٦/٣/٤).

• **لجنة الفيزيقا :**

الدكتور محمد محمود عمار

(١٩٩٦/٥/٦)



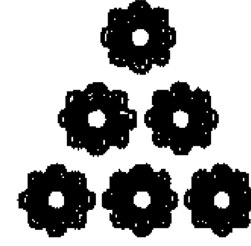
• **لجنة الحاسبات :**

الدكتور جبرائيل الأمين محمد حسن أبو سمر (١٩٩٦/٢/١٢) .

• **لجنة الرياضيات :**

الدكتور على حسين عزام

(١٩٩٦/١/٢٧) .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٨/٦٣٢

الترقيم الدولى : ردمـد

ISSN 1110 - 5933

رئيس مجلس الإدارة

محاسب / توفيق عيد توفيق

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٩٣٦ - ١٩٩٧ - ٢٠١٤

